المجلة المغربية للدراسات الإنسانية

العدد الأول

اللغة العربية في العلوم الإنسانية في الغرب الإسلامي

أكتوبر 2020

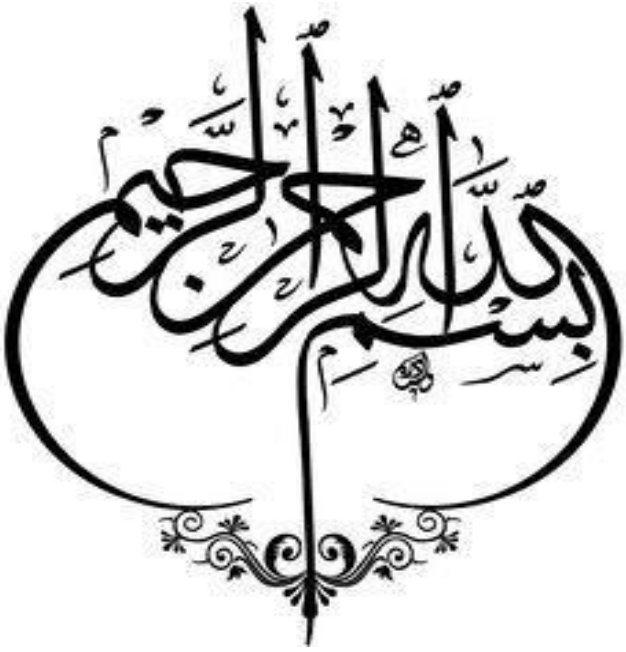
بسم الله الرحمن الرحيم

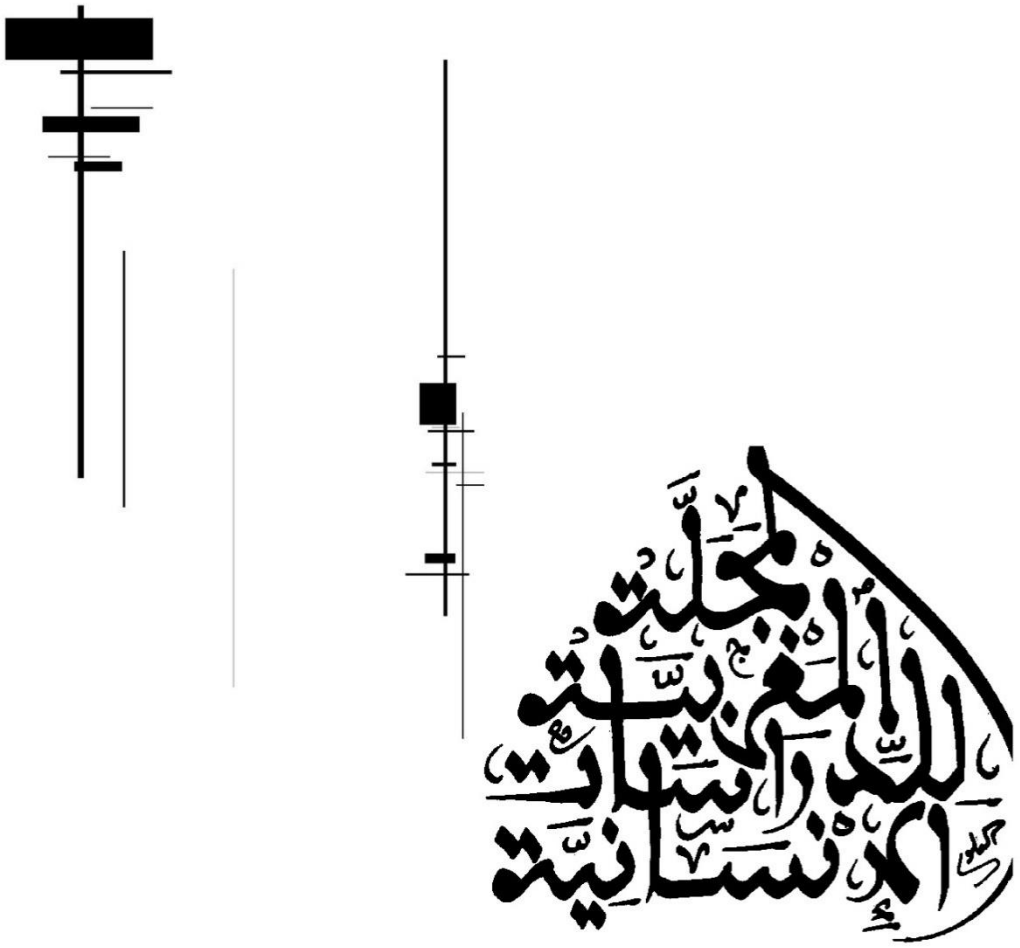
مجلة
المغربية
للدراسات
النسائية

المجلة المغربية للدراسات الإنسانية

مجلة، علمية متخصصة، محكّمة، تصدر مؤقتا بشكل دوري من مدينة تطوان، بالمملكة المغربية

مدير التحرير: أحمد المريني

الإيميل: morasala.comgmail.com

الهاتف: 0661860382- 212 –

رابط المجلة : https://almajalla-maghribia.ma/

هيئة التحرير

شـكيب الشـعيري، محمد الأمين مشـبال ، عبد السـلام الجعماطي، أنس الحسـيسـن، محمـد الحبيـب الخراز، محمـد نور بن حســـاين، محمـد أحمـد أنقـار، فـاطمـة الجبري، عـادل الكميلي .

التعريف بالمجلة

مجلة إلكترونية علمية محكمة ، تنشـر البحوث العلمية والمقالات البحثية المتنوعة، في مجال العلوم الإنسانية، بعد عرضها على عدد من المتخصصين في مختلف المجالات المعرفية.

وتتكون المجلة المغربية للدراسـات الإنسـانية من هيئة التحرير ، وتتوفر على لجان للتحكيم متعددة . وتتميز بنوعية التخصصات التي تعتمدها والمجالات التي تنشـر فيها الأبحاث العلمية، وتضـع المجلة شـروطا وأحكاما، يجب أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار، قبل تقديم البحث الخاص به إلى هذه المجلة.

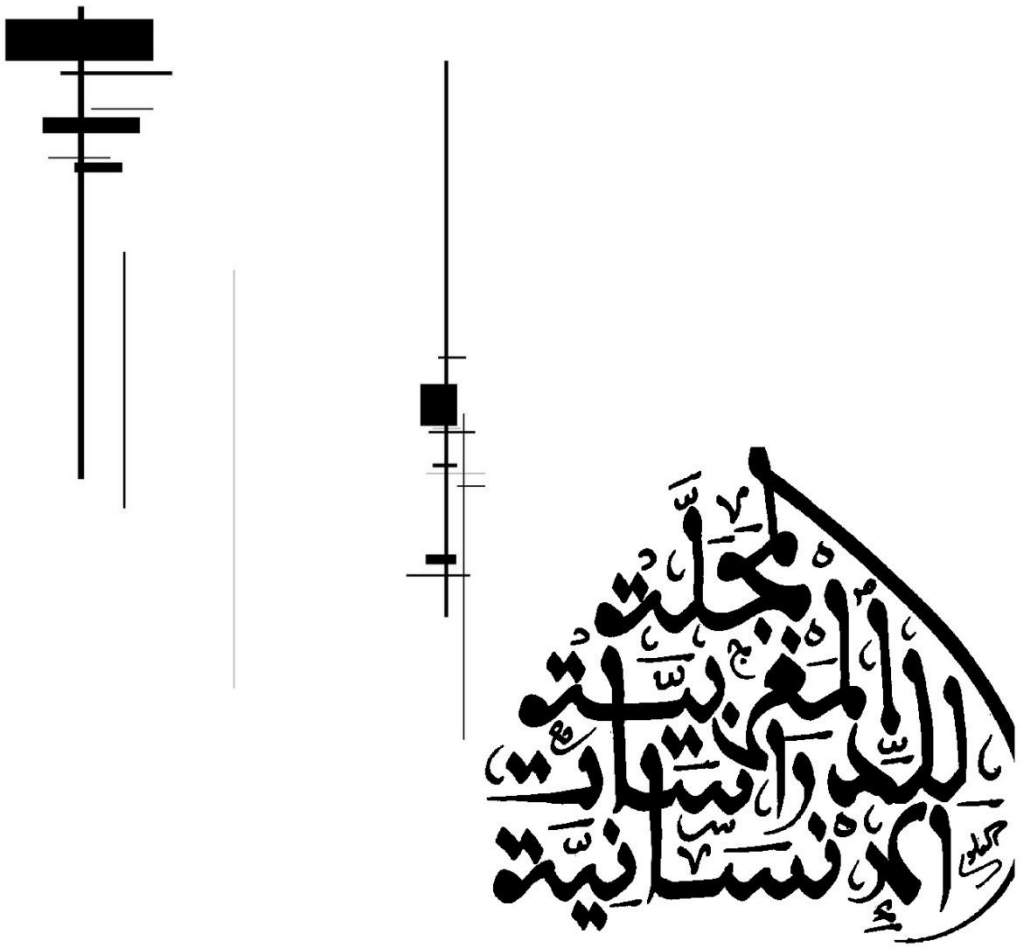
المجلة المغربية للدراسات النسانية

معايير النشر في المجلة

تدعو المجلة العلماء الأفاضل والأساتذة الأجلاء وعموم الباحثين الراغبين في نشر أعمالهم في مجلة "المجلة المغربية للعلوم الإنسانية" إلى مراعاة قواعد النشر الآتية:

- ✓ أن يكون موضوع البحث ضمن مجالات اختصاص المجلة.
- ✓ أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره أو تقديمه إلى جهة أخرى قصد النشر.
- ✓ أن يتحرى الباحث في بحثه الجدة والعمق والدقة، ويلتزم بالشروط العلمية والمنهجية المتعارف عليها.
- ✓ ألا يزيد حجم البحث عن (6000) كلمة وألا يقل عن (3000) كلمة، بما في ذلك المراجع والملاحق.
- ✓ أن تُوضع الإحالات في أسفل كل صفحة، على أن تثبت المصادر والمراجع والدوريات في آخر البحث. مرتبة ترتيبا ألفبائيا، مع اعتماد التوثيق الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، الطبعة، السنة. وإذا كان مقالا يشار إلى اسم المجلة وعددها.
- ✓ أن يقدم الباحث ملخصا لبحثه في حدود (300) كلمة متضمنا: موضوع البحث، وأهدافه، ومحاوره، والمنهج المزمع اعتماده. وترجمة لملخص بحثه بإحدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية.
- ✓ أن يرفق الباحث سيرة ذاتية موجزة مع ملخص بحثه، تتضمن رقم هاتفه وبريده الإلكتروني قصد التواصل معه.
- ✓ تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي، من طرف لجنة علمية مختصة،ويتعهّد أصحاب البحوث المقبولة بإجراء التعديلات التي تقترحها اللجنة العلمية عند الضرورة في المواعيد المحددة.
- ✓ يلتزم الباحث بعدم نشر البحوث أو التقارير العلمية أو المادة المقدمة للنشر في مجلات أو دوريات أخرى، وعدم النشر بشكل مُسبق.
- ✓ يتحمل الباحث المسؤولية القانونية في حال ثبت أن بحثه محل خلاف بين طرف آخر، أو قام بالسطو على عمل ما جزئيا أو كليا.

الهيئة العلمية

- الدكتورة سعاد الناصر أستاذة الأدب المغربي ، جامعة عبد الملك السعدي.
- الدكتور عبد الفتاح شهيد ، جامعة السلطان مولاي سليمان خريبكة.
- الدكتور محمد هموش أستاذ النقد الأدبي ، جامعة ابن طفيل
- الدكتور يوسف الفهري ، جامعة عبد الملك السعدي.
- الدكتور شكيب الشعيري ،جامعة عبد الملك السعدي.
- الدكتور محمد أحمد أنقار، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي.
- الدكتور حسن بدوح، جامعة السلطان مولاي سليمان.
- الدكتور خالد بن الزايدية،جامعة السلطان مولاي سليمان .
- الدكتور عبد الرحيم بن علي ،جامعة عبد الملك السعدي.
- الدكتور عبد السلام الجعماطي ، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بتطوان.
- الدكتور عبد العزيز ضويو، جامعة السلطان مولاي سليمان.
- الدكتور عمو عسو، جامعة السلطان مولاي سليمان .
- الدكتور فيصل أبو الطفيل، جامعة السلطان مولاي سليمان .
- الدكتور محمد أفيلال ، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي.
- الدكتور أحمد المريني ، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي.

كلمة العدد

هكذا نرد الاعتبار للغة العربية

يتزامن صـدور العدد الأول من المجلة المغربية للدراسـات الإنسـانية، والاحتفال باللغة العربيةفي يومها العالمي من منظمة اليونيسـكو، التي اعتبرت اللغة العربية ركناً من أركان التنوع الثقافي للبشرية، وإحدى اللغات الأكثر انتشاراً واستخداماً في العالم.

وقد اختارت هيئة تحرير المجلة المغربية موضـوع اللغة في العلوم الإنسـانية، للإسـهام بدورها في هذا الاحتفال، بعد اعتراف صـريح من منظمة اليونيسـكو، بما أبدعته اللغة العربية بمختلف أشكالها وأساليبها الشفهية والمكتوبة والفصيحة والعامية، ومختلف خطوطها وفنونها النثرية والشعرية، في ميادين الهندسة والشعروالفلسفة والغناء.. كما تؤكد المنظمة العالمية في أكثرمن مناسبة..

هذا الاختيار تبرره أهمية العمل البحثي العلمي المحكم في مجال اللغة العربية، الذي يعد من أهم الأسـس التي تتمخض عنها نتائج علمية يمكن اعتمادها في دراسـات أخرى لتطوير آليات البحث في المحتوى العربي، والنهوض بالبحث العلمي المكتوب باللغة العربية. من خلال إعداد أوراق بحثية بصورة علمية ونشرها بين الباحثين والمهتمين.

ولا بد من التأكيد أن الدراسات العلمية المحكمة التي يتضمنها هذا العدد، والواردة على المجلة من داخل المغرب وخارجه، بينت حضـور اللغة العربية بقوة وبتأثيركبير عند معالجة القضـايا العلمية المختلفة المرتبطة بها، وسـعت إلى دعم وجودها العلمي، في شـتى الأبحاث النظرية والإنسانية.

بعد هذا الكم الهائل من الدراسات التي توصلت بها المجلة، يمكن الخروج بنتائج تكشف عن قدرة اللغة العربية في ترسيخ البحث العلمي في الحاضروالمستقبل، كما كانت لغة حضارة في الماضي، ألّفت بها كتب الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والفلسفة والدين والآداب، وسائر العلوم والفنون. فكانت الحاضـنة للثقافة والهوية، المعبرة عن الذات والموضـوع، المؤسـسـة للبحث العلمي في مختلف المجالات المعرفية.

ولهذا في فإن هذه المجلة تراهن على النهوض باللغة العربية من خلال البحث العلمي، انطلاقا من رؤية شاملة، تستفيد من المنجزات العربية المرتبطة باللغة، وتقترح تصورات للمستقبل. من خلا استثمار المنجزات البحثة في مجالات اللسانيات والتربية والتواصل...

ولتحقيق هذه الغاية وجب تشجيع الباحثين على اعتماد اللغة العربية في المجلات العلمية، خاصة المجلات المتخصصة التي تصدرعن معاهد وكليات وباحثين مختصين؛ تتبنى اللغة العربية في البحث العلمي، لإبراز خصائصها العلمية وتعزيزمكانتها على المستويين المحلي والدولي.

ويستنتج القارئ لهذه الدراسات العلمية الصادرة في هذا العدد، أن كُتابها أنتجوا أفكاراً وآراء جديدة، وطرحوا حلولاً و اقتراحات مناسبة لحل الكثيرمن المشكلات المرتبطة باللغة، وتكشف عن معلومات متعددة وتبلورالأفكارالعلمية بغية الوصول إلى النتائج المرجوة.

كما يستنتج أهمية إدراج اللغة العربية في البحث العلمي، باعتباره أحد أهم أسباب تقدم اللغة العربية وتطورها في جميع المجالات المعرفية، وهو المصدر الرئيس لتنمية هذا البحث، ورفاهية الشعوب لأهميته الكبيرة في تطورالعلوم اللغوية باعتبارها ركناً أساسياً من أركان المعرفة البشرية، وخدمة المجتمع.

والأمل معقود للنهوض باللغة العربية، عبراستئناف العمل بها مجددا ، كلغة عالمية للبحث العلمي في جميع العلوم الإنسانية والبحتة . كما كانت سابقاً في عصورسابقة ، وإعادة النظرفي وضع خطة استراتيجية وطنية وعربية، لكسب خطوات و اقعية تمهد الطريق للباحثين من الأجيال المعاصرة، للاستعانة بكل الإجراءات من استخدام اللغة العربية في البحوث والدراسات العلمية بشتى المجالات العلمية ، كتأسيس مجلات علمية ، ومراكزللبحث العلمي والتكنولوجي والترجمة.

وهذا يتطلب الاستفادة من التطورالمعرفي التكنولوجي لتعليم اللغة العربية ، بإشراك باحثين في الإعلام وخبراء البرمجيات لتطوير البرامج الآلية التي تساندها بوصفها لغة علم ومعرفة تقوم على الفكروالتفكيروالتنظير، لتعزيزمكانة اللغة العربية، والحرص على تقوية وتوسيع مستويات حضورها في مختلف الاستخدامات، مع تبني مشاريع ومبادرات عمل متكاملة،

تركزعلى ترجمة العلوم من اللغات الأخرى إلى العربية، فهي بمثابة المفتاح الأســاســي للنهوض بمجال البحث العلمي باللغة العربية.

تأمل إدارة تحرير المجلة بعد صــدور هذا العدد تعزيزَ مكانة اللغة العربية بالمغرب ومختلف الدول المغاربية والعربية عموما ، لصــونها في كل هذه البلدان ، وتقوية إمكاناتها لتكون مؤثرة وحاضرة بقوة في مختلف مناحي الحياة الفكرية والثقافية والعلمية والاقتصادية.

فالدعوة ملحة من خلال هذا المنبر، إلى أن تكون اللغة جانباً وجزءاً جوهرياً في بنية الخطط والاســتراتيجيات . ومنها إدراج اللغة العربية ضــمن فضــاءات التدريس في كل التخصصات ضماناً لسلامة استخدامها كلغة للبحث العلمي، ووضع خطة استراتيجية لتمهيد استخدام العربية في البحوث والدراسات العلمية في جميع المجالات والعلوم، إضافة إلى تعريب العلوم الغربية في المجامع اللغوية قبل تدريســها في الجامعات، لكي تحجز مكانتها في مقدمة القواميس العلمية. كما ينبغي تخصــيص مجلات عربية عديدة، لتحكيم البحوث العلمية وإلزامها بنشــرها باللغة العربية، وتأســيس مراكزوطنية وعربية لترجمة المواد العلمية في جميع المجالات إلى اللغة العربية، دون استثناء تدريب الشباب على البحث العلمي باللغة العربية .

الأمل معقود على كل الكفاءات العلمية ومعاهد اللغة و المنابر العلمية الرصــينة وغيرها ، لرد الاعتبار للغة العربية في بلدان المغرب العربي وفي كافة الدول العربية ، فقد برزت الحاجة إلى أن تعود اللغة العربية إلى صدارة المشهد في لغة الدراسات والأبحاث العلمية المختلفة محليا وعلميا. واستشراف رؤى و أفكار من شأنها نقل اللغة العربية من مجالات الدراسات المختصة باللغة أو الفروع الإنســانية والشــرعية إلى فضــاءات العلوم الكونية، لتعود بذلك إلى ســابق مجدها إبّان العصر الذهبي للحضارة العربية والإسلامية الذي امتد لقرون خلت .

أشكر بالمناسبة كل الأساتذة الباحثين الذين شاركوا بدراساتهم و أبحاثهم في هذا العدد ، ونتأسف لعدم إدراج المشاركات الأخرى التي لم تستجب للشروط العلمية التي وضعتها المجلة ، وبهذه المناسبة أتقدم بالشكر الجزيل للصديق الدكتورعبد الفتاح شهيد، أستاذ النقد الأدبي وتحليل الخطاب بجامعة السلطان مولاي سليمان بخريبكة، الذي بذل مجهودا جبارا منذ شهور لإخراج هذا المولود الجديد إلى الحياة.

د. أحمد المريني

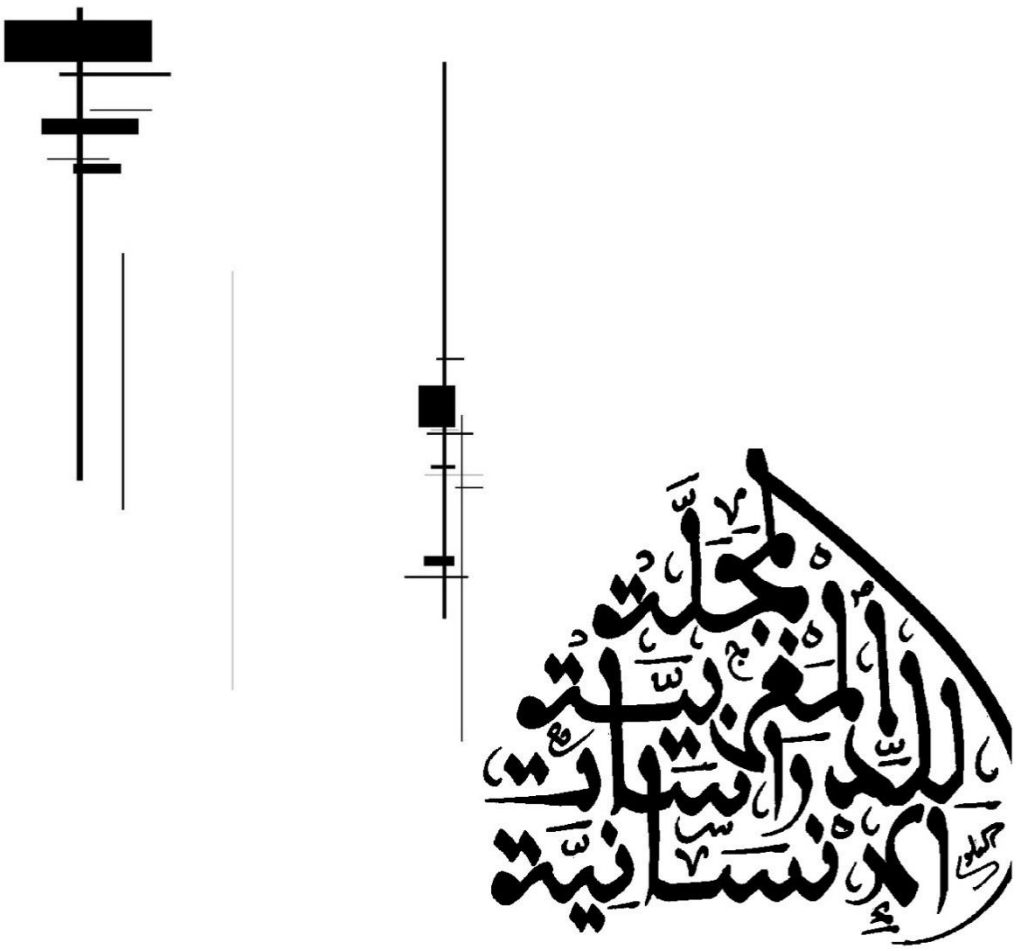
مجلة
المغربية
للدراسات
الاجتماعية

دراسات و أبحاث

إشكالية اللغة في قراءة النصّ القرآني عند محمد أركون[1]

الدكتور عادل عباس النصراوي، كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

ملخص البحث

كان محمد أركون واحداً ممّن درس التراث الإسلامي عامة والنصّ القرآني خاصة , برؤية معاصرة في قراءة ذلك التراث إذ لم يستسلم لكلّ ما ورد في التراث العربي – الإسلامي , كما أنه لم يستسلم للرؤية الغربية في دراسة الفكر الإسلامي التي قادها جموع المستشرقين, وكان يؤمن بضرورة تجاوز النكسة التي حاقت بالأمة العربية الإسلامية من خلال قراءة عقلية متأنية للتراث لا تقبل بالأدوات القديمة لفهمه أو فكّ طلاسمه , و إنما استعانت بأدوات معاصرة لقراءة النصّ الديني , فلا تكتف بالأدوات اللغوية ولا ترضَ أن تبقى حبيسة لأطرٍ اجتماعية ماضوية, فطالما كان ينصح المثقفين العرب والمسلمين في قراءة النصّوص الدينية أن لا يكونوا حبيسي المقولات الغربية الجاهزة , فوجّه نقده الى مجموعة من المفكرين العرب في عشرينات القرن العشرين من نحو طه حسين وعلي عبد الرازق .

---

[1]- ولد محمد أركون في قرية تاروت في منطقة القبائل من أسرة بربرية عام 1928م . انتقل الى مدينة وهران ليبدأ بها دراسته الابتدائية وهو في السابعة من عمره , ثم أتمّ فيها دراسته الثانوية في مدارس فرنسية علمانية في أثناء الجمهورية الفرنسية الثالثة , وأكمل دراسته في الجامعة الجزائرية بكلية الآداب , ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا عام 1954م في بحثه الموسوم (النزعة الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري : ابن مسكويه مؤرخاً وفيلسوفاً) , ودرّس فيها قرابة 30 عاماً منذ سنة 1961م . وكان استاذاً زائراً في عدد من الجامعات الأوربية , وعمل مستشاراً علمياً في الدراسات الإسلامية في مكتبة الكونكرس في واشنطن عام 2000م .

له عدد من المؤلفات منها : 1- الإسلام– الأصالة المعاصرة 2- الفكر الإسلامي– نقد واجتهاد 3- تاريخية الفكر العربي الإسلامي 4- القرآن والتفسير بالموروث الى تحليل الخطاب 5- الفكر الأصوليي واستحالة التأصيل نحو تاريخ الفكر الإسلامي 6- قراءات في القرآن . وغيرها . توفي عام 2010م .

الكلمات المفتاحية(التفكيكية , التاريخية , النصّ , الخطاب , القراءة)

Deconstruction, historical, text, speech, reading

Abstract

Mohammed Arkoun was one of those who studied Islamic heritage in general and the Qur'anic text in particular, with a contemporary vision in reading that heritage as he did not give in to all that was mentioned in the Arab-Islamic heritage , He also did not give in to the Western vision in the study of Islamic thought led by the masses of Orientalists, and believed in the need to overcome the setback suffered by the Arab-Muslim nation through careful reading of the heritage does not accept the old tools to understand or decipher his talents, but used contemporary tools to read the religious text, As long as Arab and Muslim intellectuals were advised to read religious texts, they should not be confined to Western readymade categories. His criticism was directed at a group of Arab thinkers in the third decade of the twentieth century from Taha Hussein and Ali Abdul Razik.

يُعدُّ محمد أركون واحداً ممّن درس التراث الإسلامي عامة والنصّ القرآني خاصة, وكانت له رؤيته الخاصة المنبثقة عن رؤية معاصرة في قراءة ذلك التراث إذ لم يستسلم لكلّ ما ورد في التراث العربي – الإسلامي , كما أنه لم يستسلم للرؤية الغربية في دراسة الفكر الإسلامي التي قادها جموع المستشرقين و إنما كان دليله العقل في نقد التراث - كما كان الجابري – فهو ممن سار على هذا المنوال من المفكرين العرب التنويريين الذين أعملوا العقلانية النقدية في دراساتهم , وكانوا يؤمنون بضرورة تجاوز النكسة التي حاقت بالأمة العربية الإسلامية , من خلال قراءة عقلية متأنية للتراث , وذلك أنهم يؤمنون أيضاً بأنّ النهضة فعل تاريخي يُوصل الماضي بالحاضر

عبر قنوات معاصرة , لا تقبل بالأدوات القديمة لفهمه أو فكّ طلاسمه , و إنما استعانت بأدوات معاصرة لقراءة النصّ الديني , فلا تكتف بالأدوات اللغوية ولا ترضَ أن تبقى حبيسة لأطرٍ اجتماعية ماضوية , لأن مثل هذه القراءة تعدُّ قراءة تقليدية غير منتجة , في حين أن ما يميّز النقد الذي يطبع خطوات محمد أركونفي أحاديثه هو قراءة النصّ الديني قراءة تفكيكية , فطالما كان ينصح المثقفين العرب والمسلمين في قراءة النصّوص الدينية أن لا يكونوا حبيسي المقولات الغربية الجاهزة , فوجّه نقده الى مجموعة من المفكرين العرب في عشرينات القرن العشرينوقال بشيء من الازدراء حيث قال : (عندما كتب علي عبد الرازق وطه حسين في العشرينات الكتابين الأكثرجرأة ضمن خط النقد التاريخي فأنّهم في الو اقع كانوا قد طبّقوا على حالات ثقافية معقدة المناهج الفيلولوجية والتاريخانية المتمثّلة في السوربون في بداية هذا القرن، تلخّص هذه الحالة النموذجية تلك الثقة الساذجة السائدة آنذاك إزاء العالم الغربي) [1].

فهذا التوجّه لدى محمدأركون ما كان إلاّ بعد أن اطّلع على أفكار المستشرقين , فهو قد درس في السوربون عند أكبر المستشرقين الفرنسيين ثم أصبح أستاذاً في هذه المؤسسة العريقة نفسها ولكنه لا يكن لها أيّ احترام , بل يزدريها ويزدري من يتّبع المنهج العلمي الفيلولوجي الذي اتبعه الغربيون في دراسة النصّوص الدينية , وكذلك كان يزدري هذا التحالف بينهما , وقد قال ذلك بعبارات مكررة وردّدها مرات عديدة , فهو يقول : (وجود تحالف موضوعي بين الاستشراق الكلاسيكي واليمين الإسلامي هدفه إبقاء كلّ طرف على حدة ومنع انبثاق النظرة الابستيملوجية الحديثة)[2] , وقد كانت له ردودٌ عنيفة على المستشرقين بل كان يرى ضرورة عدم استبعاد الإسلام عن ساحة النقاش في الغرب ففي محاضرة له في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسيةبباريس في، 1989قال : (سوف أقول لكم منذ البداية.وبكل صراحة , إنّ الإسلام كان دائماً يُستَبْعد من ساحة النقاش في الغرب الأوربي والأمريكي , لأنّها تبقى حكراً على تر اثي اليهودية والمسيحية , وأعتقد أنّ هذا الاستبعاد التاريخي الذي طال لم يعد له مسوّغ , فقد آن الأوان لكي يسمع الغرب من خلال أعلى مؤسساته العلمية عر اقة صوت الإسلام وحضارته وتر اثه التاريخي الطويل)[3], وغيرها من الأفكار الكبيرة التي طرحها في محاضر اته أمام جمع غفير من العلماء والباحثين

---

[1]-تاريخية الفكر العربي الإسلامي / محمد أركون : 236 .

[2]- الفكر السلامي – نقد واجتهاد / محمد أركون :

[3]- م .ن : 308 .

والدارسين والسياسيين , مبيّناً الوجه المشرق للإسلام والقرآن الكريم من خلال حقوق الإنسان وغيرها من قضايا العالم[1] .

وقد وقف محمد أركون من الكتاب الشهير(الآيات الشيطانية) للكاتب سليمان رشدي موقفاً رافضاً ووصفه بأنّه كتاب أدبي , ورأى أنّ سلمان رشدي قد اقترف عملاً طائشاً , حيث قال: (المظاهرات الاحتجاجية التي قام بها آلاف المسلمين ليست موجهة ضد شخص رشدي بقدر ما هي موجّهة ضد كتاب أصبح رمزاً يجسّد في حناياه كلّ الاعتداءات والغزوات الفكرية التي تعرّضت لها المجتمعات الإسلامية منذ القرن الثامن عشر)، [2]لكنّه في موضع آخر يتمنى أن يطلّع كلّ مسلم على كتابه شخصياً كي يتفكر عميقاً وبطريقة حديثة في المكانة المعرفية للوحي[3] , وهذا أمر مناقض لما سبق وكان حريٌّ به أن يزيل هذا اللبس والوهم الذي يبدو من ظاهر عباراته وكلماته .

فضلاً عن ذلك نجده يشنُّ هجوماً كبيراً على المستشرقين وعلى طروحاتهم في فهم النصّ القرآني وذلك بسبب استعمالهم للمنهج الفيلولوجي لدراسته ووعيه , ويعدُّ ذلك استعمالاً ضيقاً لأنّ العمل انحصر على وفقه بسرد الوقائع , حيث قال : (ينبغي أن نسجل هنا ما يلي : إنّ كلّ العلم الاستشراقي كان محصوراً بالتاريخ للوقائع الخام للتراث أو استعادتها عن طريق استخدام المنهجية الفيلولوجية من نحو وصرف ومعاجم ودراسة تركيب الجملة الخ , ... وكان محصوراً بالمنهجية التاريخية التي سادت القرن التاسع عشر والتي كانت تحصر عملها بسرد الوقائع كما هي الواحدة بعد الأخرى)[4] .

وعدّ ذلك قصوراً من المستشرقين في دراسة النصّ القرآني , حيث يقول : (وهذا القصور الابستملوجي يبدو لنا واضحاً جلياً إذا ما اطلعنا على الأعمال الكلاسيكية للمستشرقين من أمثال نولدكه وبلاشير و انسيرو وماسون وبارت وآخرين عديدين)[5] , في حين نراه يدعو لدراسة أي

---

[1]- ظ : م . ن : 303 – 329 .

[2]- الإسلام , أوربا , الغرب / محمد أركون : 141 .

[3]- ظ : م . ن : 141 .

[4]- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل / محمد أركون : 30 .

[5]- القرآن – من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني / محمد أركون : 33 .

نصّ ديني أو أدبي وخاصـــة القرآن الكريم الذي يســـميه (الخطاب الديني)[1] يدعو الى دراســـته دراسة تفكيكية, ويعزو ذلك قصوراً أيضاً من قِبَلِ المفسرين القدماء , فقد قال : (ولن يحاول أيّ واحد منهم أبداً أن يفكك تاريخياً وفلسفياً نظام المسلّمات أو البديهيات المؤيّدة منذ قرون عديدة بصفتها موقفاً دوغمائياً مقدّساً أو معصوماً)[2] , فهذا اللوم ضد منْ لم يستعمل التفكيك يدعوه إلى اتباع هذا المنهج في دراســـة النصّ القرآني تفكيكياً, وإنّ من أســـس التفكيكية هي الرجوع إلىالأصـــول المشـــتركة وقراءة القرآن الكريم من خلال ما جاء من نصـــوص توراتية او إنجيلية لمعرفة أصـــول القرآن الكريم بوصـــفه قد وُلِدَ في بيئة ازدحمت بتعاليم هاتين الديانتين . وهذا ما يسميه بـ(التداخلية النصّائية)[3]أو البين نصّائية , أي علاقة النصّ القرآني بالنصّوص الأخرى أو تداخله معها , وهذا ينبغي عليه أن يدرس كلّالنصّـوص الحافة بالقرآن الكريم أبان نزوله وكذلك الذاكرات الجماعية الدينية – الثقافية للشـــرق أوســـطية القديم[4] , وهذا المنهج في الدراســـة هو منهج فيلولوجي لأنّه قائم على دراســـة حفرية للأصـــول المكوّنة لهذا النصّ ومعرفة مقدار التناصّ الذي وقع فيه القرآن الكريم – بحســـب زعمه – وهو يُناقض ما كان قد انتقد به المســـتشـــرقين في أعمالهم الكلاسيكية من نحو نولدكه وغيره الذين استعملوا المنهج نفسه .

إذن , أجد أنّ هنـاك كثيراً من المســـائل التي تناثرت في كتبه ومؤلفـاته التي مثّلت مجمل آرائه وطروحاته حول النصّ القرآني تحتاج إلى مراجعة معمّقة لكشـــف هذه الإشـــكالات وبيان اللبس الذي وقع فيها , وأنْ يكون الحذر دليلنا وقائدنا في قبول أو عدم قبول رأي ما أو فكرة معيّنة يمسُّ كتاباً عظيماً على مســـتوى الفكر العالمي والإســـلامي إذ بُنيت عليه حضـــارة كان لها أثرها الكبير في الفكر العالمي .

أركون والنصّ القرآني وجهاً لوجه :.

ما كتبه محمد أركون من دراســـات حول القرآن الكريم خاصـــة والفكر الإســـلامي عامة يمثّل مشـــروعاً متكاملاً ومتناً علمياً لم يُفارق كثيراً ما جاء في التراث الإســـلامي بشـــكل عام , إلّا أنّه ربما تجاوز بعض الحدود المرسومة التي قيّد الفكرُالإسلامي نفسَهَ بها , وما كان ذلك إلاّ بسبب من

---

[1]- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل / محمد أركون : 30 .

[2]- القرآن – من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني / محمد أركون : 39 .

[3]- ظ : م . ن : 32 .

[4]- ظ : م . ن : 32 , 40 .

نظرته النقدية المتعالية على حالة التقديس للنصوص الدينية التي يعدّها نتاجاً بشرياً خاضعاً للنقد والتأويل والتصحيح , وربما نسب الى بعضها الانحرافات والضلالات التي أغرقت الفكر العام للمسلمين , فعملت على توجيههم بالوجهة التي يُريدها المتكلمون أو الفقهاء والأصوليون بسبب سياسي – ديني أو أيديولوجي يحاول أن يحصر النصّوص الدينية بمكان يمكن الإفادة منها في توجيه الثقافة المجتمعية بوجهة تخدم تلك الإيديولوجيا أو النظام السياسي .

لقد نثر محمد أركون مجمل آرائه ودراساته ونقوداته في كتبه فمنها ما كان خالصاً لدراسة النصّ القرآني[1] ومنها ما تناثرت آراؤُهُ حوله في باقي كتبه ومؤلفاته[2] حتى أصبحت تلك الدراسات تمثل مشروعاً أو متناً علميا لمشروع في دراسة القرآن الكريم .

لقد كان يرى أنّ هناك صعوبة كبرى في تحديد مضمون القرآن أو محتواه ويعلّل ذلك بسبب من وجود هالة التقديس وقبول المتخيّل وفقدان القيود التي تمحّص التفسير, حتى أصبحت بمرور الزمن مقدسة [3] .

فضلاً عن ذلك أنّه كان يرى في القرآن الكريم نصّاً منفتحاً على كلِّ القراءات وهذا مما يجعله منتجاً لنصوص ثانوية أو تفاسير تمثّل وسائط بين النصّ القرآني والمتلقي على وفق أساليب واستراتيجيات متغيرة .[4]

بيد أنه يعدّ القرآن الكريم كتاباً بعيداً جد عن الروح الحديثة، لأنّه - كما يقول – (يهبط عزيمة القارئ بسبب طريقته العجيبة والخاصة في تقديم أفكاره , ثم بسبب فوضاهُ العارمة واستخدامه غير المعهود الخطاب , وكثرة تلميحاته الأسطورية والتاريخية والجغرافية والدينية , يُضاف إلى ذلك أنه يُتْعب القارئ بتكراره وغياب انسجامه وخروجه عن المألوف)[5] , وهذا – بحسب زعمه – ممّا يؤدي إلى استحالة الدخول إلى مناخ الخطاب القرآني من قبل القارئ

---

[1]- منها كتاب :قراءات في القرآن , وكتاب القرآن من التفسير بالموروث الى تحليل الخطاب الديني .

[2]- منها كتاب : الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد , وكتاب من الاجتهاد الى نقد العقل الإسلامي , وكتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل , وغيرها .

[3]- ظ : الفكر الإسلامي– نقد وتوجيه / محمد أركون : 95 .

[4]- ظ : م . ن : 95 .

[5]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 82 .

الحديث الذي تعوّد في قراءاته على منهجية خاصة نتيجة للطفرة العلمية التي حدثت للبشرية منذ استهلال عهد العصر الصناعي[1] .

كلّ هذا وغيره ممّا حدا به إلى أن يقرأ القرآن الكريم قراءة معاصرة منبثقة من ثقافته التي انتهجت نهجاً غربياً ومستعيناً بالنظريات الغربية المعاصرة في فهم النصّوص الدينية, فجعل القرآن الكريم مادة لدراسته كي يقدّم لنا فهماً ووعياً جديداً خالف فيه كثيراً مما جاء في التراث الإسلامي والعربي منذ عصر النبوة والقرون التي تلته بعد مراجعة فاحصة للمصادر التراثية وخاصة ما كان من لغة القرآن والتراث الديني الذي عاصر نزولهعلى وفق منهجٍ اختلطت في خطواته قيم الحداثة والتراث , غيرأنّه لم يغرق في الاتصال بالتراث ولم يأخذ ما ورد فيه مأخذ المسلّمات , إذ نلمس عنده بعضَ قطيعة معه وليس قطيعةً كليّةً أو كبربكما كان من الدكتور عبدالله العروي في مشروعه الفكري[2] ولا هو قد تمسك به تمسكاً كبيراً كما كان من الدكتور محمد عابد الجابري[3].

بل كان يرى أنّ مفهوم القطيعة من حيث رهاناتها يرتكز على مفهوم التراث الذي بلورهُ , وعلى العوائق التي رأى أنّها تكبّله وتجمّده , واهتم بكل الخطوط والاتجاهات التي وقع تناسيها أو طمسها وقمعها , بل عدّها منطلقات أصيلة , ثم حدّد مجموع العوائق التي واجهها في دراسة النصّ الديني المتمثّلة بالمسلمات التي أرساها العقل الأرثوذكسي الذي جعل من فهم السلف لهذا النصّ لا يمكن نقده أو تجاوزه فتمدّد نطاق التقديس وتوسّع حتى أصبح عائقاً – كما يرى – في فهم النصّ القرآني خاصة , فضلاً عن إيمان ذلك العقل بأن الحقيقة واحدة لا يمكن أن تتبعض أو تتغيّر, ومن ثم عدّ أجيال المسلمين متعاصرة تعاصراً واحداً يحققه ذلك التراث الحي[4] .

وكان يرى أيضاُ أنّ بين الحاضروالماضي صلة لا فكاك منها وهذا يُدنيه من محمد عابد الجابري , وكذلك نقد التوظيف الإيديولوجي للدين والتراث مما يقرّبه من عبدالله العروي, إذن

---

[1]- ظ : م . ن : 82 .

[2]- ظ : التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي / د : امبارك حامد : 267 .

[3]- ظ : م . ن : 199 .

[4]- ظ : م . ن : 230 .

كان موقف أركون من القطيعة مع التراث يتأرجح بين موقفين اثنين , موقف قريب جداً من التراث وآخر يقطع كلّ صلة معه .

هذا الموقف الأركوني من التراث جعله أكثر مرونة في مواجهة نقدالنصّ الديني , إذ كان قد انفلت من قيود التراث التي ربما تأسره فتكبله قدسية النصّوص فيقف عاجزاً أمام أي نصٍّ ديني , وهو في المقابل قد حققَ صلة فتحت له أبو اباً و آفاقاً من التفكيرداخل التراث وعدم قمعه , وذلك أنّ الحاضر مرتبط بالماضي في كل صوره وأشكاله وإن تغيرّت ملامح الحاضر عن الماضي.

لقد حدّد محمد أركون منهجاً خاصاً به اعتماداً على هذه الصلة المتوازنة بين القطيعة وعدمها اتجاه التراث ليتحرك بسهولة ويسر في نقد النصّوص الدينية فبحث في أصولها ومنابعها ورو افدها ومن ذلك ما كان من مفهوم الكلالة في قوله سبحانه(وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ[1])فعندما اصطدم بإشكالية معنى الكلالة استعان بما ذكره الطبري في تفسيره [2], فاستقدم لذلك كلَّ ماله من صلةٍ بالمجتمع وثقافته لأجل زحزحة إشكاليات أي التعامل مع النصّوص الدينية على أنّها نصوص تراثية يمكن التوصل الى دلالاتها ومعانيها من خلال الحراك الاجتماعي الذي وُجدت فيه أول تأسيسها أو قيامها.

ولعلّ اللغة كانت هي الرافد الأول في منهجه لدراسة النصّ القرآني , وفهمه , متعمداً في ذلك النظر إليها على أنّها وعاءٌ مرنٌ للأفكار, فربما تجد في ظاهر النصّوص معاني معيّنة , لكن في المقابل تجد أنّ النصّ قابلٌ لأن تُزَحزح معانيه ودلالاته في سياقاته الى معانٍ أخرى بالتأويل وذلك إنه وجد في اللغة العربية التي نزل بها القرآن من الشاعرية ما تخلب الألباب والعقول حين ترتقي بالمفردات النصّيّة الى عالم متعالٍ عن الواقع ومؤثرٍ في نفوس المتلقين .

- مستلزمات وعي النصّ عند محمد أركون:.

اعتمد محمد أركون على مجموعة من المستلزمات وجد أنّها مهمة في وعي النصّ الديني وفهمه , وتحديد دلالاته التي يتوخاها ذلك النصّ , غير أنّه لم يُغادر في دراسته لزمن ولادة ذلك النصّ أو

[1]- سورة النساء / الآية 12

[2]- جاء ت قراءة أركون في محاضرة ألقاها في المركز الثقافي بباريس للجزائر .ظ : سلطة النص / عبد الهادي عبد الرحمن : 207 – 208 .

بيئته , ورأى أنّ النظر إليه يكون في زمانه وبيئته , فهما معياران مهمان في توجيه الدلالة التي يبتغيها , لذا حدّد بعض المستلزمات لوعي النص ولعلّ من أهمها :

أولا :لغة النصّ الديني – الوعي والمعنى

ربما كان منه هذا التوجه في فهم اللغة ووعي النصّ بسبب من إيمانه أنّ مبدأ التفكيك هو المنهج الذي سار عليه في فهم تلك النصّوص وذلك من خلال إرجاع مفرداته وكلماته إلى زمانها وحراكها الاجتماعي، التي تكوّنت فيه بعيداً عن تأثيرات تقاليد اللاهوت القديمة التي يرى أنّها عملت على تجميد اللغة،ضمن صياغات لفظية ودلالات محدّدة على وفق العلاقات التي يشترط الآلية اللفظية المعنوية لكلّ لغة من لغات الوحي (العبرية – الآرامية –العربية) .

لقد نظر إلى اللغة نظرة منبثقة من الو اقع المعاصر فوجد أنّ فهم الدلالة والمعنى في اللفظة تعتمد على العلاقة بين الألفاظ والأشياء وأنّها علاقة وسائطية, أي أنّ اللفظ يتوسط بين المعنى والشيء المراد له لمختلف اللغات , فالشيء ربما يكون له أكثر من اسم في اللغات الأخرى[1],

واللفظ يكون له كذلك أكثر من معنى, لذا عندما قرأ النصّ القرآني فأنه قسّمه على ثلاث لحظات (مراحل) هي :.

1- اللحظة الألسنية , وهي المرحلة التي رأى أنّها بُنيت على أساس قراءة النصّ القرآني من خلال مفرداته وألفاظه , أي أن معنى المفردة اللغوية في النصّ القرآني لا يمكن إيجاده من خلالها لوحدها أو في العبارة التي وردت فيها , بل ينبغي التعامل معها على أساس النصّ القرآني بأكمله , لأنّ التحليل اللغوي لا يتم إلاّ داخل اللغة العربية بوصفها نظاماً كاملاً, فيستعين بوظائف اللغة والأصوات وعلم النفس والاجتماع والتاريخ , فهذه كلّها يستدعيها ويستعين بها لأجل تشكيل شبكة المعاني والدلالات المترابطة [2] .

لذا كان يرى أنّ قراءة النصّ القرآني على وفق هذه الرؤية قراءة تزامنية, أي يجب أن يتموضع الباحث أو القارئ في عصر النزول وينسى تماماً أنّه في عصره الحاضر لكي يفهم القرآن على حقيقته , واستدل على ذلك بكلمات (مال , كتاب , جاهل) فوجد أنّ هذه الكلمات لا يمكن

[1]- ظ : الفكر الإسلامي – نقد وتوجيه / د . محمد أركون : 82 .

[2]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون 86 .

أن تؤدي وظائفها أو معناها إلاّ إذا استُقبلت كـــ(كلمات – رموز) وليس مجرد كلمات أو مفردات لغوية أو حيادية[1] .

فهنا أشار أركون الى التضاد بين معنى الكلمة كمفهوم وبين معناها كرمز من خلال الاستعمال القرآني , فالقرآن الكريم لم يذكر الكلمةَ لفظةً مجردةً و إنما أضفى عليها شيئاً من الرمزية ليرفع قيمتها الدلالية الى عالم أكثر رحابة و اتساعاً .

2- اللحظة الانثربولوجية

وهذه المرحلة تكمن في اكتشـاف لغة ذات طبيعة مجازية – أسـطورية للقرآن الكريم أي الرمزية في النصّ القرآني, والأسـطورة عنده لم تكن بمعنى الخرافة بل الأسـطورة أو (أحسـن القصـص) – كما يقول – هي بمنزلة التعبير الرمزي عن حقائق بدائية أصـيلة , فالأسـطورة عنده لا تنفصـل أبداً عن ثقافة المجتمع ووعيه الذي تبلورت في أحضـانه , لذا يرى أنّ (وظيفة الأســطورة هي أن تعيدنا إلى عصر البراءات الأولى والى فضاء عقلي تكون فيه الأفعال البشرية ليست صالحة فقط , و إنما مرغوبة أيضاً)[2] .

لذ إنّ الأســطورة تحتمل فضــاءات دلالية غير منظورة على ســطح النصّ , بل تحتمل فضـاءات رمزية , لا تزال تجد لها أصـداء في الفكر العربي المعاصـر فضـلاً عن الفكر القديم , لأنها عملت في النصّ القرآني أو عموم النصّــوص الدينية الأخرى , عملت على رفع أو تعالي الكلمة المفردة إلى رمز متعالٍ تنفجر عنه وتنبثق مفاهيم متعددّة , وهذا الارتقاء في الفهم والدلالة يؤدي إلى ارتقاء المعرفة الو اقعية المحســوســة للمفردات إلى معرفة ذات لغة أســطورية شــاعرية تستطيع أن تفيض على لبِّالقارئ أو المتلقي وتوقعه أسيراً مذهولاً[3] .

3- اللحظة التاريخية

[1]- ظ : م . ن : 91 .

[2]- م .ن : 93 .

[3]- سأناقش هذه القدرة في اللغة كونها لغة شاعرية في حديثنا عن المجاز والتأويل .

وهذه المرحلة تكون متأخرة عن لحظة أو مرحلة نزول النصّ القرآني , فهي المرحلة التي أُلِّفت فيها التفاسير للقرآن الكريم من أول صدورها حتى عصرنا الحاضر[1] , موجّهاً نقده لها وما آلت إليه , فوجد أنّه أما يبقى معتمداً على بعض النصّوص التفسيرية ذات المصداقية من بعض تفاسير الفقهاء الكبار, ووجد أنّ مثل هذه التفاسير ستكون في منأى عن النقد , وهذا مما يخلق جموداً فكرياً يُضفي بظلاله على مجمل الفكر الإسلامي , أو أنّه ينظر إلى التفاسير على أنّها شهادات على الوعي الإسلامي في عصرها , وهي في نظره الأفضل لأنّها تحرّر الأفق الفكري من كلّ المسلمات اللاهوتية والفلسفة العتيقة , وهي كذلك تفتح المجال أمام إعادة قراءة النصوص المقدسة قراءة مبتكرة وغير تقليدية مما يُفضي الى نتائج جديدة غير ما ذُكرت في مجمل التفاسير الكلاسيكية , وهذا التوجه ينطبق مع منهجه النقدي للنصّ الديني لأنّه سيعمل حراكاً دلاليا مبنياً على انزياح الكلمات من مواضعها في أصل الوضع إلى مواضع أخرى تستطيع أن تواجه المتغيرات على مستوى الفكر والمجتمع والثقافة .

ومن المعلوم أنّ الساحة الدينية الإسلامية مع بداية القرن الثالث الهجري كانت مسرحاً لدخول فلسفات الإغريق واليونان وقد أثّرت في الثقافة العربية , حتى أصبح هناك تداخلٌ بين الثقافة والمجتمّع فأثّر أحدهما على الآخر, وقد استغل النظام السياسي هذا الحراك العلمي , فأخذ يبحث عن أيديولوجيا لتثبيت أركانه فقدّمت هذه الفلسفات الأداة العلمية لذلك , فنتج عنها اتجاهان في قراءة النصّ الديني الذي يشكل عماد المؤسسة الدينية آنذاك , فكان أحدهما يبحث عن معاني الكلمات وعن البنية النحوية والأساليب البلاغية في اللغة المؤلّفة للنص القرآني , و اتجاه آخر راح يحوّل الوحي المتفجرّ لغوياً الى قانون أخلاقي , وهو ما مثّله علماء اللاهوت والأصول[2] .

وكلا الاتجاهين – بحسب ما يرى – عمل على تحويل الطاقة اللغوية المتفجرة في النصّ القرآني إلى قوانين جامدة غير قابلة للنقد وهذا يوحي للقارئ أنّ هذه الأنظمة الفلسفية التي تأثّر بها العلماء المسلمون قد قيّدت النصّ الديني فأدخلت قوانينها في مجمل التفاسير إذ مثّلت خلاصة الفهم للنص القرآني أو هي كانت المعبِّرة عن مقدار وعي معانه .

---

[1]- ظ : قراءات في القرآن الكريم / محمد أركون : 101 .

[2]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون : 101 .

لقد أفرزت هذه الفلسفات - كما يرى أركون – أكثر من اتجاه في قراءة القرآن الكريم , فأولها كان اتجاه الحرفيين أو الظاهريين الذين اعتنوا بظاهر النصّ دون الخوض في تأويله ويمثل هذا الاتجاه (الحنابلة والظاهرية) , ومنهم من فعّل دور العقل وهم (المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة) الذين كان يثقون بالعقل الأرسطي ثقة مطلقة وكانوا يرونه تجسيداً للعقل البشري , وهناك موقف ثالث دعاهم بالابتكاريين الخلّاقين وهم (المتصوفة والشيعة) وهؤلاء تتأرجح عقائدهم بين الرمزية المتصوَّرة على هيئة اكتشاف تجريبي للأساطير- الرموز في القرآن الكريم – كما يرى أركون – وهم المتصوّفة , وبين النزعة الغنوصية الباطنية المعاشة كحلم يقظة باطني ويمثله الشيعة [1] .

لكنّ هذا الموقف والتقسيم لتلك اللحظات في مسيرة النصّ القرآني لم تتفق تماماً مع ما كان يدعو إليه في منهج التفكيك , حيث انتقد من كان قبله في عدم استعماله والإفادة منه في الكشف عن مجمل المعاني والدلالات التي يتضمنها القرآن الكريم .

إذ(إنّ التفكيكية المعاصرة باعتبارها صيغة لنظرية النصّ والتحليل تخرّبSubverts كلّ شيء في التقاليد تقريباً , وتشكّك في الأفكار الموروثة عن العلامة واللغة والنصّ والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية).[2]

فهو لم يفكّك النصّ القرآني ولم يُحطّم رموزه وعلاماته ولم يلغِ الدلالة المستوحاة من بين طياته , بل كان يرى أنّ فهم معنى مفرداته لا تكون من خلال المعنى المعجمي للفظة ولا من خلال ورودها في عبارة قصيرة أو جملة فقط و إنما يرى دلالتها من خلال النصّ القرآني كله , بوصفه نصّاً لا تُحدَّد دلالاته إلاّ من خلال نظامه الكلي , فيكون بذلك قد ألغى عدمية المعنى للنص المدروس وأكد على وجود معنى يمكن الوصول إليه و إبقاء دلالته , فهو يقول : (بل إنّه خطير إذا لم نموضع هذه الكلمة داخل شبكتها المعجمية اللفظية , وإذا لم نربط هذه الشبكة نفسها بنظام القرآن ككل)[3] .

---

[1]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون : 103 – 104 .

[2]- المرايا المحدبة – من البنيوية الى التفكيك / د . عبد العزيز حمودة : 291 – 292 .

[3]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 305 .

وقد أكد هذا المنهج عندما فعّل لفظة (عجبا) في قوله سبحانه : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً)[1] , فوجد لها في مجمل القرآن الكريم معاني الاندهاش والاستغراب وفرق العادة والإعجاب[2] , فإذا أراد أن يفهم لفظة معيّنة فانّه لا يقرأها ككلمة وكونها علامة لغوية فقط , و إنما يقرأها على أنّها رمزٌكبيرٌكما في لفظة " سماء " بحسب تصوّر المتلقي وخياله , فلا ينظر إليها المؤمن على أنّها ذلك الكيان الفيزيائي , فهو ينسى الحقيقة للسماء , لكيلا يتذكرّمنها إلاّ طابع التقديس والألوهية , أي أنّ خيال المؤمن يلغي المسافة بين العلاقة اللغوية أي الكلمة وبين الرمز أو يحذفها أو يملأها من دون أن يشعر بأي مشكلة [3] .

نرى كذلك عندما يقرأ سورة الحج يدوّن مجموعة من الكلمات مثل المسجد الحرام, التطهير, التدنيس , الطواف الشعائري وغيرها فهو يؤكد دلالتها وعدم غموضها أو انعدام معناها , كما هو الحال في المنهج التفكيكي حيث ينظر إلى معناها , فهو يقول : (ينبغي العلم بأنّ هذا المعجم اللفظي الغني ما كان ليمارس تأثيره الدائم في الوعي في حال ما كان الأمر يتعلّق إلاّ بكلمات معزولة ذات معانٍ واضحة قليلاً أو كثيراً أو بالأحرى غامضة أكثر مما هي واضحة , و إنما سبب هذا التأثير الراسخ يعود إلى كون كلّ كلمة تدل على مكان ما أو شيء ما أو حركة شعائرية أو كلام ...)[4] ؛ بمعنى أنّه يرى معاني هذه الألفاظ لا تنفصل عن الو اقع الذي قيلت فيه , وأنّ تأثيرها على الوعي العام إنما يُمارس بفعل ما تدلّ عليه في الو اقع فهي في زمانها تدلّ على معانٍ ودلالات ذات مضامين مؤثرة في الوعي آنذاك , لذا يرى أنّ المعنى الحقيقي لها يجب أن يُستخرج من كلّ تلك الظروف التي حفّت بها, وفي هذا إشارة إلى أنّ القرآن تاريخيٌّ , ولا يمكن أن يتجاوز حدود زمانه وبيئته التي نزل فيها وهذه الدلالة تكون مقيّدة بتلك الظروف , فعندما يريد أن يدرس النصّ القرآني يرى ضرورة دراسة اللغة ونظامها بين عامي (550 – 632 م) أي الفترة التي سبقت نزول القرآن وحتى أيام نزوله , فضلاً عن دراسة الأساطير والشعائر الدينية في

---

[1]- سورة الجن / الآية 1 .

[2]- ظ : م . ن : 287 – 288 .

[3]- ظ : م . ن : 300 .

[4]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 485 .

الشـــرق الأوســـط القـديم لمعرفـة أثرهـا في النصّ القرآني ومفهوم مجتمع الكتـاب المتمثـل في مجموع المكونات الفكرية المشتركة لدى المجتمعات اليهودية والمسيحية والإسلامية [1].

فهذه – بحسـب زعمه – تمثل أسـسـاً مهمة في إعادة قراءة القرآن الكريم , ولعلّ قضـية اللغـة تعدّ مهمـة في هـذا المضـمـار خلافاً لما يراه المسـتشـرقون الـذي يكتفون بمجرد التراكم الأكاديمي في المعرفة حول موضـوع معيّن , في حين كان يرى ضـرورة دراسـة المجريات الأسـلوبية والبلاغيـة التي اسـتخدمهـا القرآن الكريم[2] فهي مهمـة في كشـف الـدلالـة المتوخـاة, و إنّالنصّ القرآني كان حريصـاً على الأخذ بالظاهرة اللغوية العربية أسـلوباً وبلاغةً ونحواً وصـرفاً , وإن لم تكن هذه المصطلحات مستعملة آنذاك بهذا المفهوم , غيرأنّ الاستعمال المنضبط لقواعد اللغة كان سليقةً عند العرب أبان نزول القرآن الكريم .

وربما يعترض محمد أركون على بعض الأســاليب الواردة فيه , حيث زعم وجود إقحام في بعض مقاطع الآيات القرآنية , ففي سـورة الكهف قال سـبحانه : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً)[3] , يرى أنّ ورود قوله سـبحانه : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً), كان إقحاماً ثم أظهر حيرته في (أَمْ) حيث قال : (فالي أيّ شيء تشـير" أَمْ " هذه ؟ هذا هو الأمر المحيّر, هي عادة تشـير في التناوب أو المفاضـلة بين شـيئين , ولكن لا يوجد هنا إلّا شـيء واحد, فما معنى هذه أل " أم "إذن ؟ هكذا نعود الى الفريضـة التي تقول إنّ الآيات الأولى مقحمة على السورة ؟) [4].

ولأجل إزالة ما وقع فيه أركون من حيرة وتسـاؤل لابُدّ من الرجوع الى وظائف الأدوات النحوية و أثرها في تحديد الأسلوب الذي يوجّه المعنى في عموم السورة المباركة .

---

[1]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 141 – 145 .

[2]- ظ : م . ن : 144 .

[3]- سورة الكهف / الآيات 7 –9 .

[4]- م .ن : 194 .

إنّ الأداة (أم) المستعملة هنا تسمى (المنقطعة)[1] وهي غير مفيدة للتعيين أو التناوب , بل أفادت المفاضلة بين أمرين , أحدهما أفضل من الآخر مع وجود انقطاع تام بين الدلالتين في الجملتين اللتين وقعت (أَمْ) بينهما , وهما قوله سبحانه (وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً) , وقوله ثناؤه (حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) , فالآية الأولى جاءت خبرية في حين وردت التالية إنشائية بتقدير(بل أَحَسِبتَ) , فهذا التباين بين الجملتين قد حقق تمام الانقطاع بينهما , وهذا مما جعل (أَمْ) لا تحتاج إلىما يوصلها بما قبلها بأدوات وصل لأجل أن يحقّق معنى المفاضلة بين أمرين مهمين .

فبعد أنْ ابتدأت السورة بذكر الكتاب المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الموصوف بالهداية والإنذار للكافرين , ثم حثّه النبيَّ (صلى الله عليه وآله) على أن لا يقتل نفسه عليهم من الحسرات إن لم يؤمنوا بهذا الكتاب , وذلك في الآيات (1 – 6) من السورة , فقد جعل الله تعالى للكافرين ما يبتليهم به ويختبرهم وذلك أنّه (تعالى شأنه) جعل ما على الأرض زينة لها , ثم جعلها صعيداً جزراً أي جرداء بيضاء لإنبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة , ليدل على حالة الإحياء والإماتة , وهي حالة حادثة في كُلِّ يوم , ثم يوجّه الله تعالى قوله إلى النبي (صلى الله عليه وآله) مستنكراً أن يحسب ما كان من قصة أصحاب الكهف بأنّها أعجب مِمّا ذُكر من الإحياء والإماتة والإزالة اليومية المذكورة في الآيات السابقة , فقصتهم ليست بأعظم ولا بأعجب مما ذُكِر كما يدّعون .

وللاستدلال على صحة هذا الاستنتاج ما جاء في قوله سبحانه : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ)[2] ومن ثم يسرد أحداث القصة بما يُناسب المقام المذكور في الآيات السابقة للأحداث , وكأنّ المعنى المطلوب من ذِكر قصة أصحاب الكهف التي هي قصة عظيمة في عُرْف اليهود المذكورة في كتبهم , أنّها ليست بأعظم مما هو موجود من حوادث الأرض المتمثلة بالإحياء والإماتة اليومية, لذا كان التوجيه أن لا يقتل نفسه حسرات على مَنْ يدعوهم إلىالإيمان برسالة

---

[1]- صنّف النحويون (أمْ) على نوعين , متصلة وأخرى منقطعة , فالمتصلة تكون على نوعين , الأولى أن تتقدم عليها همزة يُطلب بها وبـ (أَمْ) التعيين , والثانية تتقدم عليها همزة التسوية , وهي الواقعة بعد سواء وتسمى " معادلة " لمعادلتها الهمزة في التسوية أو الاستفهام . أمّا (أَمْ) المنقطعة , فهي تقع بين جملتين مستقلتين وتفيد الإضراب عن الكلام الأول , ومعناها في الغالب معنى (بل) والهمزة الاستفهامية . ظ : معاني النحو / د . فاضل السامرائي : 3 / 213 – 214 .

[2]- سورة الكهف / الآية 13 .

السماء ولم يؤمنوا بها , إذ إنّ في الأرض آيات عظيمة هي أعظم من قصة أصحاب الكهف فحقّق المفاضلة بين الأمرين .

هذا الاستنتاج يتفق تماماً مع رؤية محمد أركون في وظيفة القصص القرآنية التي ينبغي العلم بأنّها تُعبّر دائما عن التوتر الصراعي بين تاريخ نموذجي مثالي موجّه مستقل أخروي , وبين تاريخ دنيوي فارغ أو مفرّغ من أي منظورٍ بعيد المدى[1], فالتوتر كان واضحاً ليس على مستوى أحداث القصة فقط , بل حتى على مستوى التركيب اللغوي لها , إذ شكّلت هذه الآيات بؤرة توتر مركزية في (أَمْ) المفاضِلة بين ما قبلها وما بعدها فأوضحت معنى لم يكن سهل الوصول إليه من خلال قراءة ساذجة أو بسيطة و إنما من خلال قراءة تحليلية نقدية للنص .

وعودا على بِدْء , أنّ أركون كان يرى أنّ النصّ الشفاهي هو نصٌّ لا يمكن إدراك كلّ مضامينه لأنه نصٌّ إلهي في حين كان يعدّ النصّ الكتابي من إنتاج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) , و أنّه قابل للتأويل على مرّ العصور, لذا كان يعي أنّ هناك فرقاً أو بوناً بين دلالة النصّ الشفاهي ودلالة النصّ الكتاب[2]وأنّ هناك ضياعاً في المعنى ناتج عن الانتقال من المرحلة الشفاهية إلى المرحلة الكتابية , يقوم القارئ بتعويض هذا الضياع من خلال خضوعه للعبادات الشعائرية وغيرها , وهذا مما يُفقد الدقة في القراءة والتفاسير الكلاسيكية للنص القرآني[3] , - بحسب ما يرى - .

هنا محمد أركون قد تعثر أيضاً عندما نظر إلى النصّ القرآني في المرحلتين نظرةً تفكيكية [4] , في حين وجدناه في ما سبق بنيوياً قد أوجد بؤرة مركزية للمعنى , وهذا مما أقلق القارئ أو المتتبّع لدراساته بأي طريقة يقرأ النصّ القرآني أو الديني عموماً وربما كان مبعث هذه الثنائية في القراءة إلى الإحباط في الهوية التي كان يُعاني منها بسبب هويته الإسلامية ودراساته المتأثرة بالغرب , فكان هذا الشاغل قد شتّت حالة الانتماء في الهوية , لذلك انعكس على سلوكه في النظر في القراءة وصياغة الأفكار و اتباع المنهج الملائم لها .

---

[1]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون : 311 .

[2]- ظ : الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد / د . محمد أركون : 85 .

[3]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون : 85 .

[4]- أقول أنّه نظر الى النصّ القرآني نظرة تفكيكية فهو يرى النصّ المكتوب هو من عمل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) , بعد أن استلمه شفاهاً عن جبرائيل , فالمتلقي هنا يكون قد أعمَلَ فكره وأسلوبه في صياغة النصّ فوقع الاختلاف بين النصّيّن .

إنّ محمد أركون – كما عرفنا من قبل – وُلِد في عائلة بربرية ودرس في أيامه الأولى في المدارس العربية ثم أكمل دراسته في المدارس الفرنسية فتكوّنت له انتماءات متعدّدة وقيم فكرية مختلفة , مما انعكس كلّ هذا التنوّع الانتمائي على مجمل تفكيره فظهر هذا التشتت الفكري تشتتاً في المنهج المتَّبع في قراءاته للنصّ الديني عموماً , والقرآن الكريم على الخصوص , إذ نراه قد بدأ تفكيكياً وأكّد هذا المنهج حين أظهر أثر ديريدا في دراساته حيث قال : (ينبغي الاعتراف بأنّ نظرية التفكيك التي بلورها دريدا في الساحة الفرنسية كمنهجية وكحلٍّ للتساؤلات الفلسفية تظل بالنسبة لي ممارسة فكرية خصبة رغم كل الانتقادات التي وجّهت إليه)[1] , لكنّه انتهى في قراءته للنص القرآني بنيوياً , حين حدّد دلالة اللفظة ومعناها من خلال بنية النصّ المتّمثلة بلغته وقواعدها النحوية وتمركز المعنى , فضلاً عن الأثر الاجتماعي والنفسي , والتداخلية النصّانية (البين نصوصية) أي علاقة النصّ القرآني بالنصّوص الأخرى أو تداخلها معه[2] , وقد سمّى هذه القراءة بالقراءة الأفقية الزمانية المكانية , الوضعية المفروضة[3] .

* المجاز/ التأويل وتفجير اللغة

يرى محمد أركون أنّ هناك قراءة أخرى هي القراءة العمودية التي يعني بها القراءة المجازية للنص القرآني , وهذه القراءة تُعنى – كما يزعم – بدراسة القرآن الكريم بوصفه نصّاً موحى به , وهي قراءة متضادة مع القراءة الأفقية , لأنّ الأخيرة هذه قد مارست منعاً من الخوض أو التفكير بما ورد في التراث العربي – الإسلامي عَبْرَ عصوره في فهم النصّ القرآني , إذ يُعَدُّ مقدّساً لا يمكن معارضته أو التفكير به , لذا سمّاه أركون بـ(اللامفكرَّبه) فيما كانت القراءة العمودية تُعنى بالفهم المجازي لدلالة الألفاظ والكلمات , والارتقاء بالنصّ من خلاله إلى عالم ارفع من الواقع المعاش , مما يُفرز دلالات أخرى لا يمكن أن تتصوّرها القراءة الأفقية للنص .

وهذا وجَّهَهُ إلى أن يجد تناقضاً بين القراءتين , لكنّ ذلك لم يعفِهِ من تحمّل الوزر بسبب من عدم إصابته في ذلك بسبب أنّ القراءة الأفقية تقتنص جزءاً من الدلالة الكلية للنصّ, وتكتمل بالقراءة المجازية أو التأويلية له , فكلّ قراءة هي مكمّلة للأخرى وغير منفصلة عنها .

---

[1]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 685 .

[2]- ظ : القرآن , من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني / محمد أركون : 33 .

[3]- ظ : م . ن : 41 .

إذ إنّ القراءة الأفقية ربما تهتم بالمعنى الظاهر أو الذي تفصح عنه الألفاظ والمفردات من خلال معناها المعجمي أو التركيبي , غير أنّ للمجاز وظائف أخرى , فهو ينهض بالمفردات من واقعها الحسي إلى الرمزية , ويرى أركون في المجاز أنّه (تحويل ما هو واقعي وتحويره لكي يتحوّل الى رمزٍ متعالٍ بواسطة العملية المجازية)[1] , وهذا أسلوب يراه أركون يُدخل الروعة والدهشة والعجب لدى متلقي النصّ وخاصة ما كان في القصص القرآني , ففي قوله سبحانه : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً)[2] قد لاحظ أنَّ هذا الخطاب القرآني _ من خلال لغته _ قد نفَّذَ عملية تحوير للمعطيات المادية الواقعية للعالم المحسوس وحوّلها إلى رؤية عجائبية مدهشة خاصة بالعالم المخلوق الآخر[3] , وهو عالم الجن , إذ لاحظ أنَّ الفكر الإسلامي – كما في الفكر المسيحي أو اليهودي – يرى أنّ هذه المعجزات والنشور والملائكة والجن , هي وقائع حقيقية لا يمكن ضبطها عن طريق الحواس ولا يمكن تفسيرها بواسطة السببية , مع أنّها أكثر حقيقية وصحة من الأشياء المادية , فهنا يتموضع الصراع بين الموقف العقلائي المدمّر للأسطرة الخاص بالفكر المعتزلي, والموقف الإيماني التسليمي للحنابلة[4].

فموقف الحنابلة يتسم بالواقعية الحسية والاستسلام للظاهر, في حين يرتفع الفكر المعتزلي عن الواقعية الى عالم أكثر انفتاحاً بفضلحمل النصّوص والمفردات معان ودلالات أخرى من خلال التأويل , فاللغة القرآنية لغة رمزية بالدرجة الأولى أو هي عملية مجازية , فالمجاز عنده تلاعبٌ في الألفاظ من حيث دلالتها , والقرآن يصف هذه الحقائق بهذه الطريقة التي تعمل على تحوير هذه الوقائع والحقائق الى رمزٍ متعالٍ نقف أمامه مبهورين مندهشين , والمقصود من هذا الأسلوب المدهش هو لتعميق الوعي الإيجابي لدى الفرد المؤمن , وتشكيل حاجز نفسي يمنعه من مواجهة أو نقد هذه الحقائق التي تصُوِّرها تلك الألفاظ والكلمات في سياقها فيزداد إيماناً .

لكنّ هذا الأسلوب الساحر في القرآن لم يشمل كلّ القرآن – بحسب زعمه – بل كان يرى أنّ من الآيات القرآنية ما لا يوجد فيها سحر أو بيان بل نزلت الى الكلام العادي كالآيات

---

[1]- قراءات في القرآن / محمد أركون : 305 .

[2]- سورة الجن / الآية 1 .

[3]- ظ : قراءات في القرآن / محمد أركون : 314 .

[4]- ظ : م . ن : 280 .

التشـريعية فهو يقول : (أين البلاغة وسـحر البيان ؟ إنّه لا يشـمل كلّ آيات القرآن , هناك آيات و آيات , الآيات التشـريعية مثلاً لا أثر للشـاعرية فيها , بل قد تبدو ركيكة ومملّة)[1] , في حين كان إيقاع السور المكية شاعرياً , لأنّها كانت بمواجهة مباشرة مع المكيين ليست لغرض تشريعي بقدر ما كانت مواجهة لغوية بين تيارين غير مرتبطين بمنطقٍ عقلاني, ليكون لها أكثر أثراً في تغذية الخيال وإلهاب العاطفة, وهي تمثل مرحلة مهمة كان للغة الشـاعرية وقعُها المؤثر في نفوس السامعين .

إنّ اللغة الدينية عامة, ولغة القرآن خاصة – كما يرى أركون – تكون أكثر ارتباطاً باللغة الشـعرية منها إلى لغة المنطق العقلاني , ويعزو ذلك أن تلقّيها عن طريق العقل يختلف عن تلقّيها عن طريق العاطفة , من النظرة النفسـية – اللغوية , وذلك أنّ اللغة الشـاعرية تجمح بنا نحو الخيال بعيداً عن الو اقع الصحيح, بمعنى أنّ اتباع طريق اللغة في الفهم ربما يؤدي إلى فهم غير صحيح للنص القرآني لما في اللغة من فنون البلاغة والبيان والبديع المكوّنة لمجموعة من الصور التي يدخل في خضمها الخيال الذي يبعدنا عن الحقيقة لأنه غير منضبطٍ بقواعد وأسس تحدّد الدلالة , في حين أنّ سلوك طريق العقل يؤدي إلى نتائج صحيحة لأنّ هذا السلوك محدّد بقواعد صارمة توجّه المعنى بشكل صحيح بعيداً عن جموح الخيال .

لكنّ طبيعة لغة النصّ القرآني ليسـت لغة شـعرية بحتة , ولا هي لغة منطق متعالٍ عن الو اقع , بل هي تجمع بين الأمرين معاً ولعلّ الموجّه لهذا السـلوك اللغوي في القرآن الكريم هو طبيعة النصّ وتمثلاته في الو اقع الذي نزل فيه , فالقرآن الكريم في مجمله قصدي الدلالة , لذا إنّ الوحي كان ينسّـق بين الأسـلوبين معاً حين نزول القرآن الكريم أي يكون فيه تحولٌ أو انتقال بين مسـتويين من الأسـلوب بين اللغة الشـعرية واللغة المنطقية , وهذا مما جعله يختلف عن النصّ الجاهلي شـعراً ونثراً , فهو لم يكن شـعراً بمعنى احتو ائه على أوزان أو قوافٍ ولا هو بالنثر الملتزم بقو انينه وطريقة إنشـائه وتأليفه , بل هو قرآن قائم بنفسـه , وربما كانت هذه الطريقة في نثر آياته وسوره هي التي أغرت فصحاء العرب وبلغاءهم به فانشدّوا إليه وتلصّصوا على مكامن قراءته أيام الدعوة السرية في بيوت المسلمين بمكة ليشـنِّفوا أسماعهم بكلماته و آياته وسوره ,

[1]- م .ن : 305 – 306 .

بل كان للسماع أثرٌ في إيمان كثيرٍ منهم , إذ أشار القرآن إلى ذلك حين قال تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)[1] .

إذن نلمس في بنية النصّ القرآني ثنائية الحقيقة والمجاز وثنائية الشعرية والمنطقية, وإنّ إهمال أيّ طرفٍ من هذه الأطراف في الثنائيتين مما يُوقِع المتلقي أو المفسّر بقصور النظر إلى النصّ القرآني وبالتالي سيؤدي إلى عدم استخلاص المعنى الأقرب لمراد الوحي فيه , وربما يوقعه في وهم الملازمة التاريخية للنص القرآني , أي القول بتاريخيته ومن ثم عَدّهُ وثيقة تراثية تعبّر عن البيئة التي نزل فيها , أو هو انعكاس لموازين القوى في مكة التي تتمركز فيها رموز القوة السياسية – الدينية وقوى التجّمع ودفاعات الخيال الجماعي للمجتمع العربي .

ولعلّ من المهم أن نذكر شيئاً ممّا يراه محمد أركون في ثنائية أخرى أوجدها هي ثنائية الخطاب الشفوي والخطاب الكتابي , وكان يرى إنّ النصّوص المكتوبة وحلولها محل النصّوص الشفوية للوحي قد ولّد ظاهرتين ذو اتا أهمية ثقافية وتاريخية هما [2] :

أولاًأنّه وضع الشعوب التي نزل فيها الكتاب المقدّس – القرآن عند المسلمين – وضعها في حالة تأويلة دائرة أي جعلها مضطرة دائماً لمراجعة القرآن الكريم لأجل استخراج معانيه ودلالاته فضلاً عن الأحكام وهذا أعطاه ديمومة من خلال تعدّد الفهوم والتأويلات ممّا ضمن استمراريته, غير أنّ أركون في هذا ينطلق من نظرة تفكيكية طالما رآها منهجاً له في تحليلاته النقدية إذ يعدُ تعدّد التأويلات مما تُعطي للمتلقي حرية فهم النصّ على هواه وتأكيد تاريخيته لكنّه في التطبيق الفعلي عند تحليل النصّ القرآني يتّجه اتجاهاً بنيوياً كما ذكرنا ذلك من قبل .

ثانيا إنّ المصحف المكتوب سيكون بمتناول الجميع فيصبح أداةً ثقافية وناقلاً للحضارة وهذا ممّا يؤدي – كما يرى – إلى انتشاره بشكله الورقي بين كلّ الأوساط فيؤدي ذلك إلى اقتلاعه تدريجياً من ذروته العالية و انخراطه بالتاريخ الأرضي[3] .

هذا الفهم الأخير للمصحف أو القرآن الكتابي ما كان منه إلاّ لأجل تعميق فكرة تاريخية القرآن الكريم أولاً , والى إعطاء المتلقي حرية الفهم للنص القرآني , فبعد أن جعله بشرياً من

---

[1]- سورة التوبة / الآية 6 .

[2]- ظ : الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد / محمد أركون : 87 .

[3]- ظ : م . ن : 88 .

خلال تصحيفه اتّجه لفهمه تفكيكياً وعند ذلك ستتعدد تأويلاته بتعدد الفهوم له ممّا يدخله ضمن التاريخ الأرضي القابل للتغير في كلّ زمان ومكان .

لكنّ هذا التصور للفهم لم يُنزل القرآن الكريم من ذروته العالية وذلك أنّالنصّ القرآني شيء وتعدّد فهمه وتأويله شيئاً آخر, فيجب عدم الخلط بين الاثنين بل أنّ قابليته على تعدّد أوجه الدلالة والمعنى هو خير دليل على إمكانيته لتجاوز حدود الزمان والمكان وهذا مما يخرجه من قوقعة التاريخية .

إنّ السبب الذي دعا أركون إلى ما يراه هو أنّه لم يجد عنده تصوراً عن حالة لقاء الوحي وطبيعته السماوية بسبب من ماديته و ابتعاده عن حقائق السماء الغيبية , فهو لم يراها حقائق و اقعية ملموسة أو محسوسة لأنها – على وفق ما يرى – لم تتفق مع العلم الحديث .

أجد أنّ هذا الفهم يُناقض تماماً ما كان من إيمانه بقدرة المجاز على تجاوز حدود المنع والقمع الدلالي الذي تمارسه قوانين اللغة , فاللغة المجازية تخلق تصوّرات تخرق هذه الحواجز إلى الغيب وتمثلاته .

في الختام أجد أنّ هناك مجموعة من الاستنتاجات التي ظهرت في قراءة محمد أركون من خلال إشكالات اللغة وفهمه بوساطتها للنصّ القرآني يمكن أن أجملها بما يأتي :

1- إنّ اللغة العربية بقوانينها و أنظمتها قد وجّهت توجيهاً يخدم المقدس بما يجعله مقدساً وذلك لأنّها كانت جزءاً من التراث الذي صاغته المؤسسة الدينية – السياسية الأرثوذكسية حتى بات اختراق اللغة بشكل خاص والفكر الإسلامي عامة من الأمور التي يصعب اختراقها أو زحزحتها أو انتهاكها بما يناسب العصر.
2- إنّ اللغة بمفاهيمها التقليدية قد قيّدت كلّ الأنظمة التفسيرية التقليدية – قديمة وحديثة – و أبرزت محدوديتها وخلفياتها الأيديولوجية عندما أكدت أنّ المعنى ثابت ونهائي , في حين أنّ المعطيات النصّية للقرآن الكريم من خلال استعمال المجاز تُوحي إلى دلالات متعدّدة غير منظورة من خلال الوعي اللغوي التقليدي .
3- إنّ استعمال محمد أركون للمجاز كوسيلة لفهم النصّ القرآني كان منه منهجاً لتجاوز تقديس اللغة والانفتاح من عوالمها الضيقة التي شيدتها السلطة السياسية – الدينية

الأرثوذكسية إلى عالم أكثررفعة وسمواً و انفتاحاً على عوالم أخرى , قصد الانفتاح على معانٍ ودلالات أخرى للنص القرآني .

4- حاول محمد أركون استكشاف النصّ القرآني من خلال ثنائيات الحقيقة – المجاز, واللغة المنطقية – اللغة الشعرية , والشفوي – الكتابي غير أنّه وقع في هوّة التداخل بين التفكيكية والبنيوية في فهمه للنص القرآني ممّا أوهم المتلقي في أيّ المنهجين هو قارئ له .

5- لم يقف محمد أركون في فهمه للقرآن الكريم على منهجٍ معيّن أو طريقة فهو لم يقاطع التراث والاستفادة منه في قراءاته للقرآن الكريم , كما أنّه لم يترك المنهج الفيلولوجي في ذلك رغم عدائه له , وكذلك استعان بالبنيوية والتفكيكية وكلّ المعطيات الاجتماعية والتاريخية لأجل فهمه رغم تمسكه بالتفكيك كمنهج مهم لديه في قراءة النصّ الديني .

المصادر

1- الإسلام – أوربا – الغرب / محمد أركون- ترجمه هاشم صالح – دار الساقي – بيروت - ط1 - 1995 م .

2- تاريخية الفكر الإسلامي / أركون (مركز الآثار العربي / بيروت – لبنان – 1998 .

3- التراث وإشكاليّة القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي – بحث في مو اقف الجابري وأركون والعروي - د. إمبارك حامدي – مركزدراسات الوحدة العربية –بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – يناير 2017 م .

4- سلطة النصّ – قراءة في توظيف النصّ الديني – عبد الهادي عبد الرحمن –مؤسسة الانتشار العربي – سينا للنشر– الطبعة الثانية .

5- الفكر الإسلامي, نقد واجتهاد - محمد أركون – ترجمة وتعليق هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – لبنان – الطبعة السادسة – 2012 م .

6- الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل, نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي - محمد أركون – ترجمة وتعليق هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – لبنان –الطبعة الر ابعة – 2011

7- قراءات في القرآن / محمد أركون – ترجمة هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – لبنان – الطبعة العربية – الطبعة الأولى – 2017 م .

8- القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني– محمد أركون – ترجمة هاشم صالح – بيروت – لبنان – دار الطليعة –2001 .

9- المرايا المحدبة – من البنيوية الى التفكيكية / د . عبد العزيز حمودة (سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد 232 – يناير – 1978م) .
10- معاني النحو – د . فاضل السامرائي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – عمان – الطبعة الثانية 1423هـ - 2003م .

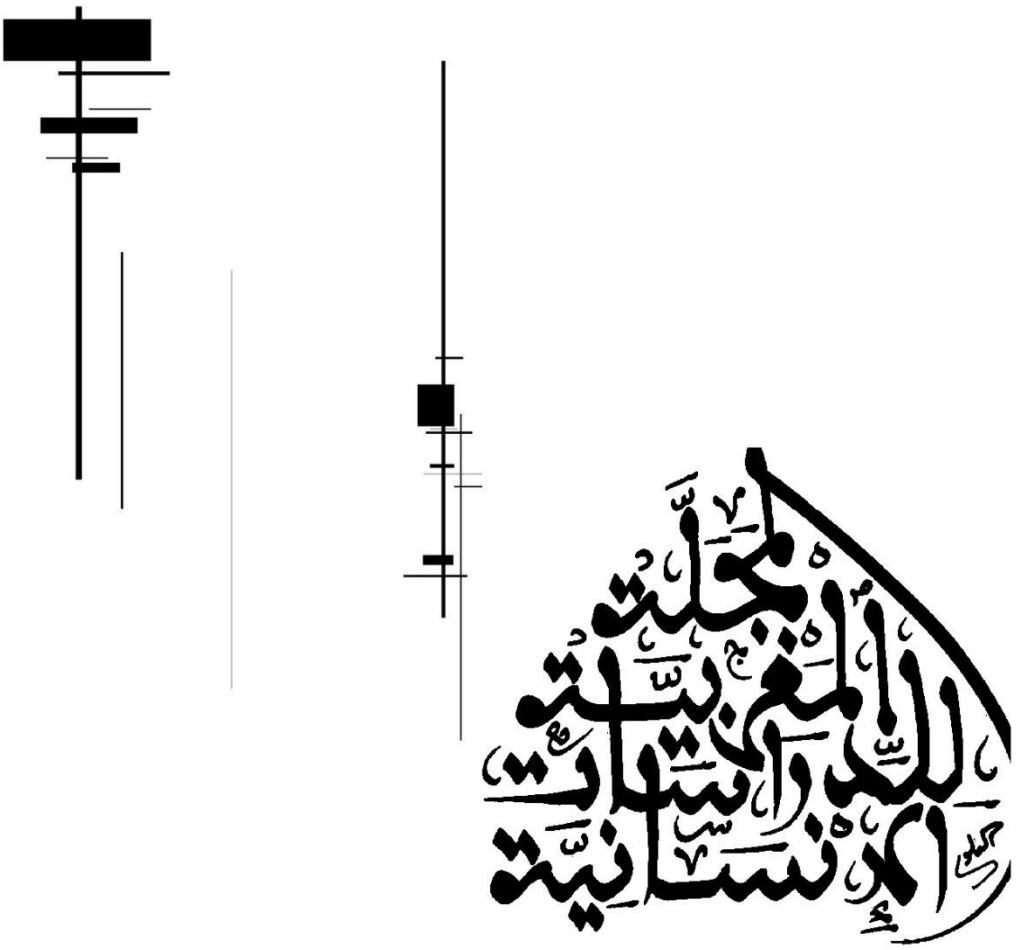
مجلة
المغربية
للدراسات
الإنسانية

الدّرس المعجمي في تفاسير الغرب الإسلاميمقدّمة: في تفسير معاني اللّغات من تفسير الإمام ابن جزي الكلبي(ت741 ه)-نموذجا-

مجدّد عدّة ، جامعة ابن خلدون تيارت- الجزائر

الملخّص:

تتناول هذه الورقة البحثية الموسومة بـــ: الدّرس المعجمي في تفاسير الغرب الإسلامي:مقدّمة في تفسير معاني اللّغات من تفسير الإمام ابن جزي الكلبي(ت741 ه)-نموذجا- و الّتي تندرج ضمن محور:اللّغة العربيّة والعلوم الشّرعية في الغرب الإسلامي- بيان المنحى اللّغوي في هذا التّفسير الموسوم بـــ: "التّسهيل لعلوم التّنزيل" و هو أحد التفاسير الأندلسية الّتي تعدّ جزءا من تراث الغرب الإسلامي، كما اقتصرت هذه الدّراسة على المقدّمة الثّانية من الكتاب؛ بهدفالوقوف على مسالك التّفسير المعجمي للمفردة القرآنية ، بناء على منهج تحليلي استقرائي من خلال تتبّع عيّنات من مفردات هذه المقدّمة ووفق تلك المسالك الّتي انتخبها ابن جزي.

الكلمات المفتاحية:

المعجم، التّفسير، الغرب الإسلامي، المعنى، اللّغة، ابن جزي

:Abstrect

This research paper entitled with: deals with the lexical lesson in the exegesis of the Islamic West: an introduction to the interpretation of the meanings of languages from the interpretation of Imam Ibn Jazi al-Kalbi (d.741 AH) - as an example - and which falls under the axis: Arabic language and Islamic legal sciences in the Islamic West - clarifying the linguistic approach In this exegesis tagged with: “Facilitation of the revealed sciences”, which is one of the Andalusian commentaries that are part of the heritage of the Islamic West, and this study was limited to the second introduction of the book; In order to find out the paths of the lexical interpretation of the Qur’anic vocabulary, based on an

inductive analytical method by tracing samples from the vocabulary of this introduction and according to those tracts that Ibn Jazzi elected.
Key words:The dictionary, the interpretation, the Islamic West, the meaning, the language,

مقدّمة:

أولى علماء الغرب الإسلامي اهتماما بالغا لتفسير القرآن الكريم وتدبّر أحكامه وحكمه و مقاصده، و هو ما تشهد له المدوّنات الكثيرة و المختلفة في هذه البيئة؛ من حيث توجّهات أصحابها ومذاهبهم ومدارسهم ومناهجهم، وتعدّ المدرسة الأندلسية إحدى مدارس هذا الحيّز الجغرافي الّذي أشرقت عليه شمس الإسلام والعلم منذ زمن طويل من خلال الفتوحات الإسلامية، فتاريخها حافل بالرّصيد العلمي في شتّى المجالات لا سيما علوم الشّريعة و ما يتعلّق بها من علوم خادمة لها، و الّتي من أجلّها علم اللّغة العربية و ما ينطوي عليه من فنون، هذه اللّغة الّتي اختارها المولى-سبحانه- لتكون ترجمانا لمعاني القرآن، وتبوّأت منزلة رفيعة لدى السّلف، بدليل الأسفار الّتي ألّفت في متونها وأصواتها ونحوها وصرفها وبلاغتها؛ ممّا جادت به قرائح الأئمّة الأعلام في المشرق و المغرب بعد ظهور اللّحن في اللّسان العربي واختلاط العرب بغيرهم؛ لذلك كان حفظ اللّغة العربيّة و صيانتها جزءا من حفظ للقرآن الكريم، ومن سنّة المصطفى–صلّى الله عليه وسلّم- فهي لغة التّعبّد ولغة الهويّة العربيّة والحضارة الإسلامية، و بها يفهم الخطاب الشّرعي، كما تعتبر هذه اللّغة من بين استمدادات علم التّفسير في هذه البيئة العلمية، فقد ظهر على يد أجيال من العلماء الّذين تعاقبوا على خدمة الدّين والقرآن و السنّة خلال قرون من الزّمن، و يعدّ كتاب التّسهيل لعلوم التّنزيل للإمام ابن جزي-رحمه الله- من التّفاسير الّتي استثمرت اللّغة العربيّة و عوّلت عليها في بيان دلالات النصّ القرآني؛ لذلك يسعى هذا البحث إلى إبراز اهتمام هذا الإمام بوظيفة اللّغة في الكشف عن المعنى القرآني؛ من خلال تلك المقدّمة المعجميّة الّتي خصّها للمفردة القرآنية وبيانها عبر عدّة مسالك معجمية، و هو ما يجعلنا نبحث في هذه الحيثية من خلال المسائل التّالية :

ما مدى صلة التّفسير بالمعنى المعجمي لدى ابن جزي ؟و ما منهجيّته في تأليف المقدّمة المعجمية؟ و كيف تعامل مع المفردة القرآنية في ضوء ورودها في اللّسان العربي ؟ و ما هو أثر التّأليف المعجمي في خدمة التّفسير ؟

التّعريف بابن جزي:

هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي ، يكنى أبا القاسم، ولد يوم الخميس، في التّاسع من ربيع الثّاني؛عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية بغرناطة[1]، نشأ في بيت علم و أدب وكان من أهل الأصالة والذّكاء، وإليه النّظر في أمر الغنائم ببلد هو كان محمود اوله طلب وسماع[2] ، و قد تتلمذ على جمع من علماء غرناطة بالأندلس؛ هذه البلاد الّتي تنتمي إلى الحيّز الجغرافي للغرب الإسلامي الّذي كان يضمّ :«الأقاليم الو اقعة إلى الغرب من وادي النّيل وتكوّن في مجموعها مجالا ثقافيا ومتجانسا و بيئة علمية واحدة...وهي تشمل بلدان المغرب العربي حاليا ومنطقة السّاحل الإفريقي جنوب الصّحراء المرتبطة ثقافيا بالغرب العربي، بالإضافة إلى ما كان يعرف بالأندلس وجزيرة صقلية»[3] .

و قد أخذ من معين أعلام هذه البيئة الكثير من العلوم والمعارف؛ فمن شيوخه:أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (628هـ-708هـ)، و محمّد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمي المعروف بابن الكماد (640 هـ-712هـ)، والقاسم بن عبد الله بن محمّد بن الشّاط الأنصاري (643هـ -723هـ)[4]،كما تخرّج من مجالسه الكثير من العلماء ومنهم : لسان الدّين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله السّلماني الغرناطي توفي سنة776هـ، و محمّد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الشّهير بالشّديد(710هـ)، و أبناؤه الثّلاثة: أحمد، ومحمّد وعبد الله [5]، وتوّجت مسيرته العلمية بمجموعة من المؤلّفات،من تفسير وفقه وقراءات وحديث وغير ذلك ومنها: الأنوار السنّية في الكلمات السّنية، و القو انين الفقهية، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ومؤلّفات في القراءات، وكتاب التّسهيل لعلوم التّنزيل: وهو الكتاب الّذي انتخبنا منه المقدّمة الثّانية في هذه الدّراسة، و قد كانت خاتمة الإمام اب نجزي – رحمها لله–مسكا؛ بعدما قضى حياته في العلم والتّدريس والوعظ والجهاد إلى أنقدّ مروحه في سبيل الله وهو يقاتل النّصارى بجنب إخو انه

---

[1]- المقريشهاب الدّين أحمد بن محمّد المقري التّلمساني، نفح الطّيب عن غصن الأندلس الرّطيب، ت: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان ط1: 1997م،ج5،ص514

[2]- ينظر :ابن الأحمرأبو الوليد إسماعيل بن الأحمر،أعلام المغرب والأندلس،ت: محمّد رضوان الدّاية،مؤسّسة الرّسالة، بيروت،ط1، 1396هـ- 1976م،ص165- أحمد بابا التّنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج،ت: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس،ط2 ، 2000م،ص398- ابن حجر: أبو الفضل أ حمد بن علي بن محمد بن أحمد،الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة،ت: محمّد عبد المعيد ضان،مجلس دائرة المعارف العثمانية،صيدراباد-الهند،ط2 : 1392هـ-1972م،ج1،ص326

[3]- ناصر الدّين سعيدوني، من التّراث التّاريخي والإسلامي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 /1999م، ص11

[4]- ينظر:لسان الدّين الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج3،ص44

[5]- المقري، نفح الطّيب ، ج5،ص517

المسلمين من العلماء والمجاهدين ؛فكان استشهاده في معركة طريف ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة،تقبّل الله شهادته[1].

التّفسير:

جاء لفظ التّفسيرفي المعاجم العربيّة بمعنى البين و الإيضاح، و من ذلك قولهم: والفَسْر من قَوْلهم: فَسَرْتُ الحديثَ أفسِره فَسْراً، إذا بيّنته وأوضحته وفسّرته تفسيرا كذلك[2].

اصطلاحا:

كان فهم القرآن لدى الرّعيل الأوّل على مقتضى السّليقة، بحكم سلامة اللّسان العربي من الفساد الّذي اعتراه في أزمنة متأخّرة؛ لذلك «لم يحتج السّلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلّى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنّهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه...»[3]، و بناء على هذا الفساد اللّسني كان السّعي إلى إصلاحه وضبطه حتمية لا مناص منها لدى الغيورين على لغة القرآن، فظهرت علوم العربيّة باعتبارها وسيلة هادفة لمقصد شريف يتعلّق بفهم كلام المولى-سبحانه- و هو ما أدركه المفسّرون ونبّهوا من أراد الولوج إلى هذا العلم، و إذا كانت العلوم تستمدّ من مواردها ومناهلها؛ فإنّ اللّسان العربي أحد الاستمدادات الّتي يقوم عليها التّفسيرالقرآني، هذا العلم الّذي يبحث في مقاصد القرآن ومعانيه، ومن تعاريفه:«اسْمٌ للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظالقرآن وما يستفادمنها باختصار أو توسّع»[4].

أهميّة المقدّمة المعجمية لدى ابن جزي وطريقة ترتيبها ومقاصدها :

تتّضح مكانة هذه المقدّمة من خلال كلام ابن جزي الّذي صرّح فيه بمحتواها وبيّن مقاصده الّتي بنيت عليها حيث قال:«وأمّا اللّغة فلا بدّ للمفسّرمن حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن وهي من فنون التّفسير، وقد صنّف النّاس في غريب القرآن تصانيف كثيرة»[5]،

---

[1]-ابن الخطيب: محمّد بن عبد الله السلماني الغرناطي (766ه)،الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب: محمّد بن عبد الله السلماني الغرناطي (766ه)، دار الكتب العلمية،ط1 1424ه،ج3،ص13

[2]- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321ه)، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت،ط1:1987م، ج2، ص718

[3]- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209ه) ،مجاز القرآن، ت: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ط: 1381 ه،ص08

[4]- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393ه)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 ه،ج1، ص11

[5]- ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّسهيل، دار الكتب العلمية-بيروت،ط:3، 2015،ج1،ص12

أمّا طريقة تأليفها فقد ابتدأ ابن جزي في ترتيبه للكلمات بالحروف الأصلية كما صرّح بذلك[1]، إلّا أنّه خلال تتبّع كلمات هذه المقدّمة نجد أنّ هناك اضطرابا في هذا التّرتيب، ويتبيّن ذلك في أوّل كلمة من هذه المقدّمة، حيث استهلّها بكلمة(آية) وأخّر ما حقّه التّقديم وهي كلمة(أبى)، كذلك عدم التّرتيب بين (حمد) و(حبل)، ومن ذلك أيضا الاضطراب في ترتيب الكلمات: (عتبى) و(عبر) وغير ذلك، والقارئ لهذه المقدّمة يقف على الثّراء اللّغوي الّتي تضمّنته رغم اختصارها، كما يدرك مدى اهتمام ابن جزي بمفردات القرآن وعلاقتها بالدّلالة اللّغوية، وقد تضمّنت ثلاثة مقاصد: تفسيرها للحفظ، واعتبارها أصولا جامعة للتّفسير، مع مراعاة الاختصار[2].

منهج ابن جزي في تفسير المفردة القرآنية من خلال مقدّمة: في تفسير معاني اللّغات

بعد تتبّع ما ورد في هذه المقدّمة يتبيّن أنّ ابن جزي انتخب منهجا لغويا متعدّد المباحث، وهو الأمر الّذي تشهد له المسالك المختلفة الّتي استثمرها في تفسير غريب القرآن، والّتي تحيل على اعتبار التّفسير اللّغوي أداة من أدوات الكشف عن القصد القرآني ، كما نبّه على ذلك أئمّة اللّغة، قال الراغب الأصفهاني:« أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية،ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه...»[3]

وهذا المنهج معتبر في تاريخ التّفسير من لدن النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- والصّحابة و التّابعين وأئمّة السّلف،وقد تأسّى ابن جزي بهم في سلوك هذا المنهج، حيث نهل من علوم و تفاسير الصّحابة والتّابعين،وبعض أعلام المدرسة التّفسيرية بالمشرق والمدرسة التّفسيرية بالأندلس؛ كتفسير الإمام الطّبري والزمخشري وابن عطية[4]، على اعتبار أنّ هذه التّفاسير تضمّنت حيّزا كبيرا من التّفسير اللّغوي، يقول أحد الباحثين:«وكتب التّفسير لا يمكن أن تخلوَ من التّفسير اللّغويّ، وإنمّا التَّمايز بينها في طريقة عرضه، وقلّته وكثرته، ومدى استفادة المفسّر من لغة العرب في بيان معاني كلام الله سبحانه»[5] ، ويمكن بيان المنهج اللّغوي الّذي سار عليه ابن جزي في مقدّمته المعجمية على النّحو الآتي:

---

[1]- ينظر: ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص12،

[2]- ينظر: ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص12،

[3]- الراغب الأصفهانيأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502ه)،المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق ، ص55

[4]- ينظر: ابنجزي،التّسهيل،ج1،ص14

[5]- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي،ط:د-ت، ص184

التّفسير اللّفظي:

الّتفسـير اللّفظي هو بيان معنى المفردة بنفس مادّتها اللّغوية، و من التّمثيل لذلك لدى ابن جزي: كلمة "بشـر" قال:« (بشـرا) من البشـارة وهي الإعلام بالخير قبل ورودهومنه المبشّـر البشـير...»[1]،و من ذلك كلمـة" يبيّن" قـال:« يبيّن من البيـان، ولـه معنيـان؛ بين غير متعـد، ومبيّن لغيره، كمـا أورد معنى كلمة "بدا" حيث قال: «بدا: يبدو بغير همز، ظهر، و أبديته والبادي أيضـا من البداية، ومنه بـادون في الأعراب»،وفي كلمـة (بأســـاء) قـال:« لفقر و البؤس، و البـائس الفقير من البؤس»،وفي حرف التّاء أورد كلمة" تاب"، مبيّنا أبنيتها الصّـرفية واشـتقاقاتها، قال:«(تاب) يتوب، رجع توبة وتوبا فهو تائب وتوّاب، كثير التّوبة، و توّاب اسم اللّه-تعالى-»[2] ،

وبنفس المســلك يفسّــر الكلمات الواردة في حرف الخاء، ومنها كلمة " خلق" بقوله:« من الخلقة ومنه الخالق اســم اللّه ، و أيضــا كلمة" مختال" قال في تفســيرها أنّها: من الخيلاء، و في كلمة" مخمصــة قال: من الخمص وهو الجوع، وفي باب الذّال أورد كلمة (ذلول) وفسّــرها بقوله: مذلّلة للعمل من الفلك ومنه: ذلّلناها لهم، ورجل ذلول من الذلّ»[3]، ونفس الطّريقة استعملها في بقيّة حروف المقدّمة، ومن ذلك ما جاء في حرف الغين، ففي كلمة (غلّ) قال:

«غـل يغـل من الغلول، وهو الخيـانـة والأخـذ من المغنم بغير حقّ»[4]، وفي بـاب الطّـاء أورد كلمـة (طائفين) وفسّــرها بالطّواف، وفي حرف الميم أورد كلمة(مجيد) قال: من المجد و هو الكرم،وفي كلمـة (مكانـة) قـال: بمعنى مكان أي من التّمكين والعزّ، ومنـه مكين،وكـذلك كلمـة (نكير) قـال: إنكار[5]،واستقصاء كلّ الكلمات لا يمكن وفق هذا المسلك المطّرد في هذه المقدّمة.

التّفسير بالضدّ:

الضدّ هو:«النّظير والكفء والجمع أضداد، وضاده مضادة إذا باينه مخالفة والمتضادان اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار»[6]، و البيان بذكر الضـدّ مسـلك لغوي معتبر في التّأليف المعجمي الّذي ظهر في وقت مبكّر، ومنه : الأضداد للأصمعي (ت- 215هـ)، و الأضداد لابن السّكيت(ت244ه)، و

---

[1]-ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص23

[2]- ابن جزي، المصدر نفسه، ج1، ص23

[3]- ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص26-27

[4]- ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص27

[5]- ابن جزي، التّسهيل،ج1،ص36

[6]- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770ه)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ج2، ص359

كتاب الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت351هـ)،كما له اعتبار لدى علماء الشّريعة فيما يتعلّق بالجانب العقدي أو الرّوحي أو التّربوي السّلوكي وغير ذلك فيما نصّ عليه القرآن أو السـنّة النّبوية، قال ابن القيّم-رحمه الله-«فالضـدّ يظهر حسـنه الضـدّ،وبضـدّها تتبيّن الأشـياء،ولولا خلق القبيح لما عرفت فضـيلة الجمال والحسـن ولولا خلق الظّلام لما عرفت فضـيلة النّور ولولا خلق أنواع البلاء لماعرف قدر العافية...»[1]، و قد وظّف ابن جزي هذا المسلك في بيانه لمعاني المفردة القرآنية، بحيث يفسّر اللّفظ بقوله" ضدّ"، ففي حرف الألف أورد في كلمة(أمن) وفسّرها بقوله:« أمن أمنا وأمانة :ضـدّ الخوف»[2]،وفي حرف الباء أورد كلمة(بعد) وفسّرها بقوله:ضـدّ القرب، و في كلمة(بين) قال: والبين الفراق و الاجتماع لأنّه من الأضداد[3]، و هو نفس المعنى لدى ابن الأنباري في مصنّفه" الأضداد، قال:« البين الفراق، ويكون البين الوصال»[4]، وفي كلمة(سكن) فسّرها بضدّها وهو الحركة، كما أشار إلى دخول كلمة(شرى) في باب الأضـداد[5] ، و قد ورد بيان هذه الكلمة في بعض المعاجم اللّغوية الّتي اهتمّت بتفسير الغريب من القرآن و الحديث، ومن ذلك ما ذكره الهروي (ت 401 هـ)-رحمه الله- قال في كلمة(شرى) و قد مثّل لها بقوله تعالى قال: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله} «أي يبيعها ببذلها في الجهاد وثمنها الجنة، وتكون شريت بمعنى اشتريت وهو من الأضداد»[6]، أمّا في حرف الصّاد فقد أورد كلمتان بما يضادّهما وهما: (صدق) وهو ضدّ الكذب، والصّغير ضدّ الكبير، وفي حرف الواو ذكر كلمة واحدة وهي كلمة (وسع) فسّرها لفظيا و أورد ضدّها أيضا، قال: يسع سعة، من الاتّساع ضدّ الضّيق ، و(واسع) وهو ضدّ المقتر»[7]،وختم مقدّمته المعجمية فيما يتعلّق بالتّفسير بالأضداد بكلمة(اليسر) الّتي تقابل لفظ العسر من حيث المعنى بالضدّ»[8]، و منه

---

[1]- ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م، ص222

[2]- ابن جزي، التّسهيل،ج1 ، ص22

[3]- المصدر نفسه، ج1،ص23

[4]- ابن الأنباري محمّد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، ت : محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-صيدا بيروت-ط:د-رقم، 1407هـ-1987م، ص75

[5]-ينظر: ابن جزي، التّسهيل،ج1 ، ص29

[6]- الهروي أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401 هـ)،الغريبين في القرآن والحديث،ت: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية،ط1: 1419 هـ - 1999 م، ج1، ص997

[7]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص38

[8]- ينظر: ابن جزي، التّسهيل،ج1 ، ص38-39

يبدو الذّوق اللّغوي و البياني لدى ابن جزي على اعتبار أنّه من: «صحّة المقابلات أن تراعى الأضداد أو الأشكال فتقابل كل منها بنظير»[1]، و هو ما دلّ عليه هذا المسلك لتعلّقه بجودة البيان كما نصّ أئمّة اللّغة .

الفروق الدّلالية للمفردة القرآنية لدى ابن جزي بسبب تغيّر حركات البناء و أثرها في التّفسير:

تتجلّى عناية ابن جزي بهذا المسلك من خلال اهتمامه بتغيّر حركات بناء المفردة و ما يفضي إليه من دلالات، و و هذا التّغيّر الحركي مظهر من مظاهر الدّرس اللّغوي المعجمي الّذي عرف قديما لدى اللّغويين العرب،وأوّل من ابتكر هذه الطّريقة هو محمّد بن المستنير المعروف بقطرب(ت206ه) فيما يعرف بمثلثات قطرب، وفي مزايا هذا التّأليف وثمرته يقول ابن مالك:« فإنّ تثليث الكلم فنّ تميل نفوس الأذكياء إليه،...فمن فوائده انقياد المتجانسات لطالبها، وامتياز الملتبسات بكشف معانيها»[2]، وممّا أورده ابن جزي في ذلك ؛كلمة(جنّة) حيث تدلّ:« بالفتح على البستان، وبالكسر على الجنون، وبالضمّ على التّرس وما أشبهه ممّا يستتربه»[3]، وفي حرف الحاء أورد كلمة(حجّة) مبيّنا ثلاثية المعنى عند تغيّر الحركات، قال: «بالضمّ دليل وبرهان، والحجّب الفتح والكسر القصد، وحجّة بالكسر سنة وجمعها حجج»[4]،وفي حرف الذّال ذكر كلمة(ذنوب) الّتي توزّعت على ثلاثة معاني على مقتضى تعاقب حركات بنائها،قال:«ذنوب: بضم الذال: جمع ذنب، وبالفتح النصيب،ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم: أينصيبامنالعذابالذّنوبأيضا: الدّلو»[5]،ومن الفروق الدّلالية النّاتجة عن التّقلّبات الحركية أيضا كلمة (سلم) حيث ذكر ابن جزي ما تحمله هذه الكلمةمن شحنةدلالية؛ قال:«سلم: بفتح السين وإسكان اللام: صلح ومهادنة سلم: بكسرالسين وإسكان اللام ومعناه الإسلام، وبضم السين وفتح اللام مشدّدة: هو الذي يصعد فيه»[6]، فهذه الشّواهد المعجمية تدلّ على إدراك ابن جزي للاتّساع الدّلالي الّذي تتّسم به المفردة القرآنية؛ مع وجود علاقة بين اللّغة و التّفسير من

---

[1]- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ات: 387ه)،مفاتيح العلوم،ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،ط2: د-ت، ص97

[2]- ابن مالك محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672ه)،إكمال الأعلام بتثليث الكلام ت: سعد بن حمدان الغامدي،جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السعودية،ط:1، 1404ه 1984م،ج1،03

[3]- ابنجزي،التّسهيل،ج1،ص24

[4]- ابن حزي ،المصدر نفسه، ج1، ص25

[5]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص27

[6]- ابن جزي، التّسهيل،ج1، ص24- ص29

خلال الإحالة على المعهود اللّساني للعرب، ومنه اختيار المعنى المناسب للمفردة في سياقها القرآني، بمعنى أنّ ورود المفردة القرآنية بأوجه مختلفة له اعتبار في كلام العرب .

الفرق الدّلاليللمفردة القرآنية باعتبار بنيتها الصّرفية:

يعتبر الفرق الدّلالي النّاشئ عن تغيّر البنية الصّرفية للمفردة من أساسيات التّأليف المعجمي لدى ابن جزي، سواء في البنية الاسمية أو الفعلية، ومن التّمثيل لذلك ما أورده في الفرق بين (حس وأحس)، قال:« حس: بغيرألفقتلومنه: إذتحسونهم،وأحسمنالحس»[1]، والحسّ يعني العلم المدرك بالحواس ، وقد ورد ذلك في عدّة مواضع قرآنية، ومنها قوله-تعالى-﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[2]، وفي كلمة (خطيئة)أورد الفرقبين (خطئ وأخطأ) قال:«والفعل منها خطىء فهو خاطئ، وأمّا الخطأ بغيرعمد فالفعل منه:أخطأ»[3]، و في هذا الفرق توجيه بلاغي من حيث دقّة الاستعمال القرآني للّفظ وتعلّقه بالنيّة أو القصد؛ لذلك ورد عن النبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- في قصّة الرّجل الّذي وجد راحلته بعدما يئس منها أنّه:(قَالَمِنْشِدَّةِالْفَرَحِ: اللهُمَّأَنْتَعَبْدِيوَأَنَارَبُّكَ،أَخْطَأَمِنْشِدَّةِالْفَرَحِ)[4]، و من قبيل هذا الاختلاف لدى ابن جزي أيضا ما ذكره في كلمتي (قسط و أقسط) قال:«أقسط بألف قسطا: عدلا في الحكمومنه يحب المقسطين، وقسط بغيرألف»[5]، و ممّا ورد في القرآن بالمعنى الثّاني قوله-تعالى-﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[6]، و ممّا يدخل ضمن الفرق الدّلالي القائم على بنية الكلمة لدى ابن جزي؛ الفرق بين (صعد و أصعد)، قال: «صعد يصعد أي ارتفع وأصعد بالألف يصعد بالضمّ أي أبعد في الهروب»[7]، ومن ذلك قوله-تعالى-﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾[8]، ونفس الشّيء في (أنذرو نذر) حيث يختلف المعنى وفق البنية الصّرفية

---

[1]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص26

[2]- سورة آل عمران، الآية52،

[3]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص26

[4]- مسلم بنالحجاجأبوالحسنالقشيريالنيسابوري (ت: 261ه)، صحيح مسلم، ت:محمدفؤادعبدالباقي،داراإحياءالتراثالعربي–بيروت، رقم:2747،منراية أنسبنمالكعنعمّه، ج4، ص2104

[5]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص34

[6]- سورة الجن، الآية:15

[7]-ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص30

[8]- سورة آل عمران، الآية:153

بين التّنبيه إلى ما يكون مكروها وبين نوع من العبادة، قال:«أنذر أعلم بالمكروه قبل وقوعه...و النّذر بغير ألف ومنه نذر، ثم من نذر: فليوفوا نذورهم»[1]، وذكر كلّ الكلمات لا يسعه البحث .

التّطوّر الدّلالي للمفردة القرآنية من خلال الرّبط بين المعنى اللّغوي والمعنى الشّرعي:

التّطوّر الدّلالي للّغة من حيث أصواتها و مفرداتها و تصاريفها و تراكيبها نتيجة حتمية متعلّقة بحياة اللّغة و حركيّتها وحاجة مستعمليها إلى اكتشاف الجديد من المعاني؛ لذلك عرّفت هذه الظّاهرة بأنّها:«التّغيّر التّدريجي الّذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزّمن، وتبدّل الحياة الإنسانية، فينقلها من طور إلى طور آخر»[2]، و اللّغة العربيّة ليست لغة منعزلة أو جامدة، بل هي لغة توليدية ثريّة بالألفاظ و المعاني الّتي تمليها الحاجة، وقد اصطفاها المولى-عزّوجلّ- ترجمانا لكتابه، فكانت معاني القرآن لدى المعاصرين للوحي مفهومة دون إشكال، قال الإمام الشاطبيُّ -رحمه الله-:«لا بدّ في فهم الشّريعة من اتّباع معهود الأميّين، وهم العرب الّذين نزل القرآن بلسانهم»[3]،إلّا أنّ المعنى اللّغوي الّذي عهده العرب لبعض الكلمات تغيّر بناء على المقصود الشّرعي فيها، و هذا ما ذكره ابن فارس في معرض حديثه عن الكلمات الإسلامية الّتي تطوّرت دلاليا من الوضع اللّغوي إلى الاستعمال الشّرعي، قال: «كَانَتْ العربُ فِي جاهليتها عَلَى إرثٍ من إرث آبائهم فِي لُغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقَرابينهم. فلما جاءَ الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخَت دِيانات، و أبطلت أمورٌ، ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فعفّى الآخر الأوّل»[4]، وقد اهتمّ ابن جزي بالتّطوّر الدّلالي للمفردة القرآنية من خلال مقدّمته المعجمية، ويمكن تقسيم تلك الكلمات إلى قسمين من حيث حقلها الدّلالي: فقهية وعقدية، حيث يكمن الأثر اللّغوي في تفسير القرآن، و يتبيّن التّحوّل الدّلالي ابتداء من الإطلاق اللّغوي إلى المعنى المراد شرعا.

المفردة الفقهية:

---

[1]- ابنجزي، التّسهيل، ج1، ص37

[2]- عبد الكريم محمّد حسن جبل، في علم الدّلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة 1997م، ص33

[3]- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

دار ابن عفان، ط1: 1417هـ/ 1997م، ج2، ص131

[4]- ابن فارسأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط1: 1418هـ-1997م، ص44

من المفردات الفقهية الّتي ذكرها ابن جزي لفظ "الصّلاة" حيث بيّن معناها اللّغوي ثمّ ثنّى بالقصد الشّرعي فيها مبيّنا معناها على وجهين،وذلك أنّها إذا كانت من جهة العباد؛ فلها دلالة لغوية ولها دلالة شرعية، قال:«...إذا كان تمنا لمخلوق فلها معنيين: الدّعاء،والأفعال المعلومة...»[1]،وفي هذا المعنى يقول الرّاغب: « قال كثير من أهل اللّغة هي الدّعاء والتّبريك والتّمجيد، يقال: صلّيت عليه،أي دعوت له...»[2]، ورغم ورودها بالمعنى الشّرعي الّذي يكمن في الهيئة أو الصّورة المعهودة في العبادة إلّا أنّنا نجد أنّ المعنى اللّغوي لم ينفكّ عنه؛فدلالةالصّلاةبينإطلاقهااللّغويوبيناستعمالهاالشّرعيهيدلالةضمنية؛وبيانذلكأنّهفيكلّهذها لمقاماتومع تلك الزّيادات الّتي زيدت والشّرائط الّتي شرطت في الصّلاة بمعناها الفقهي فهي لا تخلو من الدّعاء،وفي ذلك نلتمس وجه المناسبة بين الدّلالتين، فيكون الدّعاء قدرا مشتركا بين لغة العرب ولغة الشّرع،« فالتّغيّرهنا ليس انتقالا من معنى إلى معنى آخر يختلف عنه تماما، بل تغيّرفي مكوّن أو أكثرمن مكوّنات اللّفظ، فالصّلاة عند الجاهليين وعند المسلمين عبادة ودعاء وتقرّب إلى المعبود»[3]، كما أورد معنى كلمة" الزّكاة" بنفس المسلك الّذي سلكه في الكلمات السّابقة؛ مبيّنا أثرالدّلالة المعجمية في بيان القصد القرآني، حيث تشريع الأحكام مع مراعاة العرف اللّغوي للعرب ومخاطبتهم بما يعرفون، قال في المقدّمة الأولى من كتابه والّتي خصّصها لتفسيرمعاني اللّغات: « زكاة: لها في اللّغة معنيان: الزّكاة والطّهارة ثمّ استعمله الشّرع في إعطاء المال، وهو من الزّيادة لأنّه يبارك له فيه فيزيد،أول أنّ من الطّهارة لأنّه يطهّره من الذّنوب وزكّيت الرّجل: أثنيت عليه...».[4] حيث يعلّل ابن جزي من خلال هذا التّعريف وجه التّسمية بين الدّلالة اللّغوية لهذا المصطلح وبين مقصد ها لشّرعي، كما بيّن لفظ التّيمّم لغويا ثمّ تطرّه لمعناه الشّرعي الفقهي قال:«التّي مم في اللّغة: القصد،وفي الفقه: الطّهارة بالتّراب،وهو من قول من المعنى اللّغوي»[5]،

---

[1]-ابنجزي،التّسهيل،ج1 ،ص30

[2]-الرّاغبالأصفهاني،المفرداتفيغريبالقرآن،ص491

[3]- محمّد حسن عبد العزيز، المعجم التّاريخي للّغة العربيّة وثائق ونماذج، دار السّلام للطّباعة والنّشر، مصر، ط1: 1429هـ- 2008م، ص389

[4]-ابن جزي،التّسهيل، ج1،ص28

[5]- ابن جزي،التّسهيل،ج1،ص192

وقد نصّ أئمّة العربيّة على هذا التّطوّر الدّلالي الذّي اعترى هذه المفردة القرآنية، قال ابن سيده:«التّيمّمالتّوضّؤبالتّرابعلىالبدل،وأصلهمنالأوّللأنّهيقصِدالتّرابفيمسحبه»[1] ومن الكلمات أو الألفاظ المندرجة في الحقل الفقهي والّتي بيّن ابن جزي معناه لغويا وفقهيا كلمة " الرّبا" قال:« هو في اللّغة الزيادة، ويفسّره بمعناه الشّرعي في موضع وروده عند قوله-تعالى- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾[2]،قال : « والربا في اللّغة الزّيادة، ثم استعمل في الشّريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة،فإنّ غالب الرّبا في الجاهلية قولهم للغريم: أتقضي أم تربي،فكان الغريم يزيد في عدد المال»[3]، و من الكلمات الفقهية الّتي وردت في المقدّمة المعجمية في كتاب التّسهيل لابن جزي؛ كلمة" الظّهار" حيث بيّن معناها اللّغوي بقوله:«ظاهر الرّجل من امراته وتظاهر،وتظهّر:أيقال لها: أنت عليّ كظهر أمّي»[4] .

وقد ذكرت المعاجم العربية هذا الأصل، ومن ذلك قولهم: «ظاهَرَ الرجلُ امرأته و (الظِّهَارُ) قول الرّجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمّي...»[5]، و هو المفهوم الفقهي مع توسيع في دلالة هذه الكلمة، فهي تعني:« تشبيه زوجته أو عُبِّربه عنها، أو جزء شائعٍ منها، بعضو يحرم نظره إليه من أعضاء محارمه نسباً أورضاعاً كأمه وبنته وأخته»[6]، و بنفس المنحى اللّغوي يفسّر كلمة الصّوم على أنّها :« مطلق الإمساك من حيث الدّلالة اللّغوية، ثم استعملت هذه المفردة شرعا في الإمساك عن الطّعام والشّراب»[7]، و أيضا في كلمة الحجّ يبيّن الأصل اللّغوي الّذي أخذ منه المعنى الفقهي، حيث تقييد الإطلاق اللّغوي لهذه المفردة لتدلّ على عبادة مخصوصة في زمن مخصوص، قال: «والحجب الفتح والكسر: القصد،ومنه أخذ: حجّ البيت»[8]، فمن خلال هذه النّماذج يظهر اهتمام ابن جزي بقضيّة التّطوّر الدّلالي الّذي اعترى المفردة القرآنية من حيث تقييد مطلقها أو تخصيص عمومها كما دلّت عليه الاستعمالات القرآنية .

---

[1]- ابن سيده،المحكم والمحيط الأعظم،ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتبالعلمية – بيروت،ط1 :1421هـ- 2000 مج10،ص571

[2]- سورة البقرة، الآية :275

[3]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص128

[4]- ابنجزي،المصدر نفسه،ج1 ،ص31

[5]- الرازيزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)،مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا،ط5:، 1420هـ - 1999م، ج1، ص197

[6]- محمد عميم الإحسان المجددي البركتي،التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1 :1424هـ- 2003م،ص140

[7]- ينظر: ابنجزي،التّسهيل،ج1،ص30

[8]-ابنجزي،التّسهيل،ج1،ص25

المفردة العقدية:

أحال الاســتعمال القرآني في جانب الاعتقاد على العرف اللّغوي للعرب ، و هو منهج في تقريب المعاني و تسـهيل فهمها لدى المخاطبين، حيث التماس وجه المناســبة بين معهود الأمّيين وبين القصد الشّرعي؛ لذلك لم يهمل اللّغويّون و المفسّرون هذا المنهج في بيانهم للمفردة القرآنية العقدية، قال ابن فارس:«فكان ممّا جاء فِي الإســلام ذكر المؤمن والمســلم والكافر والمنافق، وأنَّ العرب إنَّما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عَرَفت منه إسلامَ الشيء ثُمَّ جاء فِي الشَّــرع من أوصــافه مَا جاء. وكذلك كَانَتْ لا تعرف من الكُفر إلاَّ الغِطاء والسِّــتْر. فأما المنافق فاسمٌ جاء بِهِ الإسلام لقوم أَبْطنوا غير مَا أظهروه، وَكَانَ الأصل من اليَرْبوع...»[1]، و ابن جزي نجده يفسّر الإيمان لغويا، ثمّ يثني بالمعنى الشّرعي فيقول في مادة (آمن):« إيمانا أي صدّق، والإيمان في اللّغة التّصــديق مطلقا، وفي الشّــرع التّصــديق بالله وملائكته وكتبه ورســله واليوم الآخر[2]، وفي التّفريق بينالإســلام و الإيمان؛ قال: «...وقد يكون الإســلام أعمّ من الإيمان في دخل فيه الإيمان حســبما ورد في مواضــع أخر»[3]، و هذا في قوله- تعالى-﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[4]يفرّق بين معنى الكلمتين لورودهما في سياق واحد، قال:«...وهذا على أنّ الإيمان هو التّصــديق بالقلب، والإســلام هو الانقياد بالنطق بالشــهادتين، والعمل بالجوار حفالإســلام والإيمان في هذا الموضــع متباينان في المعنى»[5]، ونفس المعنى ورد في بعض المعاجم العربية، قال ابن منظور: الإِسْلامُ والاسْتِسْلامُ: الِانْقِيَادُ[6].

ويعتبر السـياق القرآني من آليات توجيه المعنى للكلمة القرآنية لدى ابن جزي، بدليل قوله في بيان دلالة الكلمتين" الإســلام و الإيمان" أمّا كلمة " الفســق" فقد وقف على معناها اللّغوي أوّلا ثمّ بيّن دلالتهاالشّــرعية، حيث قال: «...فســق: أصــله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر.

---

[1]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ص45

[2]-ابن جزي، التّسهيل، ج1،ص21-22

[3]-ابن جزي، المصدر نفسه،ج2،ص360

[4]-سورةالحجرات،الآية 14

[5]- ابنجزي،التّسهيل،ج3،ص360

[6]- ابنمنظور،لسانالعرب،ج12،ص293

وتارة بمعنى العصيان»[1]، فقوله: أصله الخروج: هو معناه المعجمي ، وهو ما يدلّ عليه كلام ابن فارس حيث قال: « ولم يعرفوا فِي الفِسْق إلاَّ قولهم: "فَسَقَتِ الرُّطبة" إذَا خرجت من قِشرها وجاء الشرّع بأن الفِسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه»[2] .

و من الكلمات الّتي اعتمد ابن جزي في بيان معناها على الدّلالة اللّغوية المعجمية كلمة" الإلحاد الّتي وردت في سياق الوعيد في حقّ من تجنّى على مخالفة الشّرع في الحرم المكّي،قال تعالى-﴿وَمَنْ يُرِدْ فيه بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]،كما وردت بصيغ أخرى في استعمالات قرآنية مختلفة[4]، ودلالة الإلحاد في المستوى المعجمي هي:«الميل عن الاستقامة، يقال: أَلْحَدَ الرّجل، إذ مال عن طريقة الحقّ والإيمان. وَسُمِّيَ اللَّحْدُ لأنّه مائل في أحد جانبي الجدث»[5]،وهو نفس المعنى الّذي أخذ بها ابن جزي في تفسيره لهذا اللّفظ في سياقه الشّرعي وهذا وجه من وجوه استثمار الدّلالة المعجمية عنده في بيان المعنى،قال:«الإلحاد الميل عن الصواب»[6] ؛ فيشمل كلّ انحراف،سواء كان عقديا كالشّرك أو عمليا كاستباحة المحرّمات وارتكاب المعاصي.

التطوّر الدّلالي للمفردة بين الحقيقة و المجاز:

ما ذكره ابن جزي في مقدّمته" في تفسير معاني اللّغات" يكشف عن مدى إدراكه للعلاقات الدّلالية بين المفردات و ما في ذلك من إثراء لغوي وبيان للمعاني، حيث أحال على التّطوّر الدّلالي للمفردة القرآنية بين الحقيقة و المجازوقد عدّ هذا التّطوّر من أنواع البيان، مع تعدّد وجوه هذا التّطوّر في باب المجاز، قال:«...وهو اثنا عشر نوعا التّشبيه والاستعارة، والزّيادة والنّقصان وتشبيه المجاورباسم مجاورهو الملابس باسم ملابسه،والكلّ،وإطلاق اسم الكلّ على البعض،وعكسه،والتّسمية باعتبار ما يستقبل،والتّسمية باعتبار ما مضى...»[7].

و من تجليّات هذا التّطوّر تحوّل دلالة المفردة من المعنى الدّلالة الحسيّة الغالبة في العرف اللّغوي؛ إلى معاني و مقاصد قرآنية؛ قد تكون قلبية أو نفسية أو سلوكية تربوية ونحو ذلك، و من مصطلحات هذا التّطوّرلدى ابن جزي ما عبّرعنه بـ: (الأصل)وهو ما كان مستعملا

---

[1]-ابن جزي، التّسهيل،ج1، ص33

[2]-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية: ج 1 ،ص44

[3]-سورةالحجّ،الآية:25

[4]-سورةالأعراف: الآية: 180 – الكهف: 27 – الجنّ: 22

[5]-ابنفارس- مقاييساللغة،ج 5- ص236

[6]- ابنجزي،التّسهيل،ج2،ص54

[7]- ابنجزي،التّسهيل،ج1 ،ص17- 18

لدى العرب، و نظير ذلك ما عبّرعنه بقوله(ثمّ استعمل)، ومن ذلك النّقل بالاستعارة في كلمة (حبل)، حيث ذكرالمعنى القرآني المستعار، ثمّ بيّن المعنى الحسّي الشّائع في الاستعمال العربي قال: «حبل: من الله ومن النّاس، أي عهد، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف»[1]، و من المواضع القرآنية لهذه المفردة قوله-تعالى-﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2]، و يبيّن مكمن الاستعارة في هذه الكلمة باعتبارها من معاني كلمة " السّبب" في اللّغة، قال:«والاستعارة من الحبل في المودّة والقرابة،ومنه: وتقطعت بهما لأسباب»[3]،و نفس المسلك يورده في كلمة(خامدون) الّتي لها أصل حسّي ثمّ تحوّل إلى معنى الهلاك في الاستعمال القرآني، قال:«خامدون: هالكون، وأصله: من خمود النارخطب»[4]، و من ذلك التطوّرالحاصل في كلمة (زلزلة الأرض) مبيّنا الأصل فيهاثمّ دلالتها في السياق القرآني، قال:« اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدّة والخوف، ومنه: زلزلوا»[5] ، ومن شواهد التّطوّر الدّلالي(النّقل بالاستعارة) من الدّلالة الحسيّة إلى المعنوية ما ذكره أيضا في تفسيره لكلمة(سبيل) قال: «سبيل: هو الطّريق، وجمعه سبل، ثم استعمل في طريق الخيروالشرّ»[6]، و من قبيل ذاك انتقال المعنى في كلمة الصّراط؛ قال: « هوفي اللّغة الطّريق ثمّ استعمل في القرآن بمعنى الطّريقة الدّينية»[7]، كذلك انتقال المعنى في كلمة (الطّهارة) من الطّهارة المائية وهي المعنى الحسّي؛ الطّهارة القلبية والنّفسية، ويحيلنا ابن جزي على الأدب القرآني في تعامله مع الكلمات الّتي يستهجن ويستقبح ذكرها، وهو مسلك فيه مراعاة للسّامعين من خلال استعمال الكناية في الألفاظ، و من ذلك كلمة (غائط)، قال: «غائط: المكان المنخفض ثم استعمل في حاجة الإنسان»[8]، وقد عدّ الثّعالبي هذا الاستعمال من معهود العرب الّذين نزل القرآن على مقتضى لسانهم، قال: «هي من سنن العرب، وفي القرآن: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} فكنى عن الحدث»[9]؛ وقد صرّح ابن جزي بمسلك الأدب القرآني في

---

[1]- ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص25

[2]- سورة آل عمران، الآية :103

[3]- ابنجزي،التّسهيل،ج1،ص29

[4]- ابن جزي، التّسهيل، ج1،ص26

[5]- ابن جزي، التّسهيل، ج1،ص28

[6]- بن جزي، التّسهيل، ج1،ص28

[7]-ابن جزي، التّسهيل، ج1، ص30

[8]- ابن جزي، التّسهيل، ج1 ، ص33

[9]- الثّعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)،فقه اللغة وسر العربية، ت: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي،ط1:1422هـ - 2002م،ص276

ورود الكلمات المستقبحة من خلال التّعبير عنها بألفاظ ليس لها قابلية في السّماع و التّداول؛ لذلك قد يكون اللّفظ البديل يفيد العموم والشّمول بحيث تندرج تحته جملة الألفاظ المستقبحة، وهذا ما ذكره في كلمة(فاحشة)؛ قال: «هي كلّ ما يقبح ذكره من المعاصي» .[1]

و من الكلمات الّتي تحتمل الحقيقة أو المجاز لدى ابن جزي؛ كلمة (غشاوة) الّتي احتجّ بها على ورود المجاز في القرآن، وذلك في قوله– تعالى-﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[2]،قال:« غِشَاوَةٌ مجازباتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن .. »[3]،و في كلمة (مرض) يعرض ابن جزي مسلك التّحوّل الدّلالي لها باعتبارها تحتمل المعنى الحقيقي كما تحتمل المعنى المجازي الّذي يتمثّل في أمراض القلب، قال:« (مرض) الجسد معروف، ومرض القلب: الشكّ في الإيمان، والبغض في الدّين»[4]، ويزيد ذلك بيانا عند قوله-تعالى-﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[5]، وهو نفس التّفسير لدى الإمام الزمخشري.[6]

خاتمة

أثبتت هذه الدّراسة أنّ المقدّمة المعجمية الّتي أفردها ابن جزي في تفسيره ثريّة بالدّلالة اللّغوية، حيث اعتبارها مستوى لغويا دلاليا خادما للتّفسير القرآني ، و في ذلك استدلال على فاعليّة اللّغة وصلتها بعلم التّفسير، من خلال أثرها في الكشف عن المقصد القرآني، حيث الرّبط بين معهود اللّسان و ألفاظ القرآن، مع تفرّد المعنى القرآني بحدود التّخصيص والتّقييد والتّهذيب للعرف اللّغوي الّذي نزل على وفقه؛و هو ما أثبته ابن جزي في كلامه على إحالة القرآن على المعهود اللّغوي للعرب ابتداء، مع مراعاة العلاقات الدّلالية بين الألفاظ ومعانيها و التّطوّر الّذي اعترى المفردات، و هو ما أشار إليه عند استعماله لمصطلحي(الأصل و الاستعمال)، فكانت هذه المقدّمة بمثابة التّفسير اللّغوي الّذي عرفه اللّغويون في معاجمهم عند شرحهم للمفردات القرآنية وبيان دلالاتها، و في ذلك قدر مشترك بين تلك المعاجم الّتي اهتمّت بالمعاني وبين المنهج

[1]- ابن جزي، التّسهيل، ج1 ، ص33

[2]- سورة البقرة، الآية :07

[3]-ابنجزي، التّسهيل، ج1 ،ص52

[4]- ابن جزي، التّسهيل، ج1 ، ص36

[5]-سورةالبقرة: الآية:10

[6]-الزّمخشري، الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل، دارالكتابالعربي – بيروت، ط3: 1407 هـ، ج1، ص59

اللّغوي الّذي انتخبه ابن جزي في تفسيره للمفردة، و منه يمكن اعتبار ابن جزي لغويا مفسّرا ، و أنّ كتابه "التّسهيل لعلوم التّنزيل" -كغيره من التّفاسير الأندلسية- جدير بالدّراسة و البحث لاستخراج نفائسه اللّغوية و مدى خدمتها للعلوم الشّرعية الّتي عرفتها بيئة الغرب الإسلامي .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

01- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس ، ت: محمّد رضوان الدّاية ،مؤسّسة الرّسالة بيروت ، ط1، 1396هـ- 1976م ، ص165

02- ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّسهيل، ت: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت،ط3: 2015م

03- ابن الأنباري محمّد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، ت : محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-صيدا بيروت-ط: د-رقم ، 1407هـ-1987م

04- ابن الخطيب محمّد بن عبد الله السلماني الغرناطي (766هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية،ط1 1424هـ

05- ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م

06- ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة ، ت: محمّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد-الهند،ط2 : 1392هـ- 1972م

07- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت،ط1: 1987م

08- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 :1421هـ- 2000 م

09- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984

10- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط1: 1418هـ-1997م

11- ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م

12- ابن مالك محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ)،إكمال الأعلام بتثليث الكلام، ت: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السعودية ، ط1: 1404هـ-1984م

13- ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط3: 1414 هـ

14- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ) ، مجاز القرآن، ت: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ط: 1381 هـ

15- أحمد بابا التّنبكتي ،نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج ، ت: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ط2 : 2000م

16- الثّعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)،فقه اللغة وسر العربية، ت: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي،ط1 :1422هـ - 2002م

17- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت: 387هـ)، مفاتيح العلوم،ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،ط2: د-ت

18- الرازيزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)،مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5: 1420هـ - 1999م

19- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، ط1: 1412هـ

20- الزّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1407 هـ

21- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)،الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1: 1417هـ- 1997م

22 - الفيومي أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت

23- المقريشهاب الدّين أحمد بن محمّد المقري التّلمساني، نفح الطّيب عن غصن الأندلس الرّطيب، ت: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان ط1: 1997م

24- الهرويأبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401 هـ)،الغريبين في القرآن والحديث، ت: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية،ط1: 1419 هـ- 1999 م

25- عبد الكريم محمّد حسن جبل، في علم الدّلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة 1997م

26- محمّد حسن عبد العزيز، المعجم التّاريخي للّغة العربيّة وثائق ونماذج، دار السّلام للطّباعة والنّشر، مصر، ط1: 1429هـ- 2008م

27- محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1 :1424هـ- 2003م.

28- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط: د-ت

29- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

30- ناصر الدّين سعيدوني، من التّراث التّاريخي والإسلامي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 1999م

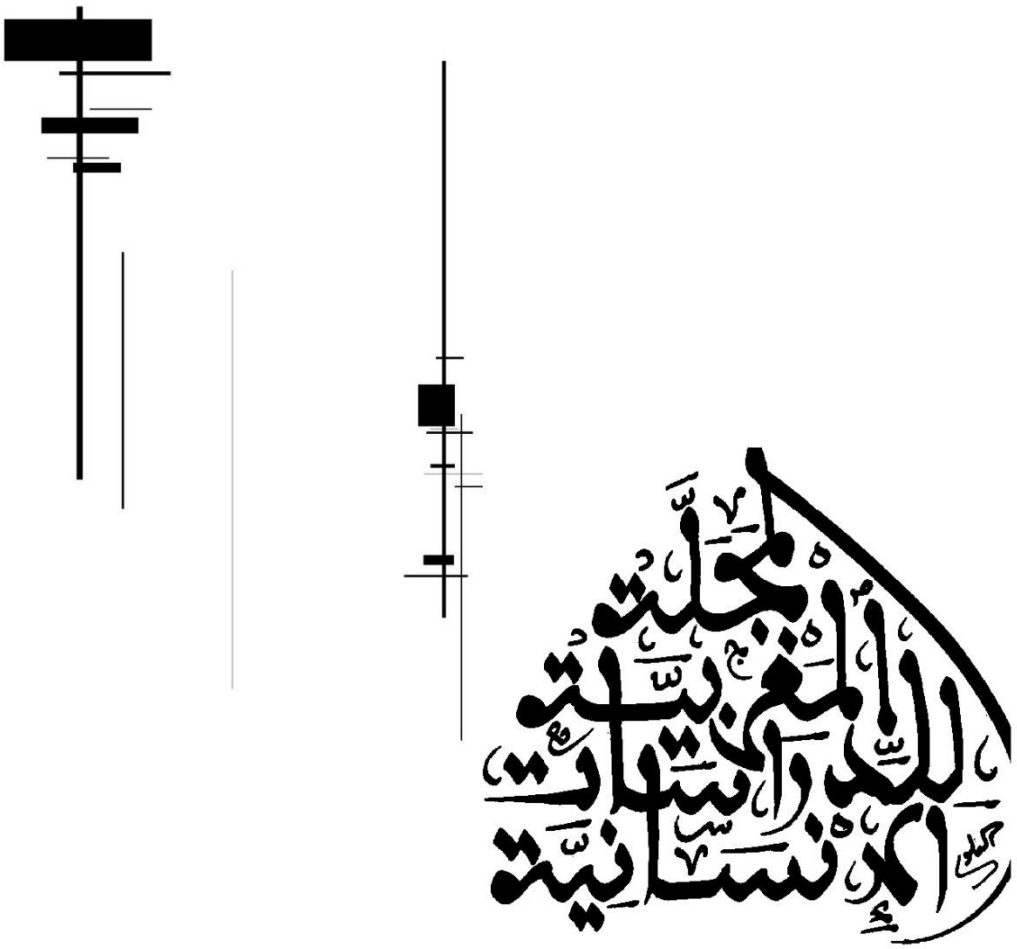
مجلة الدراسات النسانية

المناظرات اللغوية في تراث الغرب الإسلامي

الدكتور محمد أبحير، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ببني ملال

الملخص:

تعد المناظرة إحدى الآليات الحجاجية، التي تسمح بتدبير اختلافاتنا وتشكيل الآراء وتنمية المعارف، لهذا ارتأينا أن نرصد مسارها في تراث الغرب الإسلامي، فمما لا شك فيه أنها كانت تشغل حيزا مهما من اهتمامات الأندلسيين؛ ولا أدل على ذلك كثرة تداول مصطلح "مناظرة" في مصادر الأدب والفقه واللغة وكتب التراجم وغيرها.

لهذا، تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن و اقع التناظر العلمي في القضايا اللغوية بالمغرب والأندلس، عن طريق بيان صور المناظرة المعتمدة من قبل العلماء وقتئذ؛ سواء تعلق الأمر بمجالس المناظرات أو بانتهاج أسلوب التأليف الحجاجي أثناء الرد على أفكار الخصوم.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، بدأنا أولا بتعريف مصطلح "مناظرة" في اللغة والاصطلاح، ثم انتقلنا إلى بيان بعض ضو ابط الفعل المناظري، من خلال رصد شروط المناظرة وأركانها. كما بينا أشكال التناظر عند علماء الغرب الإسلامي؛ فقد برزت المناظرة لديهم في صور شتى، منها: المناظرات الشفاهية والمناظرات الكتابية.

كما بينا دور أسلوب المناظرة في الرقي بالدرس اللغوي في الغرب الإسلامي، وخدمة قضايا اللغة العربية، من خلال قدرة هذه الطريقة الحجاجية على تفتيق المعرفة ذات الصلة بالصناعة اللغوية، وعرضها على موازين العلم تحت إشراف العلماء.

الكلمات المفتاحية: المناظرة، المناظرات اللغوية، الغرب الإسلامي.

Résumé:

Le "débat" est considéré comme l'un des outils argumentatifs, qui permet de gérer nos différences, former des opinions et développer les connaissances, et c'est pour cela que nous tentions de découvrir le parcours du "débat" à l'occident islamique. Certes, il a beaucoup attiré l'attention des Andalous, puisque le mot "débat" a été abordé plusieurs fois dans les références littéraires, religieuses, linguistiques et les oeuvres de traduction, etc.

Par conséquent, cette étude vise à dévoiler la réalité du "débat" scientifique dans les sujets religieux au Maroc à travers la démonstration des aspets du débat à l'époque par les savants soit à l'aide des salons des débats ou par procéder à la production argumentative pour réfuter les idées de l'interlocuteur.

À l'ambition de réaliser ses objectifs, nous avons débuté par définir la notion "débat" de point de vue linguistique et sémantique, éclairer quelques caractéristiques en précisant les conditions du " débat" et ses axes. On a démontré également les formes du "débat" chez les savants de l'occident islamique, qui est manifesté sous plusieurs aspects à savoir : les débats oraux et .écrits

On a mis en valeur aussi le rôle du matériau linguistique de ce genre littéraire dans l'amélioration de l'acte de langage à l'occident islamique, et le soutien des sujets de la langue arabe, par la capacité de cette méthode argumentative à explorer la connaissance en relation avec la production linguistique, et l'exploser au sein des normes linguistiques sous l'encadrement des savants.

Les notions clés :

• le débat. • le débat linguistique. • l'occident islamiqu

تتمحور الدراسة حول و اقع التناظر العلمي في القضايا اللغوية بالغرب الإسلامي، فمما لا مراء فيه أن الاختلاف في وجهات النظر وقضايا العلم لا يقتصر على قطر دون سواه؛ و إنما حاضر في كل زمان ومكان، فكلما التقت العقول وبدأ السجال إلا وتتفتق المعرفة وتنمو، فكان هذا حال علماء اللغة في المغرب والأندلس.

فقد كانت القضايا اللغوية منطلقا للنقاش العلمي والتناظر الفكري بين العلماء، ولا شك أن الأمر كان يتم في احترام تام لقواعد التناظر وضوابطه، مما أنتج لنا علما منضبطا لقواعد التفكير السليم، صورته ما توصلنا إليه من مناظرات لغوية وأشكال حجاجية أخرى.

ولعل من مبررات انتعاش سوق المناظرة بالغرب الإسلامي، رغبة علماء العدوتين في تطوير الدرس اللغوي وتجديد آلياته بانتهاج أسلوب المناظرة، لأنه أقرب الأساليب إلى التفاكر والحوار العلمي السديد. إذ يجمع الكل على أن المناظرة "تخاطب العقلاء"، وأن هدف المتناظرين هو إظهار الحق والوصول إلى الحقيقة والإذعان لها من قبل الطرفين أو الأطراف المشاركة في المناظرة.

1. في تعريف المناظرة:

المناظرة في اللغة مأخوذة من ثلاثة أحرف أصلية[1] هي: النون والظاء والراء، ففي معجم "أساس البلاغة" للزمخشري (538 هـ):"نظرت إليه ونظرته... وهو ينظر حوله: يكثر النظر. وهو نظيره بمعنى مناظره أي مقابله ومماثله"[2]، أما ابن منظور(711هـ) فيرى أن "النظارة: القوم ينظرون إلى الشيء... تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تناظر أي تقابل "[3].

وفي الاصطلاح،يعرفها الجويني (478هـ) في كتابه "الكافية في الجدل" بقوله: "فأما المناظرة: فهو مأخوذ من النظر؛ وكل مناظرة نظر.وإن كان ليس كل نظر مناظرة، من حيث إن المناظرة مفاعلة، من النظر: وهو نظر بين اثنين"[4]، ويذهب صاحب الكافية إلى أنه "لا فرق بين المناظرة والجدال،

---

[1] أما قراءة كلمة "مناظرة " صرفيا فهي مشتقة من فعل "ناظر" المتكون من أربعة أحرف بزيادة حرف الألف على الأصل الثلاثي "نظر" ومعروف في علم الصرف العربي أن صيغة "فاعل" تدل مبنى ومعنى على وجود شخصين (طرفين) يشتركان معا في القيام بفعل واحد في الوقت نفسه. كما تدل أيضا على المنافسة بين الطرفين المشاركين. انظر: العياشي إدرواري، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط: 1، 2012، ص: 19.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، حققه: عبد الرحيم محمود، عرف به: أمين الخولي، ط: 1، الجديدة 1372 /1953، ص: 462.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر/ دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1412/1992، 215/5و217.

[4] الجويني، الكافية في الجدل، حققته وقدمت له:فوقية حسين محمود، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة 1399/ 1979، ص: 19.

والمجادلة والجدل"[1] إلا أنه استدرك فقال: "وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة؛ وذلك أن الجدل في اللغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر"[2].

بينما يعرفها الجرجاني (816 هـ) بقوله: "هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب"[3]،

أما أرباب الفكر الحديث، فقد اختلفوا في تعريف المناظرة تبعا لاختلاف مجال تخصص كل باحث واهتمامه، فقد عرفها عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانيفي قوله: "المناظرة هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره و إبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره"[4].

بينما يعرفها حسين الصديق بقوله: "يمكننا القول إن المناظرة هي نوع من أنواع الخطاب الاحتجاجي الذي يمكن تعريفه بشكل سريع كما يلي: في هذا الخطاب يتوجه متكلم ما (أ) بالخطاب إلى مستمع ما (ب) بهدف تغيير رأي (ب) في قضية من القضايا، وينتمي هذا الخطاب إلى البيان باعتباره فن الكلام أو فن التعبير عن الفكر"[5].

انطلاقا من هذه التعاريف، يمكن استنتاج جملة من الخلاصات، منها:

- **المناظرة نظر بين اثنين (أو أكثر).**
- **المناظرة مباحثة عقلية (نظر بالبصيرة).**
- **المناظرة فن من فنون القول أو الكلام.**
- **المناظرة محاورة وتبادل للكلام والآراء المتعارضة.**
- **المناظرة .وفقا للمعطى السابق، خطاب احتجاجي.**
- **تستدعي المناظرة الاختلاف في الفكر والرأي.**
- **الهدف المعلن للمناظرة هو إظهار الحق أو الصواب.**

---

[1] نفسه، ص: 19.

[2] الكافية في الجدل، ص: 19.

[3] الجرجاني، كتاب التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423 ./ 2002، ص: 184.

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، بيروت/دمشق ط: 2، 1401/1981، ص: 381.

[5] حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ط: 1، 2000، ص: 186.

2. ضوابط التناظر:

حدد القدماء والمحدثون مجموعة من الضوابط التي لا يستقيم سير المناظرة إلا بها، ولا يمكن التأسيس للتناظر إلا بالتزامها، وهي في الغالب الأعم مجموعة من الشروط والأركان الغاية منها ضمان الحوار الجاد بين المتناظرين قصد الوصول إلى الحق والصواب.

من ذلك ما يقرره الجويني في كتابه "الكافية في الجدل" إذ يرى أن "أول شيء فيه مما على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته في امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه، ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل"[1].

ومن شروط المناظرة أيضا: "صيانة لها عن أن تتحول إلى مماراة بعيدة عن نشدان الحقيقة، أو إلى مشاحنات أنانية، ومشاتمات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويورث التعصب، ولا يوصل إلى حق"[2].

كما أفرد طه عبد الرحمن حيزا مهما لآداب المناظرة أو " أخلاقيات المناظرة"،ضمن كتابه: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" منها[3]:

- أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة.

- أن يمهل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته.

- أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغية إضعافه عن القيام بحجته.

- أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به.

- أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلا المضادة.

ولا بد للمناظرة من أركانكما يأتي:[4]

- الموضوع: إذ لا بد من وحدة الموضوع الذي يتفق عليه طرفا المناظرة، أو يقترحه غيرهما، فيكون ذلك الموضوع مدار الحجج التي تتقارع، والآراء التي تتصارع.

---

[1] الكافية في الجدل، ص: 529.

[2] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 371.

[3] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط: 3، 2007،ص: 74 و75.

[4]رحيم جبر أحمد الحسناوي، المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1999،ص: 54 وما بعدها.

- طرفا المناظرة: وهما لا يخلوان أن يكونا شخصين لكل منهما رأي أو مذهب، أو يمثلان فئتين، وجمعهما خلاف، أو عالمين أو أديبين جمعهما سبيل العلم والأدب، أو دعوة من خليفة أو وزير فتناظرا.

- المجلس والجمهور: إذ لابد للمناظرة من المجلس الذي يعقد ويحضره الجمهور، وقد يعقد المجلس خصيصا لمناظرة معلومة بين عالمين...معروفين، ويحضر الجمهور وهو يعلم طرفيها والموضوع، وقد تقع المناظرة فجأة في أثناء انعقاد حلقات العلم أو مجالس العلماء.

أما الجمهور فهو نوعان: خاص وعام، أما الخاص فهو العلماء، وأما العام فعامة من يحضر مجلس المناظرة من أصحاب طرفيها، أو مريديهما أو أتباعهما أو تلاميذهما.

3. التناظر في قضايا اللغة:

يعد التناظر في قضايا اللغة من المباحث التي عني بها القدماء بحثا وتأليفا، وتكفي الإشارة في هذا المقام إلى مؤلفات أبي البركات ابن محمد الأنباري(577هـ)، فقد ألف كتابين هما: "الإغراب في جدل الإعراب" وكتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف"، إذ يتبين حضور الجدل والمناظرة في الكتابين، فقد قال في تقديمه للكتاب الأول: " وبعد، فإن جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" تلخيص كتاب في جدل الإعراب معرى عن الإسهاب، مجرد من الإطناب ليكون أول ما صنف لهذه الصناعة في قوانين الجدل والآداب، ليسلكوا به عند المجادلة والمحاورة والمناظرة سبيل الحق والصواب، ويتأدبوا به عند المحاورة والمذاكرة عن المناكرة والمضاجرة في الخطاب...وفصلته اثني عشر فصلا على غاية من الاختصار وتقريبا على الطلاب"[1].

كما عبر المصنف عن ولعه بالصناعة الحجاجية في مؤلفه: "الإنصاف في مسائل الخلاف"، فقد جعل الكتاب "يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي و أبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب، وألف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف، ولا ألف عليه أحد من الخلف"[2].

[1] أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب،حققه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط:2، 1971، ص: 35 و36.

[2] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، 5/1.

بالإضافة إلى ابن الأنباري، اعتنى العلماء من بعده بالتأليف في الصناعة الحجاجية ذات الصلة بعلوم اللغة، ومن هؤلاء: الإمام جلال الدين السيوطي (911هـ)، إذ جعل كتابه "الأشباه والنظائر في النحو" مرتبا على سبعة علوم، منها ما سماه: "علم الجدل في النحو"[1]، وقد وصفه في الكتاب بـ"فن المناظرات، والمجالسات، والمذاكرات، والمراجعات، والمحاورات، والفتاوي والواقعات، والمكاتبات، والمراسلات"[2].

وقد ازدهر النشاط اللغوي والنحوي في الأندلس، بعد أن وضعت بذوره الأولى في المشرق، إذ اتخذت دراسة النحو واللغة في القرن الرابع طابعا علميا جادا، فتحول التعليم إلى علم، واستبدل النقل بالتأليف، وظهر التخصص في دراسة اللغة والنحو بدل الجمع من كل فن بطرف[3].

وتطورت الأمور خلال القرون الموالية،[4] ومن علامات ذلك: إشاعة الدراسات النحوية في مختلف حواضر الأندلس أمثال: مالقة وقرطبة وغرناطة وألمرية وجيان وطليطلة وغيرها. إضافة إلى إغناء المكتبة النحوية بما خلفه الأندلسيون من تراث نحوي نفيس.[5] ومن الأسماء التي لمعت في علمي النحو واللغة بالأندلس، نذكر:

- **محمد بن الحسن الزبيدي (379هـ)، مؤلف "طبقات النحويين واللغويين" وكتاب "الواضح في النحو".**
- **الأعلم الشنتمري(476هـ)، شرح جمل الزجاجي و أبيات الجمل وكتب شرحا على الشواهد في كتاب سيبويه سماه:" تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب".**

---

[1] جلال الدين السيوطي،الأشباه والنظائر في النحو، حققه: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة/بيروت،ط: 1، 1406/1985، 9/1.

[2] الأشباه والنظائر في النحو، 31/5.

[3] محمد عبد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث،عالم الكتب، القاهرة ط:4، 1989/ 1410، ص:33.

[4] يذهب محمد المختار ولد أباه إلى أنه ابتداء من القرن الهجري الخامس سيتحول مركز ثقل الدراسات النحوية من المشرق إلى المغرب، فتزدهر علوم اللغة بين ربوع الأندلس ثم تمتد إلى الحواضر المغربية، لتستمر وضاءة أكثر من قرنين. انظر: محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب-منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-1417/1996، ص:24.

[5] عبد الهادي الفضلي، مراكز الدراسات النحوية،مكتبة المنار، الأردن ط:1، 1406/1986، ص:54.

- **العالم اللغوي علي بن إسماعيل بن سيدة (458هـ)، صاحب "المحكم" و"المحيط الأعظم" و"المخصص" وله شرح على إصلاح المنطق وشرح لكتاب الأخفش.**
- **ابن السـيد البطليوسـي (521هـ)، مؤلف كتاب "المثلث" و"كتاب في الحروف الخمسة" وغيرها من المؤلفات.**
- **ابن مضاء القرطبي (592 هـ)، صاحب كتاب "الرد على النحاة"، و"المشرق في النحو"، وغيرهما.**
- **ابن خروف(609هـ) الذي شرح كتاب سيبويه وكتاب الجمل للزجاجي.**
- **ابن عصـفور الإشـبيلي (669هـ)، صـاحب "مثل المقرب"، و"شـرح الجمل"، و"الممتع في التصريف"، وغيرها من المؤلفات.**
- **إضافة إلى أبي حيان الغرناطي (745هـ) وغيرهم.[1]**

4. أشكال التناظر:

لم يكتف العلماء بتأليف "الكتب والمدونات والمختصـرات في علم النحو، التي تبرز آراء أصحابها وتبين مذاهبهم في العربية ونحوها،[بل] كان هناك ما يسمى بـ"المناظرات والمحاورات" التي جرت بين هؤلاء العلماء إما وجها لوجه، أو عن طريق المراسـلات، وكانت تقع أحيانا بين يدي الخلفاء والأمراء، وأحيانا أخرى بعيدا عن جو الخلافة والحكم"[2].

ولعل من فوائد التناظر في العلم أن "ما عرضـه العلماء أثناء مناظراتهم ومحاوراتهم، بأسلوب حواري ومعالجة للمسائل في ضوء النصوص، هو منهج جدير بالاهتمام والإفادة منه، لكونه منهجا بعيدا عن طريقة الإملاء والتقرير، التي تضج بها كتب ومدونات النحو العربي، فهو منهج تنشده الدراسات اللغوية الحديثة، لدراسة النحو وتعليمه للطلبة، ليكون قريبا من الفهم وواقعا تطبيقيا بعيدا عن التجريد والافتراض"[3].

---

[1] ينظر:

- ✓ أصول النحو العربي، ص: 35و36.
- ✓ مراكز الدراسات النحوية، ص:53و54.

[2] مختار بزاوية، المناظرات والمحاورات النحوية وأثرها في الدرس اللغوي: كتاب "طبقات النحويين واللغويين " للزبيدي أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد: 04، المجلد: 08، السنة: 2019، ص: 511.

[3] نفسه، ص: 511.

وقد برزت المناظرة لدى علماء الغرب الإسلامي في صورشتى، فإما أن تكون:

- **مشافهة حيث يجتمع المتناظران أو المتناظرون إذا كانوا جماعة ويدلي كل بوجهة نظره وحجته،**
- **أو أن يكتب أحدهم كتابا ثم يرد خصمه بكتاب يجادله في آرائه ويدحضها ويثبت عكس ما قاله الأول.[1]**

وبناء عليه، يمكن الحديث عن نوعين من المناظرات:

- **المناظرات الشفاهية: وهي المناظرات التي تجري في مجالس معلومة.**
- **المناظرات الكتابية: وهي الردود والردود المضادة.**

أ- المناظرات الشفاهية:

اعتنت المصادر الأندلسية والمغربية بتدوين أطوار مناظرات شفاهية بين علماء اللغة والنحو في الغرب الإسلامي، ومن خلال التأمل في أحداثها ومجريات مجالسها، نجد أنها طرقت العديد من الموضوعات ذات الصلةبالصناعة اللغوية، ومن ذلك:

- **مناظرة الزبيدي (379هـ) والعاصمي(382 هـ) و ابن العريف (390 هـ) لصاعد البغدادي (410ه) في مسائل لغوية ونحوية.[2]**

وحكاية المناظرة كما يرويها لنا صاحب "الذخيرة"، أنه اجتمع عند المنصور ابن أبي عامر أعيان الأوان كالزبيدي والعاصمي و ابن العريف ومن سواهم؛ فقال لهم المنصور: هذا الرجل الو افد علينا صاعد يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم سرجها الضاحية، وأهلتها السارية. وأحب أن يمتحن ما عنده.

وقد بادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب، فلم يحضره فيها جواب، واعتذر أن النحو ليس جل صناعته. مما دفع الزبيدي إلى سؤاله قائلا: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال صاعد: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا؟ إنما

---

[1] أحمد أمين مصطفى، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع، دار النمر للطباعة،1984، ص:224.

[2] ينظر:

- ✓ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،حققه:إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2000 ،14/7.
- ✓ المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،حققه:إحسان عباس، الطبعة الجديدة، دار صادر، بيروت،1997، 77/3.

يسأل عنه صبيان المكتب. فقال الزبيدي: قد سألناك، ولا نشك أنك تجهله. فتغير لونه وقال: " أفعل ". قال الزبيدي: صاحبكم ممخرق! قال له صاعد أخال الشيخ صناعته الأبنية؟ قال له: أجل. قال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار. ورواية الأخبار، وفك المعمى، وعلما لموسيقى[1].

- مناظرة بين السهيلي (581هـ) و ابن خروف (609هـ) في مسألة مخاطبة الأنثى ب " إحدى المحجورين " في عقد يتضمن ذكورا و إناثا[2]:

فقد ذكر بعضهم كلمة "محجورين" في عقد له يتضمن ذكورا و إناثا، فاحتاج في خلال العقد إلى ذكر أنثى منهم، فقال: "إحدى المحجورين"، فمنع ذلك السهيلي، وقال قول الشاعر:

إحدى بني الحارث

هو كقول النابغة:

إحدى بلي

وقول الآخر:

إحدى ذوي يمن

وليس في شيء منها شاهد لمن زعم أنه يجوز: إحدى المسلمين، و أنت تعني مسلما ومسلمة أو إحدى المسلمين و أنت تعني مسلمة ومسلمين، لأن الجمع الذي على حد الثنية هو بمنزلتها. ولو جاز هذا لجاز أن تقول في حمار و أتان: هذه إحدى الحمارين.

وقد اعترض ابن خروف على أقوال السهيلي قائلا: إحدى المحجورين صحيح يعضده السماع والقياس، قال تعالى: "قالت أخراهم لأولاهم " فجمع بين تذكير وتأنيث في مضاف ومضاف إليه، وهو بعضه، وإحدى المحجورين أحرى، لأن تأنيث الآية غير حقيقي.

لكن اعتراضات ابن خروف لم تكن مقنعة من وجهة نظر السهيلي، إذ فندها قائلا: لا دليل في قوله سبحانه: " قالت أخراهم لأولاهم "، لأنه لم يجتمع في الآية مؤنث ومذكر، فغلب المذكر يعني أن آحاد الأمم مؤنثات من حيث الأمم جمع أمة، وليس في جمع أمة على أمم نقل مؤنث إلى مذكر، ولكن هذا هو باب جمع هذا المؤنث، فإذا قلت: أخراهم فلم ينقص، كما فعلته في إحدى المحجورين، نقلت مؤنثا إلى مذكر وجعلت محجورة محجورا، كأنه شيء محجور.

---

[1] الذخيرة، 14/7.

[2] الأشباه والنظائر في النحو، 5 / 215 وما بعدها.

وقد نقل في نهاية المناظرة قول ابن الحاج: ورد ابن خروف هذه الفصول كلها بما لا يشفى، و أبان انه لم يفهم عن السهيلي شيئا[1].

- مناظرة السهيلي (581 هـ) لابن خروف (609 هـ) في مسألة دخول الألف واللام في كلمتي القردة والخنازير[2].

ورد في كتاب "الأشباه والنظائر في النحو"، أن السهيلي رأى في قوله تعالى: " وجعل منهم القردة والخنازير"[3] ، أن الألف واللام يدلان على معنى الاتعاظ والاعتبار. وقد فهم ابن خروف عنه أنه يثبت للألف واللام معنى ثالثا أو رابعا وهو معنى الاتعاظ، فرد عليه بأنه قال: ما لم يقله أحد.

وقد رد عليه السهيلي قائلا: إنما أردت أن الله سبحانه لما خاطب أهل الكتاب بهذا، فأشار إلى الجنس المصروف إلى القردة والخنازير التي مسخ من سلف من الأمم على هيئتها وصورتها لم يكن بد من الألف واللام الدالتين على تعيين الجنس حين دخل الكلام معنى الاتعاظ والاعتبار والتخويف ولو قال: قردة وخنازير لم يكن فيه ذلك[4] .

- مناظرة ابن أبي الربيع(688هـ) مع مالك بن المرحل (699هـ)، حول كلمة "ماذا؟" وهل يجوز أن يقال "كان ماذا؟" أم لا؟

لقد شهدت مدينة سبتة حركة فكرية نشيطة في القرن السابع الهجري، مما يسر ازدهار المناظرات والمحاورات العلمية في العديد من القضايا العلمية، ولعل من بين علامات هذا التراكم المعرفي، المناظرة التي جرت بين أكبر عالمين فيها ابن أبي الربيع النحوي، ومالك بن المرحل الأديب اللذين هاجرا إليها من العدوة الأندلسية[5].

إذ اختلف العالمان في جواز قول: كان ماذا أم لا؟ فقد ألقى ابن المرحل قصيدة كان من ضمن أبياتها قوله:

وإذا عشقت يكون ماذا؟ هل له دين علي فيغتدي ويروح؟

---

[1] نفسه، 5 / 215 وما بعدها.

[2] الأشباه والنظائر، 226/5 و227.

[3] سورة المائدة، الآية: 60.

[4] الأشباه والنظائر، 226/5 و227.

[5] مالك ابن المرحل، أديب العدوتين، ص:269.

بتقديم" كان" على اسم الاستفهام، فأنكر ابن أبي الربيع ذلك[1]، وبهذا فقد عرفت المناظرة بقضية "كان ماذا؟"؛ وهي المسألة التي انحازفيها النحوي إلى القياس، والأديب إلى السماع. وقد جاء في كتاب "نفح الطيب" للمقري أن الأستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر، كما أن ابن المرحل تطفل عليه في النحو[2].

ب- المناظرة في التأليف:

المقصود بالمناظرة في التأليف؛ تأليف مصنفات على الطريقة الحجاجية، يناظر فيها مؤلفوها أقوال و أفكار الخصوم، أي ينظر للمؤلف باعتباره ممارسة للحجاج والمناظرة[3]، من خلال المادة المبثوثة في الكتاب سواء أكانت هذه المادة لغوية أم أصولية أم فقهية أو غير ذلك.

وعليه، فالمناظرة في التأليف تعني استثمار منهج المناظرة في صياغة تآليف ترد على تآليف أخرى؛ فقد "ظهرت صنوف من الخطابات تقر بالمناظرة منهجا مثل "خطاب التهافت" "وخطاب التعارض" و"خطاب الرد" و"خطاب النقض" وما إليها"[4]. وبالجملة، فقد برزت مراسلات عديدة عبر الكتب والمصنفات أعرب فيها العلماء عن آرائهم وعقائدهم ودعواتهم[5].

- **" التعقيب على الإفليلي(441هـ) في شرحه لديوان المتنبي" لابن حزم (456هـ):**

ألف ابن الإفليلي كتابا يشرح فيه معاني شعر المتنبي، إلا أن ابن حزم تعقبه بكتابه "التعقيب على الإفليلي في شرحه لديوان المتنبي"[6]، وفقا لما جاء في "الذخيرة"، كما ذكره الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء"[7].

---

[1] انظر:

- ✓ محمد مسعود جبران، مالك بن المرحل أديب العدوتين، دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، منشورات المجمع الثقافي،أبو ظبي،2005/ 1426، ص:501.
- ✓ نفح الطيب، 145/4.

[2]نفح الطيب، 145/4.

[3]أو ما عبر عنه عبد الرحمن طه بقوله:"[لقد] وضعت تآليف على طريقة المناظرة في مختلف الميادين"، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:68 و69.

[4]في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:69.

[5]فخر الدين الرازي، المناظرات، حققه وقدم له: عارف تامر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط:1، 1992/1412، ص: 11.

[6]الذخيرة، 219/1.

[7]الذهبي، سير أعلام النبلاء،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،ط:11، 1996/1417، 197/18.

وقد اعتمد الإفليلي في كتابه منهجا يتأسس على الإحاطة بقضايا شعر المتنبي التي عني بها من تدارس شعره قديما وحديثا؛ مثل مقدمات قصائده، لغته الشعرية، تشكيله الفني، إشكال معانيه، مبالغاته، سرقاته[1]. و ابن الإفليلي[2] هذا كما يحكي ابن بسام على لسان ابن حيان قد بذ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيورا على ما يحمل من ذاك الفن كثير الحسد فيه، راكبا رأسه في الخطأ البين إذا تقلده أو نشب فيه، يجادل عليه، ولا يصرفه صارف عنه.

- "الانتصار ممن عدل على الاستبصار" لابن السيد البطليوسي [3](521هـ)

ألف ابن السيد البطليوسي (521 هـ) هذا الكتاب ردا على أبي بكر بن العربي (543هـ) الذي أثبت مجموعة نقود وتعليقات على طرة إحدى نسخ شرح ابن السيد البطليوسي لديوان أبي العلاء المعري(448 هـ)، ولما انتهت تلك التعليقات إلى البطليوسي ألف كتابه السالف الذكر.

وتتلخص انتقادات ابن السيد في تصحيح الأخطاء الواردة في الشرح؛ فمنها ما يرجع إلى الرواية الصحيحة في شعر أبي العلاء، وقد اعتمد ابن العربي رواية التبريزي الإمام الحجة. ومنها ما يرجع إلى الوزن، وقد جاءت أبيات مكسورة لا يستقيم لها وزن. ومنها ما أوغل فيه من مذاهب الفلاسفة والمتكلمين، وغيرها من الانتقادات[4].

يفصح البطليوسي عن أسباب الرد على اعتراضات غريمه ابن العربي قائلا: " رأيت -أراك الله منهج الحق وسننه، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه – اعتراضات ابن العربي علينا في شرح شعر المعري. ولسنا ننكر معارضة المعارضين، ومناقضة المناقضين، فإنها سبيل العلماء المعروفة، وطريقهم المعروفة ... و إننا ننكر من أمر هذا الرجل – وفقنا الله و إياه الى

---

[1] ابن الإفليلي، شرح شعر المتنبي، حققه: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1992/1412، 79/1.

[2] من أهل قرطبة، كان من أئمة النحو واللغة، ولهمعرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، وشرح "ديوان المتنبي" شرحا جيدا، وكان حافظا للأشعار ذاكرا للأخبار و أيام الناس، عني بكتب جمة كـ:"الغريب المصنف"و"الألفاظ" وغيرهما، توفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،حققه: د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 51/1.

[3] هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي، كان عالما بالآداب واللغات، متبحرا فيهما مقدما في معرفتهما وإتقانهما، حسن التعليم، جيد التفهيم ثقة ضابطا، ألف كتبا منها كتاب" المثلث"، وله كتاب" الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" وشرح"سقط الزند"لأبي العلاء المعري وغيرها. توفي سنة 521هـ الذخيرة، 673/6. وفيات الأعيان، 96/3 وما بعدها.

[4] سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط: 1، 1987/1407، ص: 163.

صـالح العمل – أنه تعسـف وما أنصـف، وجاء في المعارضـة والخلاف، بأشـياء اسـتطرفها غاية الاستطراف "[1].

ثم وصـــل ما انقطع من كلامه الســـابق مبينا مواطن الرد قائلا: " وذلك أنه وجد أبياتا أفسدها ناسخ الديوان، بالزيادة والنقصان، فعادت مكسورة الأوزان، ونبت العين، عما فيها من الشـين. فنبه عليها في طرر الكتاب، وبين فيها وجه الصـواب. كأنه توهم – عفا الله عنه – أننا من الطبقة التي لا تقيم وزن الشـعر، ولا تحسـن شـيئا من النظم والنثر. وكذلك وجدنا لحنا من الناسخ في بعض الأحرف، فظنه من قبل المؤلف المصنف، فتفضل بأن نبه عليه في طرر الكتاب، فجعلنا عنده في مرتبة من لا يقيم وزن الشعر ولا يحسن الإعراب"[2].

وحاصل الكلام، لقد اضطر ابن السيد البطليوسي إلى الرد على الاعتراضات مكرها [3] ، كما تطوع أحد تلامذة أبي بكر بن العربي للدفاع عن أستاذه، فألف رسالة انتقد فيها كتاب "الانتصار" لابن السيد البطليوسي[4].

- **" كتاب الرد على النحاة " لابن مضاء القرطبي[5] (592هـ).**

دعا ابن مضاء القرطبي في رده هذا جمهور النحاة إلى إبطال نظرية العامل، وإلغاء القياس، وإلغاء العلل والثواني والثوالث إضافة إلى اعتراضه على كثير من مقولات النحاة مثل القول بأن إجماع النحاة على العوامل حجة، والقول بتقدير متعلقات المجرورات، وبتقدير الضـمائر المستترة في المشتقات وبتقدير الضمائر المستترة في الأفعال.[6]

---

[1] ابن السـيد البطليوسـي، الانتصـار ممن عدل عن الاسـتبصـار، حققه وشـرحه وقدم له، د حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1996، ص: 1 و2.

[2] نفسه، ص: 2.

[3] يقول ابن السـيد البطليوسـي: " ولولا يظن بنا هذا الرجل – وفقه الله – عجزا عن الانتصـاف والانتصـار، كما توهم علينا الجهل بالإعراب وكسـر الأشـعار، لصـمتنا عن مراجعته صـمت الرجم ولم نتشـاغل بتصـريف لسـان في مجاوبته ولا قلم. ولكن سـوء معاملته أحوج الى الكلام ". الانتصار ممن عدل عن الاستبصار، ص: 2. وانظر مناقشة اعتراضات ابن العربي في الانتصار، ص: 3 وما بعدها.

[4] مع القاضي أبي بكر ابن العربي، ص:91.

[5] هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن مضـاء اللخمي، أصـله من قرطبة، وقد كان ملما بالعديد من العلوم مثل: الطب والحساب والهندسة كما كان كاتبا وشاعرا، توفي سنة 592هـ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه: محمد أبو الفضـل ابراهيم، دار الفكر، ط: 2، 1399 / 1979. 323/1. ابن الآبار، التكملة لكتاب الصـلة، حققه إبراهيم الأبياري، المكتبة الأندلسية، مجلد: 18، ط: 1، دار الكتاب المصري، القاهرة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410 / 1989، 89/1 و90.

[6] انظر:

- ✓ رضـا عبد الجليل الطيار، الدراسـات اللغوية في الأندلس منذ مطلع القرن السـادس الهجري حتى منتصـف القرن السـابع الهجري، عصر المرابطين والموحدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980، ص:22.

يقول ابن مضـــاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة": "فإنه حملني على هذا المكتوب قول الرســول صــلى الله عليه وســلم:"الدين النصــيحة..." و إني رأيت النحويين-رحمة الله عليهم-قد وضـعوا صـناعة النحو كحفظ كلام العرب من اللحن، وصـيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغـاية التي أموا، و انتهوا إلى المطلوب الـذي ابتغوا؛ إلا أنهم التزموا مـا لم يلزمهم، وتجـاوزوا فيهـا القدر الكافي فيما أرادوه منها، فتوعرت مسالكها.."[1].

ويوضـح ابن مضـاء قضـايا الرد في قوله:"قصـدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يســتغني النحوي عنـه، و أنبـه مـا أجمعوا على الخطأ فيـه، فمن ذلـك ادعـاؤهم أن النصـــب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي"[2] .

وقد اعتبر شــوقي ضــيف وغيره[3] أن البواعث الحقيقية لتأليف الكتاب فقهية وليســت نحوية، ويتضح ذلك من خلال النزعة الظاهرية المبثوثة في ثنايا الكتاب، فقد عاش ابن مضاء في كنف الدولة الموحدية، وكانت هذه الدولة تعتنق المذهب الظاهري الذي ينكر العلل والأقيسة في الفقه والتشــريع، فمضــى ابن مضــاء على هدي هذا المذهب ينكر-في إصــرار-نظرية العامل في النحو وما جرت إليه من ركام الأقيسة والعلل.

- **" الرمي بالحصى والضرب بالعصا " لمالك بن المرحل[4] (699 هـ):**

✓ محمد حسن عواد، الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي صورة من صور التفاعل بين الفقه والنحو، ضمن كتاب: الكوكب الدري فيهما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، لجمال الدين الأسنوي حققه: محمد حسن عواد، ط:1، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 1426هـ/2005، ص:82 وما بعدها.

[1] ابن مضاء القرطبي،كتاب الرد على النحاة،حققه: شوقي ضيف دار المعارف، ط :3، ص:71و72.

[2] نفسه، ص:76. ويظهر البعد الحجاجي للكتاب في قوله: "وإني رأيت النحويين -رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصـيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا؛ إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها، فتوعرت مسـالكها، ووهنت مبانيها، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها". نفسـه، ص: 80.

[3] كتاب الرد على النحاة، ص:3 و4. وانظر الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي صورة من صور التفاعل بين الفقه والنحو، ص: 83 وما بعدها.

[4] هو مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن المرحل السبتي، مولده بمالقة عام أربعة وستمائة، ذو العلم والأدب والقراءات وغيرها. ومن بديع نظمه التبيين والتبصير لكتاب التسيير في قصيدة لامية الألف عارض بها الشاطبي، ونظم غريب القران لابن عزيز في أرجوزة. وتوفي بفاس عام تسعة وتسعين وستمائة.

انظر: الوادي آشي، برنامج الوادي آشي،حققه وقدم له: د محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981/1401، ص: 143 و144.

ألف مالك بن المرحل هذه الرسالة للرد على مآخذ ابن أبي الربيع الاشبيلي (688هـ)[1]. فقد اجتمعا يوما في مجلس حاكم سبتة، فأنشدت أبيات قصيدة لابن المرحل وبها تركيب " كان ماذا؟ " فأنكر ذلك ابن أبي الربيع " جريا على قاعدة النحو في منع تقديم العامل على اسم الاستفهام "[2].

ويروي ابن المرحل دو افع تأليف الرسالة قائلا: " اعلم – أعزك الله – إن هذا الرجل المشار إليه هو الذي أثار نار" كان ماذا " التي أحرقته حتى صاح ليتني يا مال لم أرها.

وذلك أنه سمع رجلا ينشد لي قصيدة في محل كريم جمعني و إياه، وكان فيها:

وإذا عشقت يكون ماذا هل له دين علي فيغتدي ويروح

فقال: لحن هذا الناظم، لا يقال كان ماذا؟ ولا يكون ماذا؟ ولا فعل ماذا؟ ولا أفعل ماذا؟ ولا يجوز ما كان على هذه الطريقة "[3].

فكان هذا الاعتراض باعثا من بواعث تأليف ابن المرحل رسالته الموسومة بـ" الرمي بالحصى والضرب بالعصا ". وقد قسمها إلى ثلاثة أجزاء صغيرة يخص كل واحد منها بعنوان، فالأول " جزء يا مال "، والثاني: " جزء الواعظ "، والثالث " جزء الرميلة "[4]. وقد لخص المقري النزاع القائم بين ابن أبي الربيع النحوي، ومالك بن المرحل الأديب قائلا: " وهذه الكلمة – أعني " ماذا " – جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور، وبين مالك بن المرحل بسبتة، حتى ألف مالك كتاب " الرمي بالحصى والضرب بالعصا " وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها، ولا لذي طي في البيان أن ينشرها ...

وحكى الأستاذ ابن غازي أنهم اختلفوا: هل يقال كان ماذا أم لا؟ وقال: إن الأستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر، كما أن ابن المرحل تطفل عليه في النحو".[5]

---

1 هو عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي، الأستاذ، يكنى أبا الحسين، ويعرف بابن أبي الربيع، من أهل اشبيلية. وقد كان نحويا جليلا، فقيها. شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي شرحا شافيا، وألف غير ذلك ونفع الله به كثيرا. توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة.ابن الزبير الغرناطي،صلة الصلة، حققه: د عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1995/1416، 3 / 166.

[2] المحاضرات والمحاورات، ص: 116، نقلا عن مالك بن المرحل أديب العدوتين، دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، د محمد مسعود جبران، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1426 هـ / 2005، ص: 269.

[3] مالك بن المرحل أديب العدوتين، ص: 502.

[4] نفسه، ص: 270.

[5] نفح الطيب، 4/ 145.

- **ردود على كتاب "المقرب" لابن عصفور الإشبيلي[1] (669هـ)**

ألف ابن عصفور الإشبيلي كتاب "المقرب" بناء على طلب الأمير الحفصي في تونس، الذي طلب منه وضع تأليف خفيف خال من الإطناب الممل، بعيدا عن الاختصار المخل، يحتوي على كليات النحو، ويشتمل على فصوله وغاياته، عار عن إيراد الخلاف والدليل[2].

ولما ألف ابن عصفور كتابه" المقرب" تصدى له مجموعة من علماء الأندلس وغيرهم لانتقاده والرد عليه، ومن جملة هؤلاء، ما أورده المقري في كتابه "النفح"[3] وغيره:

- الجزيري وله عليه "المنهج المعرب في الرد على المقرب"، ويرى المقري أن في هذا الرد تخليصا كثيرا وتعسفا.

- ومنهم أبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي، وقد سمى رده: "شد الزيار عن جحفلة الحمار".

- أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي الاشبيلي المعروف بابن الحاج، له رد على ابن عصفور بكتاب أسماه: "الإيرادات على المقرب".

إضافة إلى ردود أخرى مثل رد ابن هشام الأنصاري، و ابن مؤمن القابسي...

- **ردود أخرى في النحو:**

منها التنازع الذي وقع بين أبي محمد القرطبي (611هـ) وبين أبي علي الرندي(616هـ) في بعض المسائل التفسيرية والنحوية، فألف القرطبي كتاب "المبدي خطأ الرندي"، وألف الرندي كتاب "الخبي في أغاليط ابن القرطبي".[4] وقد أورد الحميدي في "جذوة المقتبس" أنه رأى كتابا لابن العريف النحوي يشتمل على مسائل من النحو اعترض فيها على أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوي، ذكرها أبو جعفر في كتابه المعروف بـ"الكافي".[5]

---

[1] هو علي بن عبد المومن بن محمد بن علي بن عصفور بن فرحون، ولد بإشبيلية سنة 597هـ، ونشأ بها ودرس العلم،له تصانيف في النحو والصرف والأدب منها: "شرح الجمل"،"الممتع في التصريف" وغيرها، توفي في تونس سنة 669هـ نفح الطيب،209/2.

[2] ابن عصفور، المقرب، حققه: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط: 1، 1392/1972، 1/ 44.

[3] نفح الطيب، 148/4. وانظر: الدراسات اللغوية في الأندلس، ص: 38 و39 – كتاب "المقرب"، 18/1 وما بعدها.

[4] الدراسات اللغوية في الأندلس، ص:38.

[5] الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه، والأدب، وذوي النباهة والشعر، صححه وحققه: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي القاهرة، ص: 182.

كما اشتهر ابن خروف (609هـ) بكثرة ردوده، حتى ليصح أن يعد ظاهرة وحده، فقد رد على إمام الحرمين أبي المعالي النيســابوري الجويني (478هـــ) ورد على ابن الطراوة، ورد على الأعلم الشنتمري (476هـ) وغيرهم.[1]

5. تركيب:

يتضح أن المناظرات اللغوية وباقي المؤلفات المؤلفة وفق منهجها، كانت حاضرة في مصادر تمتد من القرن الهجري الرابع إلى حدود القرن الهجري الحادي عشر، وقد تبين لنا إسهام علماء اللغة في الغرب الإسلاميفي إقامة مجالس التناظر؛كما يتضح من خلال رصد أطراف المناظرات، محاورة علماء الأندلس لبعضهم البعض، بل حاوروا خصومهم في المغرب الأقصى وحاوروهم، كما ناظروا علماء المشرق الإسلامي أيضا.

وحاصــل الكلام، لقد كشــفت المناظرات اللغوية عن الحركية الثقافية والجدلية التي طبعت البيئة العلمية في العدوتين، إذ إن التناظر في القضــايا اللغوية كان له أثر ملموس في الدرس اللغوي بالغرب الإسلامي، كما عبر عن التراكم المعرفي في بلاد المغرب والأندلس وقتئذ. فقد أسهم الأندلسيون والمغاربة في إغناء مجالس التناظر، عن طريق عقد المناظرات الشفاهية، إضافة إلى سلك مسلك التناظر التأليفي أو ما يسمى بـ"الردود"، وقد راعى جل أقطاب المناظرات والردود قواعد التحاجج حسب ما يقتضيه الحال والمقام.

مراجع الدراسة:

- ابن الآبار(عبد الله بن أبي بكر)، التكملة لكتاب الصلة، حققه إبراهيم الابياري، المكتبة الأندلسية، مجلد: 18، ط: 1، دار الكتاب المصري، القاهرة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410 / 1989.
- ابن الإفليلي (أبو القاسم إبراهيم بن محمد)، شرح شعر المتنبي، حققه: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1412/1992.
- أحمد أمين مصــطفى،المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع، دار النمر للطباعة،1984.

[1] نفسه ص: 39 و40.

- ابن الأنباري (محمد بن القاسم)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب،حققه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط:2، 1971.
- ابن بسام الشنتريني(علي بن بسام)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،حققه:إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2000.
- الجرجاني(الشريف علي بن محمد)، كتاب التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423/ 2002.
- الجويني(أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله) الكافية في الجدل، حققته وقدمت له: دة فوقية حسين محمود، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة 1399/ 1979.
- حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ط: 1، 2000.
- الحميدي(محمد بن فتوح بن عبد الله)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه، والأدب، وذوي النباهة والشعر، صححه وحققه: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي القاهرة.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، حققه: د إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)، سير أعلام النبلاء،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،ط:11، 1996/1417.
- رحيم جبر أحمد الحسناوي، المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1999.
- رضا عبد الجليل الطيار، الدراسات اللغوية في الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، عصر المرابطين والموحدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.

- ابن الزبير الغرناطي(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم)،صلة الصلة، حققه: د عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1995/1416.
- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)، أساس البلاغة، حققه: عبد الرحيم محمود، عرف به: أمين الخولي، ط: 1، الجديدة 1372 /1953.
- سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط: 1، 1987/1407.
- ابن السيد البطليوسي (أبو محمد عبد الله بن محمد)، الانتصار ممن عدل عن الاستبصار، حققه وشرحه وقدم له، د حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1996.
- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):الأشباه والنظائر في النحو، حققه: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة/بيروت،ط: 1، 1985/1406.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ط: 2، 1399 / 1979.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط: 3، 2007.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، بيروت/دمشق ط: 2، 1981/1401.
- عبد الهادي الفضلي، مراكز الدراسات النحوية،مكتبة المنار، الأردن ط:1، 1986/1406.
- ابن عصفور(أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد)، المقرب، حققه: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط: 1، 1972/1392.
- العياشي إدرواري، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط: 1، 2012.
- فخر الدين الرازي (فخر الدين أبو عبد الله)، المناظرات، حققه وقدم له: عارف تامر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط:1، 1992/1412.

- محمد حسن عواد، الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي صورة من صور التفاعل بين الفقه والنحو، ضمن كتاب: الكوكب الدري فيهما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، لجمال الدين الأسنوي حققه: محمد حسن عواد، ط:1، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 1426هـ/2005.
- محمد عبد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث،عالم الكتب، القاهرة ط:4، 1989/ 1410.
- محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب-منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-1996/1417.
- محمد مسعود جبران، مالك بن المرحل أديب العدوتين، دراسة تحليلية في أخباره و آثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، منشورات المجمع الثقافي،أبو ظبي،2005/ 1426.
- مختار بزاوية، المناظرات والمحاورات النحوية و أثرها في الدرس اللغوي: كتاب "طبقات النحويين واللغويين " للزبيدي أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد: 04، المجلد: 08، السنة: 2019.
- ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن)،كتاب الرد على النحاة،حققه: شوقي ضيف دار المعارف، ط :3.
- المقري التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،حققه: د إحسان عباس، الطبعة الجديدة، دار صادر، بيروت،1997.
-
- ابن منظور(محمد بنمكرم)، لسان العرب، دار صادر/ دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1992/1412.
- الوادي آشي (محمد بن جابر الوادي أشي)، برنامج الوادي أشي،حققه وقدم له: د محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981/1401.

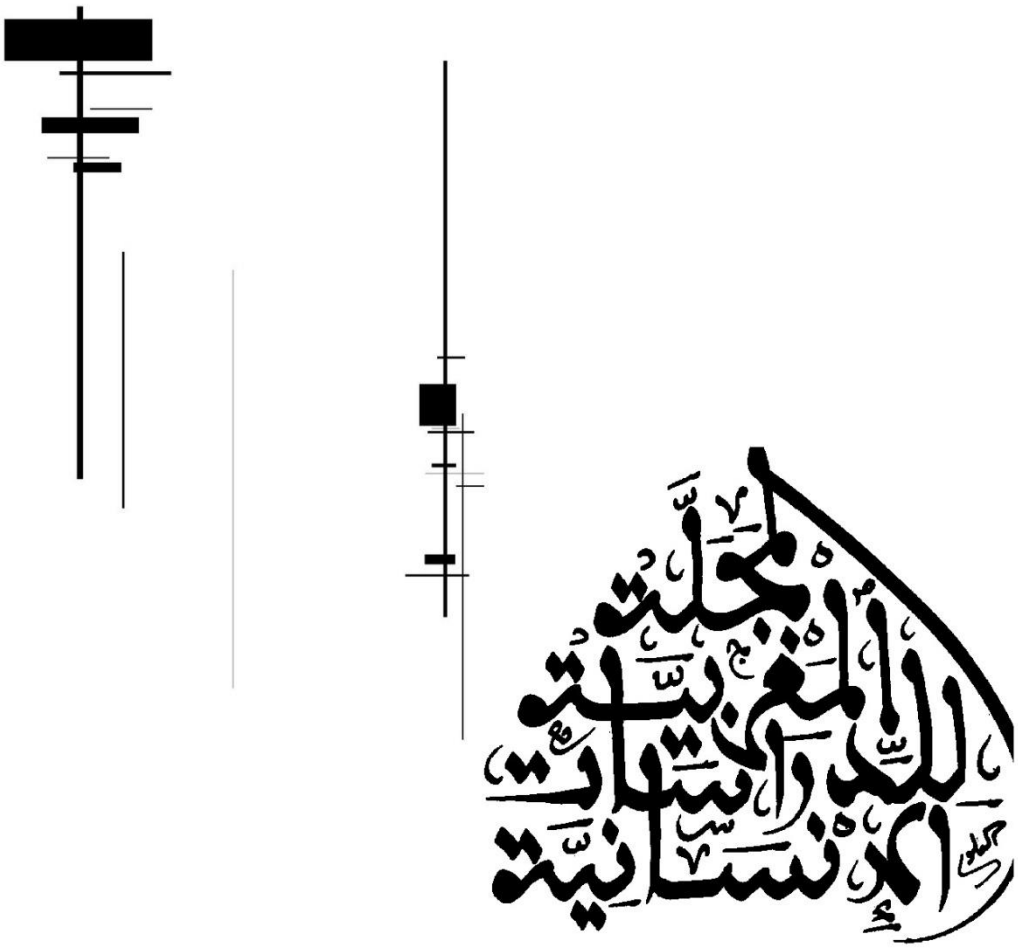
مجلة الدراسات النفسية المغربية

هل ثمَّة مدرسَةٌ نحويَّة في الغَرب الإسلاَميّ؟"أبو إسْحَاق الشاطبيّ أنمُوذجًا"

أشرف سليم، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

الملخص :

هدف الباحث إلى الحفرفي قضية مهمة تتمثل في : وجود مدرسة نحوية أندلسية قائمة الأركان والقوالب، واستحضرفي هذا الإطارمجموعة من الشروط العلمية متمثلة أساسا في إشكال البحث والمنهج العلمي المتبع في ذلك؛ إذ استقرالإشكال الأساس على سؤال جوهري فحواه : هل ثمة مدرسة نحوية في الغرب الإسلامي؟ وتفرعت تبعا لذلك مجموعة من الأسئلة الإجرائية التي حاول إثرها الباحث الإجابة عنها، واهتدى في عمله بالمنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي كونه المناسبَ علميا لهذا البحث وفرضياته وشروطه، و انتهى الباحث إلى نتيجة مؤداها : أن نحاة الأندلس لم يستطيعوا تشكيل مدرسة نحوية مستقلة وحافظوا على تبعيتهم للمشارقة و أقصى ما قدموه : الإملاء والتصنيف والاختلاف.

الكلمات المفاتيح :النحو العربي، المدرسة النحوية الأندلسية، مدرسة البصرة، مدرسة الكوفة، أبو إسحاق الشاطبي.

Abstract:

The researcher's goal is to dig into an important issue that is: the existence of an Andalusian grammatical school, a list of pillars and templates, and in this context he invoked a set of scientific conditions represented mainly in the problem of research and the scientific method followed in that, as the problem settled on a fundamental question of its content: Is there a grammatical school In the Islamic West?Accordingly, a set of procedural questions branched out that the researcher tried to answer them, and he guided in his work the descriptive analytical and

inductive method being scientifically appropriate for this research and its hypotheses and conditions, and the researcher came to the conclusion that the Andalusian people could not form an independent grammatical school and they preserved their subordination to the Sharqiya and the maximum. They gave him spelling, classification and difference.

Key words: Arabic grammar, Andalusian grammar school, Basra school, Kufa school, Abu Ishaq al-Shatibi.

المقدمة:

تغيا الباحث من هذا البحث الإفصاح عن إشكاله القضوي انطلاقا من عتبته العنوانية؛ فإن كان العنوان بمثابة مدخل لفهم النص أي نص وإشكالاته القضوية؛ فإن الإشكال يعد بؤرة أي بحث أو دراسة والبذرة التي تتفرع عنها الخيوط الناظمة له برمتها، لذا فهذا الإشكال الرئيس يعبر عن كثير من الأسئلة الفرعية التي سيتم بثها طوال مراحل البحث، ويفصح عن التحدي العلمي الذي سيسعى الباحث إلى بلوغه وهو: هل كانت ثمة حقا مدرسة نحوية أندلسية في التاريخ النحوي العربي إلى جانب المدرستين التقليديتين " البصرة" و"الكوفة".

بتصفح الأبحاث التي تـدَوَّلَـتِ الموضوع، وقاربته ألفيناها تتوزع بين مجموعة من الآراء والاتجاهات؛ إذ القضية عندها نسبية لا تنحصر في رأي محدد، فمنها : من ذهب إلى وجود هذه المدرسة و أثرها في تاريخ النحو العربي، وهناك أيضا: من نفى ذلك واعتبرها امتدادا للمدرستين التقليديتين، ومنها: من توسط في ذلك واعتبر نحاة الغرب الإسلامي في الأندلس كانوا متابعين للمشارقة لكنهم تميزوا بقَولبَة هذا النحو العربي وجعله متكيفا مع خصوصيات الأمصار التي تواجدوا فيها.

في هذا البحث إذًا سنبين كيف أن نحاة الغرب الإسلامي في الأندلس أسسوا لأنفسهم ريادة نحوية لا تقل أهمية أو شأنا عن المدرستين التقليديتين، وكي لا يكون هذا الكلام عاما اخترنا -توضيحًا وبيانًا- أبا إسحاق الشاطبي كونه أحدَ نحاة الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري، ومن مؤسسي "نحو المقاصد" الذي استلهمه من نظريته المشهورة في الشريعة الإسلامية

"مقاصد الشريعة"، وهذا تميز في تاريخ النحو العربي، وقَولبة لهذا النحو مع خصوصية هذه المنطقة التليدة في الوطن الإسلامي.

إشكالات البحث:

ستقسم أسئلة البحث تبعًا لإشكاليته الكبرى وأهميتها وحاجتها العلمية الملحة اليوم، وتتمثل في: وجود المدرسة النحوية الأندلسية لاسيما مع تضارب الآراء وتعددها حول وجودها إلى جانب مدرستي البصرة والكوفة:

1- هل خلف الفكر النحوي الأندلسي إرثا نحويا يستحق أن يكون مدرسة متكاملة الأركان والقوالب؟
2- أين تتمثل هذه الأفكار والقوالب في حركية التاريخ النحوي العربي كله؟
3- ألم تكن مدرستا البصرة والكوفة تمثل ذروة سِنام الاجتهاد النحوي في الثقافة العربية الإسلامية ومن جاء إثرهما كان مقلدا لهما، متمثلا أفكارَهما؟
4- هل يمكن أن نتحدث عن مدرسة نحوية أندلسية بناءً على اجتهادات نحاة الغرب الإسلامي في الأندلس المستقاة من المدرستين التقليديتين؟
5- هل كان أبو إسحاق الشاطبي متميزا في مخرجاته ومدخلاته النحوية وقادرا على تأسيس مدرسة نحوية ذات صبغة أندلسية؟

أهداف البحث:

سنخط في هذا السياق مجموعة من الأهداف العلمية والإجرائية التي سيسعى الباحث إلى بلوغها وتحقيقها في بحثه:

- الحفر في إمكانية وجود مدرسة نحوية أندلسية من خلال استقراء مراحل تشكل الفكر النحوي في الأندلس.
- البحث في النقاط التي تميزبها الفكر النحوي الأندلسي لا سيما عند أنموذج البحث وهو أبو إسحاق الشاطبي.
- الوصول إلى نتيجة علمية قوامها: الابتعاد عن الذاتية والالتزام بالموضوعية العلمية كيفما كانت النتائج أو الخلاصات.

بواكير النحو العربي في الأندلس يُعد البحث المجموع في كتاب"المدارس النحوية" للدكتور شوقي ضيف أولى بواكير من تحدث عن هذا الإشكال القضوي في وجود مدرسة نحوية أندلسية؛ إذ أطلق التركيب الإضافي "نحاة الأندلس" على "جوديّ بن عثمان المَوْروري[1] فقد عُرف هذا العالم برحلته في طلب العلم إلى المشرق، وكان تلميذا لكثير من العلماء هناك خاصة أبا بزكرياء الفراء و أبا الحسن علي الكسائي، ويذهب كثير من أهل التراجم والتصنيف أنه أول من أدخل كثيرا من تراث النحو المشرقي ولاسيما الكوفي، وكان أيضا متصدرا لإقراء علوم الآلة في هذا الغصن الرطيب من العالم الإسلامي إلى أن توفي سنة 198 هجرية.[2]

يذهب إذًاالدكتور شوقي ضيف إلى أن جوديَ[3] بنَ عثمان المَوْروري يمثل الرعيل الأول من نحاة الأندلس، وفي ذلك دلالة واضحة على أنَّ هذا العالميعد من نحاة الأندلس الذين كان لهم قصب السبقفي إيجاد النحو العربي موطئ قدم في هذا الغصن الرطيب من البلاد الإسلامية.انطلاقا مما سلف، لا يمكن بحال من الأحوال أن نعد عثمانَ بنَ جودي مؤسسا لمدرسة جديدة في الأندلس و إنما هو فقط ناقل لأبجديات هذا النحو المشرقي المنبت؛ فقد كان كما سبقت الإشارة إليه تلميذاً لأبي زكرياء الفراء و أبي الحسن علي الكسائي، وقيمته معدودة فقط في إيلاج النحو العربي إلى الأندلس ولاسيما مدرسة الكوفة التي تأثر بها.

إذًا لا يمكن عد ما قام به تأسيسًا،و إنما هو تعريف وإدخال لهذا الر افد من رو افد الثقافة العربية الإسلامية فجل جهوده كانت منصبة على التعريف بجهود المشارقة في النحو العربي ولا سيما جهود الكوفيين، فقد كان متبعا لكثير من أئمتهم وبعدأوبته إلى الأندلس بث أفكارهم واجتهاداتهم في النحو العربي، وأدخل مصنفاتهم إلى بلاده...

أول خلاصة يمكن أن ننتهي إليها وهي أن جوديَ بنَ عثمان، انطلاقا مما مر، ورُغم قيمته العلمية والتاريخية في تاريخ النحو العربي الأندلسي، إلا أنه كان ناقلا لغيره، معرفًا بالنحو العربي وهو بهذا بعيد كل البعد عن تأسيس مدرسة نحوية التي لها شروطها ومميزاتها، ومن أهمها:

---

[1] تنظر ترجمته في مجموعة من التراجم، فقد ذكره الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين، ص 278، كما جاء على ذكره القفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة في الجزء الأول ص 271، وأيضا جلال الدين السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة الجزء الأول ص 490.

[2] ينظر في هذا الإطار كتابه المدارس النحوية: ص 288-289.

3 جودي كلمة أعجمية ممنوعة من الصرف لذا لا يجوز تنوينها.

الفرادة والإبداع والقدرة على الاستقراء والاستنتاج ومعارضة الآراء الأخرى، وهو ما لم يتوفر في هذا العالم.

ويُعد أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي[1] أيضا من بواكير من اشتغلوا بإدخال النحو العربي إلى الأندلس خاصة القراءات القرآنية التي لها بصمة كبرى فيه، مثل صنوه جودي؛ فقد اشتركا معًا في رحلة طلب العلم إلى المشرق، لكنَّ أبا عبد الله اختلف عنه في أنه عني بإدخال القراءات القرآنية التي لها قيمة علمية كبيرة في النحو العربي؛ لذا كان أولَ من أدخل القراءات القرآنية لبلاد الغصن الرطيب؛ إذ أخذها عن أبي سعيد عثمان بن سعيد ابن عبد الله ابن عمر ابن سليمان المشهور بلقب "وَرْش" ، وأدخلها إلى الأندلس، واشتغاله بالقراءات القرآنية جعلته إماما في العربية؛ فقد نعته شوقي ضيف بأنه بصير في العربية[2].

رُغم المجهود الكبير الذي قام بهذا الإمام، إلا أنه لا يمكن أن يعد مؤسسا لمدرسة نحوية أندلسية؛ فقد مارس أيضا النقل والتكرار، بعد رحلته المصرية طلبًا للعلم، خاصة في القراءات القرآنية نلفي أنها لا تعدو أن تكون إلا إعادة لاجتهادات الإمام ورش، مما يجعل الباحث يبعد كل البعد أن يكون هذا الإمام مؤسسا لمدرسة نحوية أندلسية، أو على الأقل أرخى سدولَ مدرسة نحوية وأشار إلى أماراتها.

لقد ذكر شوقي ضيف في كتابه أيضا مجموعة من النحاة والقراء الأوائل خاصة في القرنين الثالث والرابع للهجرة من أهمم: عبد الملك بن حبيب السُّلمي الذي كان عالما بأمور النحو العربي[3]، إلا أنهم كانوا مقلدين لسلفهم وأساتِذهم المشارقة ولم يبرحوهم قط فقد ظلوا لصيقين بهم ممارسين التلمذة في إخبَاتٍ واضح إليهم.

إلى حدود هذه اللحظة الآنية لا يمكن للباحث أن يؤكد أن هناك أمارات مدرسة نحوية أندلسية ما دام هؤلاء العلماء المذكورون – وهم أبرز علماء النحو في الأندلس في تلك الحقبة- تابعين غير متبوعين، مقلدين لا مجتهدين، دأبهم التكرار والإملاء، والنقل والإقراء مما يجعلنا

[1] تنظر ترجمته بعض المصنفات التي عنيت بالتراجم أهمها طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 293، وأيضاكتاب جلال الدين السيوطي بغية الوعاة في الجزء الأول ص 151.

[2] ينظر في هذا الإطار كتابه المدارس النحوية ص 289 و290.

[3] تنظر ترجمته من كتابي بغية الوعاة للسيوطي في الجزء الثاني ص 206 وطبقات الزبيدي ص 282.

نصفهم أنهم في هذه المرحلة طبقوا النقل والإملاء والإقراء فقط إزاء كتب المشارقة خاصة النحو الكوفي.

كان النحو في الأندلس إلى حدود هذه اللحظة نحوا كوفيا، متأثرا به غاية التأثر وساهمت في ذلك رحلات طلب العلم ولقاء نحاة الكوفة الأقحاح، مما جعل الحاجة ماسة إلى الانفتاح على المدرسة الثانية في تاريخ النحو العربي، وهي مدرسة البصرة بإمامها المشهور صاحب "الكتاب" سيبويه.

بعد انتصاف القرن الرابع الهجري بدأت بوادر تغلغل النحو البصري إلى الأندلس؛ إذ نلفي في هذا الصدد محمدا بنَ موسى ابن هاشم المشهور بالأفشين [1] رائدا في ذلك؛ فقد رحل بدوره إلى المشرق، وبالضبط إلى مصر، ولقي فيها أبا علي جعفر الدينوري، ومنه أخذ كتاب سيبويه الذي يعد من أكبر المنظرين للفكر النحوي البصري.

إثر الأفشين تناسل الفكر النحوي البصري في الأندلس، وتصدر كتاب سيبويه الإقراء والتلقين والإملاء، ويعد أحمد بن يوسف ابن حجاج [2]؛ من أكبر أساتيذ مقرئي الكتاب في الأندلس؛ فقد ذكر شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية أنه كان من أكبر من درسوا النحو البصري، وأكبر من تلقى منه طلبة العلم في الأندلس كتاب سيبويه، فقد كان هذا الأخير شغله الشاغل لا يفارقه ألبتة[3].

رغم دخول النحو البصري إلى بلاد الغصن الرطيب إلا أنه لم تظهر بعد بوادر مدرسة نحوية أندلسية؛ فقد كان الدأب الساري : النقل والإقراء والتفسير والتوضيح؛ فالأعلام الذين ذكروا سلفا جهدهم كان مقتصرا على نقل كتاب سيبويه إلى الأندلس، ثم تدريسه إلى طلبة العلم.

لكن ميزة هذه الحقبة في منتصف القرن الرابع الهجري كانت بداية مرحلة التصنيف بعد مرحلة الإملاء والإقراء، أدى ذلك التراكم المعرفي، وبروز مجموعة من طلبة العلم الأفذاذ الذين تشربوا كتاب سيبويه الذي ما زال يرمي بثقله في الثقافة العربية الإسلامية، ورغم هذا كله لم تصل هذه

[1] تنظر ترجمته من مصنف إنباه الرواة للقفطي الجزء الثالث ص 216، وبغية الوعاة للسيوطي الجزء الثاني ص 109.

[2] تنظر ترجمته من طبقات الزبيدي ص 324، والبغية للسيوطي الجزء الأول ص 401.

[3] ينظر في هذا الصدد إلى كتابه المدارس النحوية ص 289.

المصنفات إلى تأسيس مدرسة نحوية أندلسية أو توحي ببعض أماراتها؛ فقد كانت فقط تابعة كتب المشارقة ولاسيما النحوي البصري الذي بسط نفسه بقوة في الأندلس في هذه المرحلة وأماط اللثام عن النحو الكوفي الذي عرف ببعض الآراء النحوية التي نقضها النحو البصري.

مع حلول عصر ملوك الطوائف؛ ازدهر التصنيف النحوي في الأندلس ازدهارا مطردا،نتج ذلك عن مخالطة نحاتها للمدرستين الكوفية والبصرية والانفتاح أيضا على آراء البغداديين؛إذ بدأ في هذه المرحلة انتهاج نهج جديد يتمثل في الاختيار بين آراء المدرستين، فالانفتاح على بعض آراء البغداديين ، لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل كانوا يعللون، ويفسرون، أي انتقلوا من ملامسة النحو العربي على استحياء إلى جرأة التعليل والتحليل والاختيار، وهم بذلك يدخلون إلى مرحلة جديدة في تاريخ النحو العربي في الأندلس. وبحكم أن هذه المرحلة متميزة في التاريخ النحوي الأندلسي على نحو أصبح فيها نحاة هذه البقعة من بقاع الإسلام أكثر جرأة ومناقشة ومفاتشة للنحو العربي سنختار على سبيل المثال لا الحصر الأعلم الشنتمري (ت 476هـ) فقد كان يمثل الرعيل الأول الذي استباح سنة الإملاء والإقراء و انقض انقضاضا على التعليل والمناقشة والمفاتشة لأحكام نحاة المدرستين التقليديتين، فهو لم يكتف مثلا بعلة أن المبتدأ مرفوع، بل كان يبحث في علل الرفع المتنوعة، ومثل : هل المبتدأ مرفوع لفظا أو معنى، حتى كان يطيل في تعليل هذا الحكم النحوي،.ولم يكتف بالرأي الواحد بل كان يصول ويجول بين آراء نحاة المدرستين ويختار الأقرب لمنهجه ورؤاه[1].

ولمكانة الأعلم الشنتمري في تأسيس هذا النهج الجديد في التاريخ النحوي الأندلسي فقد ذكره أحد أصحاب أكبر الثورات المعرفية في التاريخ النحوي العربي وهو ابن مضاء القرطبي، فقد قال عنه : "وكان الأعلم –رحمه الله- على بصره بالنحو مولعاً بهذه العلل الثواني، ويرى أنه إذا استنبط منها شيئاً فقد ظفر بطائل"[2].

لا يمكن أن نعد مفاتشة الأعلم الشنتمري عن العلل المختلفة في رفع المبتدأ صاحب مدرسة نحوية؛ فالمفاتشة عن العلل النحوية سُبق البحث فيها وأشبعت وقتلت بحثا كما يقولون؛ ولنأخذ أبا البركات الأنباري (ت577هـ) أنموذجا في ذلكفقد صنّف كتاباً في ذلك هو "أسرار العربية" وأسهب الحديث فيه عن العلل النحوية، و أبو القاسم الزجاجي (ت 338) بدوره أسهب

[1] ينظر للاستزادة من هذا الموضوع كتاب المدارس النحوية ص 292، 293.

[2] ينظر كتابه الرد على النحاة، ص160.

في الحديث أيضا عن العلل النحوية وجمعها في كتاب جامع مانع ماتع سماه "الإيضاح في علل النحو"...، فهل يمكن أن نعد أبا البركات و أبا القاسم بحديثهما عن العلل صاحبا مدرسة نحوية؟ علما أن اختياراتهما وتعليلاتهما كانت تدور في فلك ما أنتجته المدرستان.

إلى حدود هذه اللحظة الآنية، لا يمكن البتة التسليم أن ثمة مدرسة نحوية أندلسية، رغم الانتقال من الإقراء والإملاء إلى الاختيار والتعليل فهذه المخرجات لا تشكل بأي حال من الأحوال مدرسة أندلسية قائمة بنفسها؛ فمنتهى صنيع نحاة الأندلس في تلك الفترة كان متمثلا في الاختيار بين آراء الكوفيين والبصريين والانفتاح على آراء البغداديين. لا غرو إذًا أنّ المنطق لا يحتم أبدا اعتبار ما وصل إليه النحو في الأندلس في تلك الفترة بالضبط من الاختيار بين آراء المدرستين وتعليل مخرجاتهما كافيا بأن يؤسس مدرسة نحوية أندلسية، وإلا لكان في كل قرن مر إلا وتؤسس معه مدرسة نحوية جديدة في كل حدب وصوب.

إن الأصل والثابت أن هناك مدرستين في التاريخ النحوي العربي هما: مدرستا الكوفة والبصرة، وحتى من ذهب إلى وجود مدرسة ثالثة وهم البغداديون يرأسهم أبو علي الفارسي و ابن جني، فهذا لا يستقيم إذ أثر عن أبي علي الفارسي قوله: "قياس أصحابنا كذا، وقياس البغداديين كذا"[1].

و ابن جني أيضا لا صلة له بالبغداديين، وهناك دليل واضح على ذلك يتمثل في شرحه أحد أبيات تأبط شرا، وهو: كأنما حَثْحَثُوا حُصّاً قَوادِمُه +++ أو أمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاقِ ، يقول تبعا للبيت :"إنه أراد: حَثّثوا، فأبدل من التاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، و إنما ذهب إلى هذا البغداديون، و أبو بكر معهم أيضاً"[2].

يستشف من الكلامين السابقين أن أبا علي و أبا الفتح ليست لهما صلة بالبغداديين، خاصة أن هؤلاء البغداديين لم يشكلوا مدرسة بقدر كونهم مجموعةً من النحاة اجتهدوا في الاختيار والتعليل بين المدرستين واختيارهم لا يعدو أن يكون بأكثر حال من الأحوال مثل اختيارات الأندلسيين وتعليلاتهم كما سيأتي.

[1] ينظر كتاب أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية، للدكتور شلبي عبد الفتاح، ص 106.

[2] ينظر كتابه سر صناعة الإعراب الجزء الأول ص 180.

في السياق ذاته، يمكن أن نعد ابن مضاء القرطبي المنتمي إلى نحاة الأندلس أول تجربة فريدة من نوعها حاولت التفرد والاستقلالية في مخرجاتها النحوية من خلال نهج أسلوب جديد و أثير قوامه: مساءلة نظرية العامل النحوي، ونقض كثير من عراها.

ابن مضاء لكم يمكن بدعا من القول في التاريخ النحوي الأندلس بَلْه من أعلام نحاة الأندلس، يقول عنه الدكتور شوقي ضيف: "وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة لا في حمله على الفقه والفقهاء، و إنما في حمله على النحو والنحاة من حوله، إذ وجد مادة العربية تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات و أقيسة وشعب وفروع وآراء لا حصر لها، ولا غناء حقيقي في تتبعها أو على الأقل في تتبع الكثير منها، فمضى يهاجمها في ثلاثة كتب هي: "المشرق في النحو" و "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان" و "كتاب الردّ على النحاة" وهو –وحده- الذي بقي من آثاره"[1].

مداركتاب الرد على النحاة الذي يعود لابن مضاء حذف ما ينبغي حذفه من المخرجات النحوية أجمعها، ومخالفة ركن من أركان التقعيد النحوي هو الإجماع النحوي.

وقد بدأ ابن مضاء في ذلك بالعوامل النحوية فقد كان يهدف إلىتقويضها تقويضا هي وتو ابعها كلها اللفظية والمعنوية، وما ينتج عنها من معمولات مذكورة أو مضمرة. و من بين مسوغات ابن مضاء لتقويض نظرية العامل في النحو العربي : أن مايعقبالتراكيب العربية من عوامل محذوفة، تكون إما لمعرفة المخاطب بها، مثل قول النحاة:من خرج؟ فيقال: عمر، ويقدّرون أن أصل الجواب: خرج عمرو، وإمّا لمجرد الافتراض، كتقدير النحاة في مثل: قرأته، أي أنّ "الكتاب" مفعول به لفعل محذوف، وأصل الجملة: قرأت الكتابَ،وتذهب قريحة النحاة إلى أبعد من ذلك ويتمثل في أن هذا التفكيك والإغراق في التقديروالتأويل يذهب أبعد من ذلك إلى تقدير أن منادى حرف النداء في يا أحمد، كي أصلا لجملة منقلبة أوبتها تكون أدعو أحمد، أي الانتقال من جملة طلبية إلى جملة إنشائية...

لم يستسغ ابن مضاء هذا العنتفي التأويل والتقدير، لا سيما إذا كان هذا التقدير مجتزئا على التنزيل الإلهي المنزه عن الأهواء والعبث والتقول بغيرعلم؛ خاصة أن القوم حسب ابن مضاء لم يملكوا دليلا بينا على هذه التقديرات والتأويلات المحذوفة

[1] ينظر كتابه المدارس النحوية ص 305.

انتقد ابن مضـاء أيضـا انتقادا شـديدا ما ذهب إليه النحاة من حال الجاروالمجرورحين يكون ان متعلقين بأحد المحذوفات لتمام المعنى مثل: الكتاب على المكتب، شـاهدت مَنْ في البيت، التقيت بأحمد في الجامعة، صـافح تزيدا في المسـجد؛ فيقدرالنحاة تبعا لهذه الجمل محذوفات لتمام المعنى، من قبيل: كائن، مسـتقر، ...في هذا الصـدد يذهب ابن مضـاء إلى: "إن هذا كلّه تمحّل؛ لأن الكلام قام بدونه، ولا يُحتاج إليه، وحريّ أن نرفضـه ونرفض معه نظرية العامل التي تمدّنا بمثل هذه التقديرات الافتراضية التي لا تمرّبذهن المتكلم"[1].

رغم هذه الجرأة التي جاء بها ابن مضـاء على النحاة، كونه عرى نظرية ثابتة من ثو ابت الفكرالنحوي العربي إلا أن الباحث يذهب إلى أنه لا يمكن أن يشـكل مدرسـة نحوية أندلسـية، لعدة أسباب، أبرزها :

- ابن مضـاء طبق في مخرجاته فلسـفته الفقهية الظاهرية التي نجحت في الفقه الإسـلامي فأسـس تبعا لها مذهبا ظاهريا يزاحم المذاهب الفقهية الأخرى؛ فأراد أن يصـنع الشـيء نفسه مع النحو العربي.
- أقصى ما قدمه ابن مضـاء في مخرجاته النحوية التشـكيك، ونقض عرى نظرية العامل، خاصـة باب الاشـتغال والتنازع النحويين دون تقديم أنموذج بديل قوي وأحجى من دليل النحاة في نظرية العامل.
- أبرزما قام به ابن مضـاء انتقاد الإكثارفي التعليل فيما سـمي بالعلل الثو اني والثوالث ومـا يتبع ذلـك من عنـت وتعقيـد لا سـيمـا في مرحلـة تعلم النحو العربي وتعليمـه. هذه الأسـباب الثلاثة تفرض أن ابن مضـاء لم يكن بدعواه صـاحب مدرسـة أندلسـية نـحـويـة بـقـدر مـا اشـتـهـر بـاخـتـلافـه مـع الـنـحـاة ومـخـرجـاتـهـم. كانت هناك جهود تترى لعلماء الأندلس في النحو العربي، لكن أغلبها لم يخرج عن دائرة الإقراء والتصنيف، و أقصاها وصل إلى الاختلاف إلى درجة النقض وهو ما حصل مع ابن مضـاء، مما فرض حقا بروزشـخصـية فذة، في هذا السـياق اختارالباحث أبا إسـحاق الشـاطبي الأصـولي البارع كي ينبري لمهمة تقديم نحو مصـطبغ بإسَـار أندلسـي سـتتبدى أماراتُه في المبحَث الموالِي.

[1] ينظر كتابه الرد على النحاة ص 167.

إسهام أبي إسحاق الشاطبي في نحو الأندلس.

أبو إسحاق الشاطبي علم كبير من أعلام الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري، وكان متضلعا في كثير من العلوم الإسلامية، خاصة في الأصول، والمقاصد، وقد عرف هذا العالم في العصر الحديث بمقاصد الشريعة الإسلامية في كتابه الموافقات لكن ثقافته النحوية لم تنكشف إلا بعد تحقيق سِفر المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية وهو شرح لألفية ابن مالك وحقق مؤخرا سنة 2007 بجامعة أم القرى بمكة المكرمة[1]، وحوى سفره الضخم مجموعة من الاجتهادات والمخرجات الكفيلة بوضع لمسة شاطبية على النحو العربي ودفاع مستميت من لدُنه عن نحو مَصره الأندلس الذي ترعرع فيه.

اعتاد الشاطبي في شرحه على الألفية أن يجزئ أبيات الباب الواحد على مقاطع، وهذا نهج جديد مناسب لطلبة العلم الذين كانوا يتحولقون حوله حين كان يشرح لهم الألفية في مسجد قرطبة، وإسقاط نفحات أندلسية على شرح ألفية ابن مالك؛ فقد كان في كل مقطع يتحدث عن جملة معينة من المسائل التي تخص الباب، فيبدأ بعرض معاني المقطع إجمالا، ثم يبدأ بعرض تفصيل أكثر لمسائل هذا الباب بتكثير الأمثلة وتعداد الصور التي تحتملها المسألة الواحدة، ثم يبدأ بعنصر هام في الشرح وهو ما اعتمد عليه في شرحه كثيرا، وهو تبيان كلام ابن مالك المستغلق من كتابه شرح التسهيل، حتى إنه ليكاد يصنع مقارنة بين الألفية والتسهيل في كل مسألة، ثم يبدأ في شرحه بعد ذلك بعنوان جانبي يبدأ من عند نهاية كل مقطع، يبدؤه بقوله: (ويبقى هنا النظر في مسائل)، ثم يبدأ بسرد ما في الأبيات من نكات واعتراضات على ألفاظ الألفية أو على الأحكام المشتملة عليها، ويناقشه فيما رجحه ابن مالك، أو يرد على مخالفيه أيضا، وقد اتسمت ردوده كلها بالطابع الأصولي، والخلو من الدخول في المسائل الفرعية والمسائل المنطقية والعقلية.

سيحاول الباحث في هذه اللحظة الآنية أن يبين بعضا من ملامح الثقافة النحوية التي عرف بها الشاطبي في أثناء شرحه ألفية ابن مالك، وهي كفيلة بلا شك بالإجابة عن سؤال البحث المركزي.

[1] ثمة تحقيق آخر صادر عن عالم الكتب بلبنان للسيد عثمان صدر سنة 2012.

1 - من منهجه أنه يهتم بذكر المسائل التي يترتب عليها عمل قولي:

كثيرا ما نبه الشاطبي على هذا الأمر، فكلما مر على مسألة فيها خلاف نحوي ولا يترتب عليه عمل أعرض عنه، وقال هذا مما لا يفيد في الكلام، فتركه أولى من ذكره.

ومن المسائل التي عرضها الشاطبي في هذا المضمار: عامل الرفع في اسم كان، وعامل الرفع في خبر إن[1].

2 - يعتمد اعتمادا كليا في آراء ابن مالك وتوجيه مراده في الألفيةمن خلال شرحه على التسهيل وهذا فيه اعتماد مباشر على النحو الأندلسي واستعاضة منه عن النحو المشرقي:

وقد ورد هذا في نقل نصوص كثيرة بعينها، ومنها على سبيل التمثيل الكلام عن جوازوقوع (أي) نكرة موصوفة أو لا، فيرى الشاطبي عدم جوازه، معترضا في ذلك على الأخفش، وكان سبب اعتراضه هو عدم وجود السماع، وأن قياس الأخفش ضعيف، و أنه لا تقوم الحجة بقياس ضعيف عند عدم السماع، وهو معنى كلام ابن مالك في شرح التسهيل[2].

3- يعتذر عن ابن مالك فيما يخالفه فيه قدر ما أمكنه ذلك، حتى لو خالف رأيه، ولما كان يذكر الاعتراض ولم يستطع ردا عليه كان يقول "وليس كل داء يعالجه الطبيب":

من ذلك رده على اختراع ابن مالك لمذهب ثالث في مسألة فتح همزة إن وكسرها بعد القسم، فابن مالك يرى جواز الرأيين على التساوي بينهما في القوة، في حين أن النحاة قبله اتفقوا على قولين، الأول: أن الفتح أرجح من الكسر، والثاني: العكس، فابن مالك أتى برأي ثالث، وهو التساوي بينهما، ويرى الشاطبي أن النحاة الأوائل اتفقوا في المسألة على قولين، والحق لا يخرج عنهما، ومخالفة الإجماع لا تجوز ثم اعتذر له بأن إحداث قول ثالث في المسألة يجوز على رأي بعض الأصوليين، على الرغم من أن الشاطبي لا يقول بهذا الرأي أبدا[3].

والشاطبي بهذا يذكرنا بثقافته الأصولية في مسألة إحداث رأي ثالث في المسائل التي انقضت فيها القرون الثلاثة الأولى على قولين فقط، وهي مسألة مشهورة في علم الأصول بعنوان "إذا اختلف الصحابة على قولين، فهل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث" وهي فيها خلاف كبير

---

[1] ينظر المقاصد الشافية 150/2، و308.

[2] المرجع نفسه 119/4.

[3] ينظر المقاصد الشافية 333/2.

بين الأصـــوليين، والشـــاطبي يرجح فيها عـدم الجواز، ومع ذلـك اعتـذرعن ابن مـالـك بـالقول المرجوح.

4 - من ملامحه أنه متأثربثقافته في الفقه وأصوله :

من ذلك ما نجده في كلامه على تفســير(ذات حر) فشــرح أن ذات الحرهو الأنثى من كل حيوان، ويقابله عند الفقهاء ذكره.[1]

ومثل كلامه عن قول ابن مالك:

وقـد يبيح الفصـــل ترك التـاء في نحو أتى القـاضــي بنـت الو اقف

قال: إن لفظ يبيح يفيد أن مقاربته تقارب المحذور؛ لأن هذا اللفظ يسـتعمل فيما الأصـل فيه المنع[2].

ونجد ذلك أيضــا عند رد الشــاطبي على من اعترض على ابن مالك؛ لأنه لم يذكرفي ألفيته حكم التـاء في قولـك: (مـا قـامـت من امرأة)، هـل تترك على اعتبـار إرادة الجنس من خلال (من) الزائدة التي تفيد نفي الجنس، أم تبقى على اعتبارزيادة (من) على تقديرالســقوط؟ وهذا أمر لابد من ذكره، فرد الشــاطبي أنه نبَّه على ســقوط التاء في نحو(نعم المرأة هند)، وســبب ذلك العموم المقصــود منها، وكذلك هنا في قولنا: (ما قام من امرأة إلا هند) لإرادة الجنس أيضــا؛ لأن الحكم إذا علق على علة فهو عموم بالنص لا بالقياس[3]، وهذا مســألة مشــهورة في كتب أصــول الفقه.

5 - من عادته في المسائل التي يكون الخلاف فيها سائغا وتستوي فيه الأدلة ولا مرجح فيها أن يذكرها ولا يقف عندها طويلا:

من ذلك مسألة (حاشا وعدا وخلا) ذكرأنه يجوزبهما جميعا النصب، والجر، وأن النحاة اختلفوا في ترجيح أحد الوجهين على الآخر، وذكرأن الحرفية أغلب على (حاشا)، والفعلية أغلب على (عدا)، وأما (عدا) ففيها خلاف، فســيبويه يرجح النصــب، والأخفش يختار الجر، ثم قال: كلاهما مدع للسماع، ومن ثم تكافأت الأدلة؛ لذلك سكت ولم يرجح[4].

---

[1] ينظر المقاصد الشافية 573/2.

[2] المرجع نفسه 538/2.

[3] المرجع نفسه 581/2.

[4] المرجع نفسه 414/3.

6- إذا كان في المسألة قولان جاز إطلاق القول مجملا بلا تفصيل:

مما اعتذر به الشـــاطبي عن ابن مالك عند تعارض أقواله أو قصـــور في عبارته عن القول الصحيح؛ أن في المسألة خلافا سائغا، و أنه ربما رجح القول الثاني في المسألة،

ومن ذلك تعقيبه عند قول ابن مالك :

ولـم يـنـكـر غـالـبـا ذو الـحـال إن لـم يـتـأخـر أو يـخصـــص أويـبـن

عقَّب عليه الشـــاطبي بأن هناك مواضـــع أخرى لتنكير الحال غير هذه ذكرها ابن مالك في التسهيل، وهي:

- **أن يكون صـاحب الحال نكرة والجملة مقرونة بالواو كقوله تعالى (أوْ كالذي مَرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها) البقرة: 159، وكقول الشاعر:**

مضى زمنٌ والناسُ يستشفعون بي فهلْ لي إلى ليلى الغداةَ شفيعُ

لأن الواو رفعت توهم كون الجملة نعتا.

- **ومنها البعد عن الوصـــف بما لا يصـــلح للوصـــفية كقولهم: هذا خاتم حديدا، وعندي ر اقود خلا.**

ثم اعتذر عنه بأن هذه المســـائل التي تركها في النظم فيها خلاف بين النحاة، والأظهر فيها النصـــب على التمييز، فلا يكون حجة عليه، و ابن مالك نفســـه قال عنها: "والمشـــهور في غير كلام ســـيبويه نصـــب ما بعد خاتم ور اقود وشـــبهما على التمييز، فلو كان ما قبله معرفة لم يكن إلا حالا، نحو هذا خاتمك حديدا وهذه جبتك خزا". وحينئذ جاز إطلاق القول فيها مادام الخلاف سائغا[1].

7- لم يعر الأدلة المنطقية اهتماما في استدلاله– إلا في باب المصطلح النحوي-، ويعول على السماع فقط:

من ذلك مســـألة التعجب من البياض والســـواد فذكر أن الكوفيين احتجوا على جواز التعجب من السواد والبياض بقوله:

إذا الـرجـال شَـــتَـوْا واشْـــتَـدّ أَكْـلُـهُـمُ فـأنـت أبـيضُـــهُـم سِـــرْبَـالَ طَـبَّـاخِ

وَجْهُ الاحتجاج أنه قال: "أَبْيَضُـــهُمْ"، وإذا جاز ذلك في "أفعلهم" جاز في "ما أَفْعَلَه و أَفْعِلْ

[1] المرجع نفسه 450/3.

به"؛ لأنهما بمنزلة واحدة في الباء، وقد قال الشاعر:

جارية في دِرْعِهَا الفَضْفَاضُ تُقَطِّعُ الحديث بالإِيمَاضِ

فقال "أبيض" وهو أفعل من البياض، وإذا جاز ذلك في أفعل من كذا جاز في ما أفعله و أفعل به؛ لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب، لكن الشاطبي لم يعتمد على هذين البيتين في القياس عليهما؛ لأنه يرى أن القياس يحتاج لكثرة من السماع لا تمنع من القياس، وهذان البيتان لا يكفيان في القياس عليهما، مع ملاحظة أن الشاطبي لم يعر جميع الأدلة المنطقية التي ذكرها الأنباري في هذه المسألة اهتمامًا، واكتفى بهذا الرد القائم على السماع فقط[1].

من ملامح الشرح نقله من مصادر متعددة في اللغة والشعر وغيرها

نراه ينقل كثيرا عن سيبويه، وجميع كتب الفارسي، و ابن جني بلا استثناء،، وكتاب المصادر لأبي عبيد، وبالجملة فإن الشاطبي رجع في كتابه إلى عشرات المصادر المهمة في النحو واللغة، وتراوحت اعتماده عليها كثرة وقلة، ومنها الموجود، ومنها المفقود.

8 - اعتماده على نسخ كتاب سيبويه المختلفة والموازنة بينها عند الاختلاف

وأهم من هذا عنايته بنسخ كتاب سيبويه، فيذكر أن له نسخة مشرقية، وهي المتداولة في بلاد المشرق، وهي نسخة السيرافي التي وضع عليها شرحه، وتلك هي التي حققها عبد السلام هارون، ونسخة أخرى وصلت إلى بلاد المغرب والأندلس برو اية أخرى، وهذه النسخة المغربية هي التي اعتمد عليها ابن خروف في شرحه للكتاب، والشاطبي في عادته ينقل عن النسخة المشرقية لشهرتها في الأندلس، وعند الخلاف بين النسختين يذكر أنه رجع للنسخة المغربية.

لكن هذه النسخ بعد تقادم الزمان اختلطت معا، وكذلك في باقي النسخ الأخرى لكتاب سيبويه، وسبب تعدد النسخ لكتاب سيبويه أنه بعد أن أخذ الطلاب والعلماء يقرؤونه على الأخفش بعد موت سيبويه، وصاركل نحوي يستنسخ لنفسه نسخة من الكتاب، فتعددت نسخه، وربما أضاف بعض النحاة السابقين –ومنهم الأخفش نفسه- تعليقًا عليه أو شرحًا له، ومع مرور الزمن ألصق النساخ هذه الشروح والتعليقات بكلام سيبويه نفسه، حتى صار من الصعب فصله عنها، وقد أشار إلى ذلك قديمًا السيوطي فقال: "... كما أُلحقت حواش من كلام الأخفش وغيره في متن كتاب سيبويه"[2].

---

[1] المرجع نفسه 476/4.

[2] الأشباه والنظائر 57/4.

وظهرت أمانة الشـــاطبي وغزارة علمه في رجوعه إلى تلك النسـخ جميعا عند شـــرحه، والشـاطبي أحيانا يخصـص النسـخة المشـرقية بالعزوكما حدث في الكلام عن زيادة (كان)، فإنه نقل أن في المســـألة حول زيادتها قولين، الأول: أن (كان) وحدها هي الزائدة، والثاني: أن الجملة كلها زائدة، ثم ذكر أن هذا رأي سيبويه في النسخة الشرقية.

9-اعتبرَالشَّـاطبيُّ مقاصـدَ العَربِ فِي كَلامِها أصـلاً من أصُـول النَّحو، وهذا ما يعرف بنحو المقاصـــد وأخذَيُحَاجِج بِهَا علَى منْ ســـبِقَه من النُّحاة، وهذَا الأصـــلُ هو مَا عبَّرعنه الشَّـــاطبيُّ بِمرَاعَاةِ مَقاصِـد العَربِ، وأخَذَ يُسـتَدلُّ بهذَا الأصـلِفِي التّقعِيد، والتَّعلِيل، و الرُّدودِ علَى غيرِه من النُّحاة[1].

إثرهذا الاستعراض المختصرلأهم الملامح الكبرى، والخطوط العريضة التي اكتنفت شرح الشـاطبي ألفية ابن مالك، يتبين لنا أنه لم يؤسـس مدرسـة نحوية أندلسـية إسـوة بسـلفه الذين ذكروا قبله، وميزته كانت في الجمع بين المنزلتين؛ فهو أصـولي وفقيه متضـلع من الفقه الإسـلامي، والأصـول الشـرعية، وحاول إسـقاط هذه الريادة الأصـولية على النحو العربي؛ فشـرح ألفية ابن مالك بأسـلوب أصـولي صـرف، حتى جعلته يؤسـس ما سـماه بنحو المقاصـد المسـتقى من ثقافته الفقهية والأصولية.

نتائج الدراسة :

يمكن أن نصـل في خاتمة هذه الدراســة إلى الإجابة باطمئنان ووثوق لا يشـوبه غبش في أن الأندلس لم يعرف مدرســـة نحوية قائمة الأركان والقوالب، و إنما أقصـــى ما كان فيه اتجاهات نحوية حاولت أن تســتلهم جهود مدرســتي البصــرة والكوفة وتنطلق منها إما لممارســة الإقراء أو التصنيف أو التعليل وفي أقصى الحالات الاختلاف.

ويبقى ابن مضـاء القرطبي التجربة الوحيدة في نحاة الأندلس الذي جاء بشـيء لم يسـبقه إليه أحد تمثل في رده نظرية العوامل النحوية، لكن لم يكتب لثورته النحوية الاكتمال والنضـوج لضعف حججها، وعدم قابليتها للتطبيق.

أما أبو إسحاق الشاطبي فرغم كونه كان تابعا لسلفه المشارقة، ولم يحد عنهم قيد أنملة، و أقصى ما حققه الإقراء والتصـنيف لكن ما يحسـب له أنه كسـا هذا الشـرح لبوسـا أندلسـية

[1]فصل الباحث في نحو المقاصد في دراسة له عنوانها مَقَاصِدُ العَربِ و دَورُهَا فِي تَقعِيد أصُولِ النَّحْو عِنْد أبِي إسْحَاقٍ الشَّاطِبِيّ المنشورة بمجلة المقرى للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية المجلد 2, العدد 3, الصفحة 1-15.

صرف، تتمثل أولا في أن صنف المقاصد الشافية تصنيفيا فقهيا أصوليا، وحاول إسقاط نظرية نحو المقاصد على شرحه ألفية ابن مالك.

المصادر والمراجع :

- إبراهيم بن موسى الشاطبي أبو إسحاق، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، الناشر: جامعة أم القرى، سنة النشر: 1428 – 2007.
- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، الرّد عَلى النّحاة، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا الناشر: دار الاعتصام الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979 م.
- سليم أشرف، مقاصد العرب ودورها في تقعيد أصول النحو عند أبي إسحاق الشاطبي، مجلة المقري. للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية المجلد 2 العدد 3.
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، الطبعة السابعة.
- جلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: 1384 – 1964.
- علي بن يوسف القفطي جمال الدين أبو الحسن، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة،سنة النشر: 1406 – 1986.
- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية و آثاره في القراءات والنحو، دار المطبوعات الحديثة – جدة، سنة النشر: 1409 – 1989.
- عثمان بن جني أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، المحقق محمد حسن إسماعيل، در الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى.
- محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، سنة النشر: 1984.

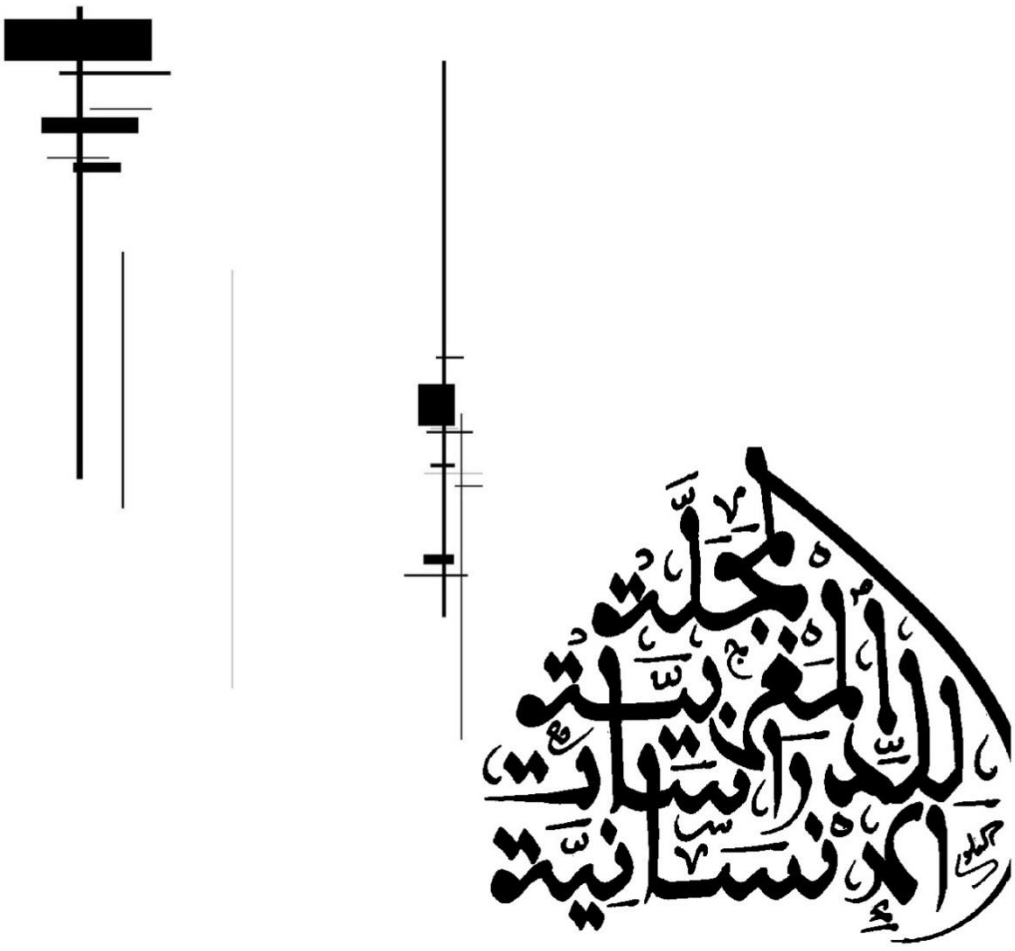

ابن عبد الملك المَرَّاكشي: فذْلَكاتٌ تاريخية وآراء نقدية من كتابه "الذيل والتكملة"

عبد اللطيف الغزواني، باحث في الدكتوراه

ملخص

يمثل كتاب ابن عبد الملك المَرَّاكشي (ت703هـ) "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" نموذجا لتلاقح اللغة العربية والتاريخ في الغرب الإسلامي، غير أنه لم ينل حظه من الدراسات اللغوية، بالرغم من ذيوعه في المكتبة الأندلسية، ولعل ذلك يعزى إلى كون جل الدراسات التي تناولته لم تبرح به علم التراجم، فغفلت عما احتجنته أسفاره من آراء نقدية، و"فَذْلَكاتٍ تاريخية"[1]، جديرة بالبحث والدراسة.

ونهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على جوانب مضيئة من شخصية ابن عبد الملك انطلاقا من كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، وذلك بإيراد نُبَذٍ من فذلكاته التاريخية"، ومُلَحٍ من آرائه النقدية.

Abstract

« Al-dhayl wal-takmila li kitabay al-mawsul wal-sila » written by IBN ABDALMALIK AL-MURRAKUCHI (634-703 AH), has known between researchers as a book of biographies, but most of them didn't interested to different linguistics and historical critics that are present in the parts of the book, and need more research and study. These critics consider a practical identification document of ABDAL-MALIK Scientific's' personality; it gives us again a profound view of literary criticism's life in the 7th century.

[1] أشارالدكتور محمد بن شريفة رحمه الله بهذا التعبيرإلى النصوص التاريخية الواردة في الذيل والتكملة (ينظر مقدمة لتحقيق في السفر الثامن).

مقدمة

تشكل تراجم الأعلام والسير في التراث المغربي والأندلسي إحدى أهم العلوم الإسلامية، وارتبط هذا العلم منذ نشأته زمن الرسالة بعلوم الحديث، حيث اهتم المحدِّثون بدراسة أحوال الرواة الحديث، وضبط أسمائهم و انسابهم، وتحديد عدالتهم وضبطهم، ثم تعززت الحاجة إلى هذا العلم بُعيد دخول الإسلام إلى الأندلس، حيث اتسعت رقعة رو اية الحديث، وأصبحت الأسانيد طويلة، فتنامت الحاجة إلى تأريخ الرجال، وقام الأندلسيون بتأليف كتب للتراجم والسير والطبقات، شكلت ما بات يعرف فيما بعد ب"كتب الصلات والذيول"[1]، ولم يقتصر مؤلفو هذه الكتب على المحدِّثين فحسب، بل اعتنوا فيها أيضا بالفقهاء والأدباء والشعراء، والوزراء والأعيان، وغيرهم، مع التأريخ لأهم الأحداث التي وسمت عصور هؤلاء، وتوثيق إبداعاتهم و آثارهم، في أسلوب متفرد، بعيد عن الحشو والمبالغة، وأهم هذه الكتب على الإطلاق، كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"للأديب والمؤرخ والناقد: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملكالأنصاري الأوسي المراكشي (ت703هـ). يقول في مقدمته البليغة:

«أما بعد، فإني قصدت في هذا الكتاب إلى تذييل "صلة" الراوية أبي القاسم ابن بشْكُوال تاريخَ الحافظ أبي الوليد ابن الفرضيِّ رحمهما الله في علماء أهل الأندلس والطارئين عليها من غيرهم، بذكر من أتى بعده منهم، وتكميلها بمن كان من حقه أن يذكراه فأغفلاه»[2].

وطُبع "الذيل والتكملة" أول مرة بدار الثقافة ببيروت سنة 1965 في سبعة أجزاء؛ السفر الأول وحققه الدكتور محمد بن شريفة، وبقية السفر الرابع، والسفر الخامس في جزأين، والسفر السادس، وحققها الدكتور إحسان عباس، ثم السفر الثامن من تحقيق محمد بن شريفة، وصدر عن أكاديمية المملكة المغربية سنة 1984م. ثم أعيد طبع الكتاب مرة ثانية بدار الغرب الإسلامي في تونس سنة 2012م

---

[1] أول هذه الكتب: "تاريخ علماء الأندلس" لأبي الوليد بن الفرَضي (ت403هـ)، وهو كتاب ذو منزع حديثي ضم 1165 ترجمة، وطبع أول مرة بمدريد سنة 1890م. ثم ذيَّله ابن بَشكُوال (ت578هـ) في كتاب سماه: "الصلة في تأريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدِّثهم وفقهائهم وأدبائهم"، فابتدأه من حيث انتهى ابن الفرضي، وطُبع الكتاب في مدريد سنتي 1882 و 1883م، ثم أعيد طبعه بمصر سنة 1955م، ثم الطبعة الثانية سنة 1966م. ونسج على منواله ابن الأبار القضاعي البلنسيّ (ت658هـ) كتابا سماه "التكلمة لكتاب الصلة"، ثم ألف ابن عبد الملك كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، الذي ذيّل به صلة ابن بشكُوال وتاريخ ابن الفرضي، وهو أطول هذه الكتب نفسا، وأغزرها مادة. ثم وصل ابن الزبير الغرناطي (ت708هـ) صلة ابن بشكُوال في كتاب وسمه ب"صلة الصلة"، ولم يرِمْ فيه عن منهج ابن الفرضي وابن بشكُوال في ترتيب رجاله.

[2] الذيل والتكملة، 202/1

ولعل أهم سمة تميز "الذيل والتكملة": مادته الغزيرة في النقد، وكثرة الأخبار التاريخية الموثوقة، حيث أورد فيه ابن عبد الملك العديد من "الفذلكات التاريخية"، والمواقف النقدية، التي تشهد بتضلُّعه في التاريخ وعلوم اللغة العربية، وهو ما شهد به شيخه ابن الزبير الغرناطي حينما حلَّاه بقوله: "كان رحمه الله، نبيل الأغراض، عارفا بالتاريخ والأسانيد، نقّادا لها، حسَن التهَدِّي، جيّد التصرُّف وإن قلَّ سماعُه، أديبا شاعرا مجيدا؛ امتدح بعض كُبراء وقته وكان مع نقده الإسنادي ذا معرفة بالعربية واللغة والعروض ومشاركة في الفقه. وما تقدّمت الإشارةُ إليه من معارفه أغلب عليه"[1].

وقد قسم الدكتور محمد بن شريفة، رحمه الله، هذه النقود إلى أقسام، فقال: «... فمنه نقد إسنادي تاريخي، ومنه نقد علمي يتناول بعض الآثار العلمية بالنقد والمحاكمة، ومنه نقد أدبي يتمثل في خطرات نقدية أدبية مبثوتة في الكتاب»[2]، كما انفرد ابن عبد الملك في كتابه بذكر كثير من القصائد الشعرية والآثار الأدبية التي يُهتزُّ لسماعها، فضلا عن لُمَح سيَرِ ملوك المغرب والأندلس، ومُلَح أخبار الأدباء والشعراء، وهو ما انعكس على تراجمه، فأتت جلها طويلة على خلاف عادة كتب الصلات والذيول.

1. فذلكات تاريخية

شكلت الأحداث السياسة المضطربة بالأندلس في القرن السابع الهجريّ عاملا مهما في نزوح العلماء والشيوخ الأندلسيين إلى مراكش. وقد استطاع ابن عبد الملك الأخذ عن كثير منهم، ليتخرّج على سَننهم، ذا حظ وافر من الحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب. وليشكل "الذيل والتكملة" بذلك وجها للثقافة التي كانت سائدة في العصرين الموحدي والمريني، وهي أزهى عصور الفكر والأدب في تاريخ الغرب الإسلامي.

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن عبد الملك التاريخَ أبو عبد الله ابن الخضّار، وهو شيخ أكمه، ترجم له ابن عبد الملك بقوله: «روى عنه غير واحد من أصحابنا، ولقيته بسبتة وحاضرته كثيرا، وبايتُّه، وشاهدت من ذكائه وحضور ذكره ما يُقضى منه العجب، وكان تأريخيا حافظا»[3].

---

[1] صلة الصلة، 3/ الترجمة 36

[2] الذيل والتكملة، 130/1

[3] نفسه، السفر الثامن، (139)

يقول محمد بن شـــريفة معلقا: «ولا بد أن المؤلف - يقصـــد ابن عبد الملك - اســـتفاد منه على الخصوص ما يتعلّق بالتاريخ الذي كان ابنُ عبد الملك لا يفتُرُعن التنقيب فيه»[1].

كما أخذ ابن عبد الملك عن أبي بكر الجلمانيّ الإشبيليّ (ت660هـــ)، وعنه يقول: «كان حاضر الذِّكر للآداب والتواريخ والأشـعار ممتعَ المجالسـة، جالسـته طويلا، وعُمِّر كثيرا، وكانت بينه وبين أخوالي صحبةٌ متأكِّدة»[2].

وتميزت الفترة التي عـاشـــهـا ابن عبـد الملـك بظهور طـائفـة من المؤرخين في أوقـات متقـاربـة ومتســـلســـلة بمَرّاكش، نذكر منهم: ابنَ الصَّـيْرَفيّ، والبَيْذَق، والتادَليَّ، و ابن القطّان، و ابن بيرة، و ابنَ حمّاد، و ابنَ عِذاري. ويشكل هؤلاء المؤرخون الأعلام ما اصطُلح عليه المدرسة المَرّاكشية في التاريخ، وهذه المدرسة بدأت مع تأسيس مَراكش والمرابطين واستمرت حتى قيام المرينيين. ولقد نقل ابن عبد الملك عن بعض هؤلاء ونقل بعضـــهم عنه، وكان، كما يقول محمد بن شـــريفة، «أوســـعهم جميعا في الاطلاع على المصـــادر والوثائق ولاســـيما في التراجم وتاريخ الحياة العلمية والأدبية، وســـاعدَه على التوسـع في المواد التاريخية والتضـلُّع في مختلف جوانبها، والوقوف على قضاياها والنفوذ إلى أسرارها وخفاياها عواملُ متعددة، منها: وجوده في مركز الأحداث التاريخية، وقربه من أصحابها أو صـانعيها، كما يقال، وجمعُه لمكتبة تاريخية مشـتملة على مصـادر إخبارية ووثائق رسـمية أصـلية بخطوط أصـحابها ما نظن أنها تيسـرت لغيره، وقبل ذلك كله شـغف بل غرام بالتواريخ والأخبار سَلَبَ لُبَّه وشغل عقله»[3].

ويظهر من خلال مطالعة الأسـفار الموجودة من "الذيل والتكملة" شـغف ابن عبد الملك بعلم التاريخ، وتهممه بإيراد كثير من الأخبار التاريخية والأدبية في تراجمه؛ فقد خصـــص الســـفر الخامس من كتابه لأعلام الفترة المرابطية، من أمثال: ابن قنترال (ت612هـــ) تلميذ أبي القاسم السهيلي، و أبي الحسن الجياني الإشبيلي (ت663هـــ)، و ابن خروف القرطبي (ت620هـــ)، و ابن المناصف الأزدي (ت620هـــ)، وغيرهم. ونلمس في هذا السفر اهتبال الأندلسيين بصنعة البديع، ومن مظاهر ذلك: رســـالة ابن الجنّان الطويلة إلى أبي عبد الله بن عابد، التي التزم حرف العين في كلماتها كلها نظما ونثرا، وهي رســـالة رائقة تنظر في موضـــعها[4]. أما تراجم الســـفر الثامن، فتنتمي

[1] نفسه، 42/1

[2] الذيل والتكملة، 144/6 (327)

[3] نفسه، 101/1

[4] نفسه، 275/5

جلها إلى الفترة الموحدية، ومن أطولها على الإطلاق، تلك التي خصها ابن عبد الملك بابن القطّان، وفيها يسوق بعض أخبار الدولة الموحدية وزوالها زمن المستنصر والمأمون. ونلمس في بعض هذه التراجم اعتزاز ابن عبد الملك بمغربيته، فقد أنكر على ابن الأبّار في كثير من المواضع ذكره لأعلام مغاربة ضمن الأندلسيين، وساق كلاما نفيسا لأبي علي الشَّلَوْبين حينما جاء من الأندلس إلى مراكش، آملا إظهار علمه فيها، وكان يومئذ من كُبَّر نحويي زمانه، فلما دخل أحد مساجد باب دكالة الصغيرة، ألفى فيه مجلس علم لعيسى بن عبد العزيز يلَّبَخْت يتدارس فيه مسائل من النحو، ثم دخل رجلٌ، وأخذ يتكلم في أبواب العربية على نحوٍ أبهر أبا عليّ، وجعله يقول:

«إذا كان هذا الموضع الخامل الذي لا يكاد يؤبه له، ولا يعد من كبار مجالس العلم، لكونه في أخريات البلد، ينتصب للتدريس فيه مثل هذا البربري البعيد في بادي الرأي عن التكلم فضلا عن مثل هذا الاستبحار في النحو، فما الظن بالمجالس المحتفلة والمساجد المشهورة (...) هذا بلد لا أسود فيه بعلمي»[1].

ومما يدل على تهمُّم ابن عبد الملك بالأحداث التاريخية منذ صغره؛ وصفه لترتيب الجيش ونظامَه عند الخروج لغزو أو سفر في أواخر الموحدين اعتمادا على ذاكرته، وكان، كما يقول ابن شريفة، لصلته، وهو صغير، ببلاط الموحدين، وعلاقته، وهو طالب شاب، بقضاتهم وعمالهم وكُتّابهم ونقبائهم ومؤرّخيهم أثر قوي في تكوينيه التاريخيّ[2].

وتنقسم الأخبار التاريخية التي يذكرها ابن عبد الملك في الذيل إلى قسمين: قسم مؤسسٌ على المشاهدة والرواية الشفوية والسماع المباشر، ويندرج في هذا النوع "الفذْلَكَات" التاريخية الاستطرادية، وتراجم من أدرك حياتهم أو قارب عصرهم، وقسم ثان يعتمد فيه على المدونات التاريخية، التي وقف عليها، نحو: كتاب "الجمهرة" لابن حزم، و"تاريخ إلبيرة" للملّاحي، وكتابيْ (المن بالإمامة) و(ثورة المُريدين) لابن صاحب الصلاة ...الخ[3].

بالمقابل، نقل عن ابن عبد الملك أصحابُ المدونات التاريخية، وفي طليعتهم بلدِيُّه ابنُ عذاري، وذلك في القسم المتعلق بتاريخ الموحدِّين من كتاب "البيان"، وصاحب كتاب "مفاخر البربر"، الذي نُشرت قطعة منه، و ابن أبي زرع في "الأنيس المطرب"، ومؤلف "الذخيرة السنية"، وغيرهم[4].

---

[1] الذيل والتكملة، 120/8

[2] نفسه، 102/1

[3] نفسه

[4] ينظر نماذج من هذه النصوص في الذيل والتكملة، 104/1-105-106

ويعزو محمد بن شـريفة ذلك إلى ما عُرف به ابن عبد الملك من «اطلاع واسـع وإكباب طويل على المدونات التاريخية والوثائق الرسـمية، ولما يلتزم به من منهجية صـارمة وموضـوعية عادلة ومُجانِبة لأساليب المؤرخين الرسميين المعهودة وطرائقهم المعروفة»[1].

2. آراؤه النقدية

لم تمنع المشـيخة ابَن عبد الملك من تتبع ما اعتبره أخطاء فيما نقله من نصـوص وقصـائد لشـيوخه، والإشـارة إليها، وتصـويبها، مع الالتزام بما تقتضـيه المشـيخة من توقير أولئك الشـيوخ، والتحلي بروح الإنصـاف، والأدب الجم، وهو في نقداته تلك يحاول إبداء اسـتقلاليته الفكرية، وحسه الاجتهادي، وتأهيله لمضاهاتهم على تنوع اختصاصاتهم المعرفية.

ولعل من السـداد المنهجي أن يكون الحديث عن هذه الأخطاء مقرونا بإيراد النصـوص والقصائد كاملة، لكنني آثرت لسبب منهجي أيضا الاقتصار على مواطن النقد فيها، فليس الورقة تسمح بأورقها المعدودة بالوقوف على عدد من القصائد الطوال.

أ. النقد النحوي:

تركزت الحركة النحوية في عهد ابن عبد الملك على كتب مشـرقية معروفة، أهمها: كتاب سـيبويه، والجمل للزجاجي، والإيضـاح له أيضـا. فشـكلت هذه الكتب عمدة له في نقداه، وكان سيبويه أكثر النحويين ذكرا فيها.

يقول ابن عبد الملك معقبا، ضمن سلسلة من النقدات، على قوله شيخه ابن المرحل[2]:

أَمِيلُ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ أَرْضِهِ وَمَنْ لِفُؤَادِي أَنْ تَهُبَّ نَوَاسِمُهْ

"... ومنها: إعادة ضمير نواسمه، وهو مذكر على الأرض، وهي مؤنثة"[3].

ثم شرع في الاستدلال على هذا الحكم فقال: «وحملها على إرادة التذكير بتأويل المكان أو المحل أو شبههما أو إعادته على النبي صلى الله عليه وسلم بأدنى نسبة، كلُّ ذلك متكلف بعيد المتناول»[4].

وتتعزز ملكة النقد لدى ابن عبد الملك في تعقبه لقصـيدة أخرى في وصـف النعل النبوية لشـيخه ابن المرحل، وقد ازدهر هذا الصـنف من الشـعر في عهد الموحدين والمرينيين، حتى أن

[1] نفسه، 107/1

[2] الذيل والتكملة، 508/1

[3] نفسه، 510/1

[4] نفسه

المقري أفرد له كتابا سماه "فتحُ المُتعال في مدح النِّعال". وتنوعت نقداته على هاته القصيدة ما بين النحو، والبلاغة، والعروض، منها تعقيبه على هذا البيت:

أَخَافِرَةٌ بَعْدَ النُّزُوعِ عَلَى الصِّبَا وَلِلشَّيْبِ رَشْقٌ فِي عِذَارِكَ أَمْ وَخْطُ؟

قال:«وفي هذه القصيدة أيضا، على حسنها، تعقب من وجوه، منها: استعمال أم مكان أو في قوله: (أم وخط)، وفي حملها على الانقطاع بعده لا يحسن فيه المعنى إلا على تكلف»[1].

فبحسب ابن عبد الملك؛ لا يمكن اعتبار(أم) الواردة في البيت مُعادِلة، إذ ليس مراد الشاعر تعيين أيهما في لحيي الممدوح: الشيب أم الوخط. وليست متصلة لغياب ألف التسوية، كما لا يمكن اعتبارها منقطعة لوقوع مفرد بعدها، وقول الجمهور أنَّ (أم) المنقطعة لا تدخل على المفرد[2]، اللهم إذا اعتبرنا (أم) تفيد الإضراب، كأن الشاعر قال: "للشيب رشق في عذارك"، ثم عرض له شك، فأضرب عن ذلك وقال: "بل الوخط في عذارك". لكن ابن عبد الملك عدَّ ذلك تكلفا و إفسادا للمعنى، لأن المعنى يصير: أأرجع إلى ما كنت عليه من اللهو في صباي وقد شابت لحيتي بل وخطها الشيب.

وو افق ابنُ رُشَيْد السبتيّ ابنَ عبد الملك في تصويبه، لكنه عزا الغلط الو اقع في البيت إلى خلل ارتكبه المَراكشي في النقل، فقال: «وهذه الاعتراضات كلها ساقطة، ولكن ليس لها لاقطة؛ فأما الأول وهو قوله: منها استعمال (أم) مكان (أو) في قوله: (أم وخط)، فتلك شكاة ظاهر عنك عارها، فإن ناظمه إنما قاله ب (أو)، وكذلك أنشده لنا، و إنما ابن عبد الملك كتبه بأم خطه»[3].

ب. النقد البلاغي:

حبلت النقدات البلاغية لابن عبد الملك بمجموعة من الأحكام الذوقية الدقيقة، التي تكشف عن خط نقديٍّ خاص، يتخذ من الذوق معبرا إلى فهم الإبداع الأدبي والشعري. وقد اتسم اختياره لنماذجه الشعرية والنثرية بالدقة والجودة في الاختيار. ويمكن القول إن ذلك كان ينبع أساسا من الفكر النقدي المتوقد لديه، وتشوفه إلى التفوق وتسنُّم درجات الكمال في الإبداع؛

[1] الذيل والتكملة، 512/1

[2] خالف الجمهور ابن مالك، فقال في شرح التسهيل: «إن وَلِي المنقطعة مفردٌ فهو معطوف بها على ما قبلها، كقول العرب: "إنها لَإِبِلٌ أم شاءٌ". ف(أم) هنا لمجرد الإضراب، عاطفة ما بعدها على ما قبلها، كما يكون بعد "بل" فإنها بمعناها» ج326/3.

[3] الذيل والتكملة، ج514/1، الهامش (2) نقلا عن فتح المتعال، ص222،221،220.

فلقد كان ابن عبد الملك متذوقا لما ينقله من نصوص، ومتفاعلا معها بنا على ملكة بلاغية عنده. يظهر ذلك جليا من خلال مجموعة من النقدات البلاغية التي عجّت بها أسفار الذيل والتكملة.

ولعل أبرز سمة للمنتخبات الشعرية والأدبية التي تعرض لها ابن عبد الملك بالنقد، هي كثرتها وتنوعها، فهي لا تنسب إلى شعراء فقط، بل إلى فقهاء ومحدثين ولغويين ومتصوفة، ولذلك جاءت هذه النصوص مختلفة أغراض، ومتباينة الأذواق، وتنوعت بين أبيات منفردة، وقطع قصيرة، وقصائد تامة.

وأهم ما يسِمُ تلك النقدات؛ اعتناء ابن عبد الملك بالصور البلاغية الواردة في آثار مترجميه، حيث عدَّ التشبيه من معايير الجودة في أشعارهم، مقتفيا بذلك آراء من سبقه من النقاد، كابن قتيبة (ت276هـ) الذي يقول: «وليس كل الشعر يُختار ويُحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه قد يُختار ويُحفظ على أسباب منها: الإصابة في التشبيه»[1].و أبي هلال العسكري (ت395هـ) في قوله: «والتشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه»[2].

ومن بين المواضع التي التفت فيها ابن عبد الملك إلى هذا لجانب، أبيات حِسان نظمها ابن خروف القرطبي (ت620هـ) في وصف سِندِيٍّ جاء فيها: (الكامل)

وَمُنَوَّعُ الحَرَكَاتِ يَلْعَبُ بِالنُّهَى ... لَبِسَ المَحَاسِنِ عِنْدَ خَلْعِ ثِيَابِهِ

مُتَأَوِّدٌ كَالغُصْنِ عِنْدَ كَثِيبِهِ ... مُتَلَاعِبٌ كَالظَّبْيِ عِنْدَ كِنَاسِهِ

بِالعَقْلِ يَلْعَبُ مُقْبِلًا أَوْ مُدْبِرًا ... كَالدَّهْرِ يَلْعَبُ كَيْفَ شَاءَ بِنَاسِهِ

وَيَضُمُّ لِلْقَدَمَيْنِ مِنْهُ رَأْسَهُ ... كَالسَّيْفِ ضَمَّ ذُبَابَهُ لِرِئَاسِهِ

فأثنى عليها بقوله: وهذا من التشبيهات العقم على قلب فيه تمكن تسويته بوجه ما"[3].

ومن مليح التشبيهات العقم التي نقلها أيضا ابن عبد الملك، أبيات لعلي بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن سعد الخير (ت571هـ)، وصف فيها رمانة مشققة قائلا[4]: (المتقارب)

وَسَاكِنَةٍ مِنْ ظِلَالِ الغُصُونِ ... بِخِدْرٍ تَرُوقُكَ أَفْنَانُهُ

---

[1] الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 2003. ص85.

[2] الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1952. ص243.

[3] الذيل والتكملة، 334/5

[4] نفسه، 156/5

تُضَـــاحِـكُ أَتْـرَابَـهَـا فِـيـهِ لَمَّـا غَـدَا الـجَـوُّ تَـدْمَـعُ أَجْـفَـانُـهُ

كَـمَـا فَـغَـرَ الـلَّـيْـثُ فَـاهُ وَقَـدْ تَضَـرَّجَ بِالـــــدَّمِ أَسْـنَانُـــــهُ

فكان تشبيهه للرمانة المشـقَّقَةِ بأسـدٍ فاغرفمه، ودم فريسـته يسـيل منه، من التشـبيهات التي لم يُسبق إليها، ولذلك أثنى عليها ابن عبد الملك بقوله: «وهو من التشبيهات العقم»[1].

و انتحى ابن عبد الملك السـجع في كثير من تراجمه، فـأتت رائقـة من غير إخلال بعنـاصـر الترجمة. ولم يكن وحده من التزم السـجع في كتابه، بل غدا هذا الضـرب البديعي ميسـما لازما للنثر الأندلسـي، حيث أصـبح التأنق في الكتابة، والتفنن في إنشـاء العبارات، شـرطا في التأليف. ومن المواضـع التي انسـاق فيها ميول ابن عبد الملك إلى السـجع، ما ذكره عن ابن الفنَكي القرطبي المقرئ (ت597هـ)، الذي اشتهر بجمال قراءته، حتى إن «الناس كانوا يتزاحمون على الصلاة خلفه التماسـا لبركته، واسـتماعا لحسـن صـوته»[2]، فأورد ابن عبد الملك قولا لأبي الحسـن محمد بن أحمد بن جُبيْر، يصـف فيه قراءة ابن الفنَكي قائلا: «وقراءته تُرِقُّ الجمادات خشـوعا»[3]، ثم اسـتملح سـجعه وعلّق عليه بروح دينية مشـبوبة: «ويحسـن أن يضـاف إلى هذه الفقرة: وتُرسِـل شآبيب الرحمة دموعا»[4].

وقد شكلت المعارضات في الشعر الأندلسي مجالا خصبا لإظهار القدرات اللغوية والأبية، ومن بين هذه المعارضات ما ذكره ابن عبد الملك في سياق ترجمته لأبي العباس الأُقليجي (ت551هـ)، من قطع شعرية تعاقب شعراء عديدون على إنشادها، محاولة منهم معارضة قصيدة لأبي الوليد بن الفرضي (ت403هـ)[5] يقول في مطلعها: (الطويل)

---

[1] الذل والتكملة، 158/5

[2] نفسه، 490/1

[3] نفسه

[4] نفسه

[5] هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي، ولد بقرطبة عام 351هـ، وقُتل في فتنة البربر سنة 403هـ. له: "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس"، هكذا سماه الحُميدي في جذوة المُقتبس ص236، وابن بسام الشنتريني في الذخيرة ج616/2. أما ابن بشكُوال فأطلق عليه "تاريخ علماء الأندلس"، وسماه القاضي عياض "رجال الأندلس" في كتابه ترتيب المدارك، ج130/2. وقد نشر الطبعة الأولى من كتاب ابن الفرضيّ فرانسيسكو كوديرا بمدريد سنة 1891م. ثم الطبعة الثانية سنة 1966م.ثم الطبعة الثالثة بتحقيق إبراهيم الأبياري سنة 1983م.

أَسِــيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَ اقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ

فنقل ابن عبد الملك عن شيخه الماقري قصيدة لأبي العباس الأُقليجي، يعارض بها قصيدة ابن الفرضي، ومنها:

أَسِــيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَ اقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللهِ خَائِفُ

ثم أنشد أبو الحسن بن أحمد بن أبي قوة قصيدة عارض بها أبيات أبي العباس الأقليجي، وصدّر لها ابن عبد الملك بقوله: «و أنشدنا لنفسه معارضا لها ومبتدئا بالصدر من البيت الأول نت قطعة الوليد بن الفرضي، والتزم أبو الحسن من القاف قبل رويها ما لا يلزم»[1] ومطلعها:

أَسِــيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَ اقِفُ تَقَيَّدَ فِي كُثْبَانِهَا فَهْوَ حَاقِفُ[2]
يَفِيضُ مِنَ الخَوْفِ الدُّمُوعَ كَأَنَّهُ لِشِــدَّةِ مَا يَلْقَى مِنَ الحُزْنِ نَاقِفُ

وفيها التزم الشاعر ما لم يلزم، فأتى بالقاف قبل رويها الفاء في جميع أبياتها، ليظهر قدرته على التوسع في الشعر، مضارعة ابن الفرضي في نظمه، وأسعفه في ذلك تباعد المخرجين الصوتيين لحرفي القاف والفاء.

وتنبه ابن عبد الملك في مروياته إلى ظاهرة تداخل النصوص، ولاسيما في الخطاب الشعري، فوظف مصطلحات تعالج قضية التناص بالمفهوم الحديث، واعتبر التضمين، واحتذاء المثال، شكلين من أشكال التناص.

[1] الذيل والتكملة، 723/1

[2] يقول ابن منظور: «الحِقْفُ من الرَّمْل: المُعوَجُّ، وجمعه أحقافٌ وحُقوفٌ وحِقافٌ وحِقَفَةٌ. ورجلٌ حاقف: إذا دخل في موضع الذي هو الحِقْف» لسان العرب، مادة حقف، ج52/9.

فمن التضمينات التي ذكرها ابن عبد الملك وصرّح بمضمَّنها في كتابه: أبيات أنشدها أحمد بن أيوب اللُّمائي المالقي (ت465هـ)، يصف فيها عِلَّةً أحاطت به، ولم يفلح في علاجها، فقال في وصف حاله وضمّن بيت أبي ذؤيب خُويلد بن خالد بن مُحرَّث[1]: (الكامل)

عَظُمَ البَلَاءُ فَلَا طَبِيبٌ يُرْتَجَى ... مِنْهُ الشِّفَاءُ وَلَا دَوَاءٌ يَنْجَعُ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أُعَالِجْهَا بِهِ ... طَمَعَ الحَيَاةِ، وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ؟

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فجاء البيت الأخير مضمنا ومتسقا كأنه من صلب النص، ولذلك أعجب به ابن عبد الملك ونوّه به.

وقد يبلغ الإبداع الشعري من المَلاحة ما يجعل الشعراء يحذون حذوه، وينظمون على شاكلته، إما إعجابا به، أو محاولة للتقدم عليه. ومن أحسن ما استملحه الشعراء: بيتين في فراق الأوطان نظمهما الفقيه البليغ أبو بكر بن ميمون القرطبي (ت567هـ)، وكان قد قدم من قرطبة إلى مراكش، «فاستوطنها، واشتهر بمعرفته عند الخلافة حتى نسي قرطبة ومواطنها وقطينها وقطنها»[2]. يقول: (الكامل)

لَا تَكْثَرِتْ بِفِرَاقِ أَوْطَانِ الصِّبَا ... فَعَسَى تَنَالُ بِغَيْرِهِنَّ سُعُودَا

فَالدُّرُّ يُنْظَمُ عِنْدَ فَقْدِ بِحَارِهِ ... بِجَمِيلِ أَجْيَادِ الحِسَانِ عُقُودَا

والمعنى أن الدُّرَّ لا يظهر حسنه إلا بعد استخراجه من الصدَف، ونظمه حليًّا تزين أعناق النساء.

---

[1] الذيل والتكملة، 264/1. وصاحب البيت هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي، أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وضعه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من طبقات فحول الجاهلية. تقدم جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي رثى فيها أبناءه، وافتتحها بقوله:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

[2] المن بالإمامة، ابن صاحب الصلاة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1964. ص159.

وقد تداول الشعراء قديما هذا المعنى حتى استفاض وأخلق، فحمى عن نفسه السرق، وأزال عن أبي بكر مذمَّةَ الأخذ. واستطاع ابن عبد الملك بفعل حسه النقدي، وسعة اطلاعه على ديوان العرب، أن يرصد لنا نماذج شعرية ضمن المعنى نفسَه، فقال:

«معنى هذا البيت الأخير قد تداوله الناس قديما وحديثا، فلأبي الثناء حمّاد بن هبة الله الحرَّاني (ت598هـ)[1]: (البسيط)

قَالُوا: تَرَحَّلْتَ عَنْ دَارٍ نَشَأْتَ بِهَا ... وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ إِلَّا دَارُهُ شَرَفُ

قُلْتُ: انْظُرُوا الدُّرَّ فِي التِّيجَانِ ... لَمَّا تَفَتَّحَ مِنْ مَكْنُونِهِ الصَّدَفُ»[2]

وأخذ أبو الحسن الرُّعَيْني المعنى نفسه، فنظم بيتين لم يزد فيهما على ما أنشده ابن ميمون فقال[3]: (البسيط)

فَارِقْ وَلَا تَغْنَ بِالأَوْطَانِ تَعْمُرُهَا ... فَفِي سِوَاهَا تَنَالُ العِزَّ وَالشَّرَفَا

فَالدُّرُّ لَمْ يَعْلُ أَجْيَادَ الحِسَانِ وَلَا ... زَانَ التَّرَائِبَ حَتَّى فَارَقَ الصَّدَفَا

ج. النقد العروضي

تسطع وظيفة النقد لدى ابن عبد الملك سطوعا لافتا في سماء العروض، حيث سبرَ أوزان مروياته من الشعر، وخَبَرَ زحافاتها وعللها، وذكر ما شانَ قوافيها، فدلَّ ذلك دلالة صريحة على شخصيته البصيرة بهذا العلم، وعلى قيمة كتابه المفقود "الجامع في العروض".

ومما يؤكد شغف ابن عبد الملك بهذا العلم؛ انفراده بذكر مؤلفات عروضية مفقودة لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحدّاد القيسيّ (ت480هـ)[4] هي: "المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب مما تقتضيه الدوائر الأربعُ من الدوائر الخمس التي تنفكُّ منها أشعار العرب"، و"قيدُ

[1] هو حمّاد بن هبة الله بن حمّاد بن الفُضيْل، أبو الثناء التاجر الحرَّاني، كان فيه فضل وأدب، وكان يقول الشعر، وحدّث بحرَّان ومصر. توفي سنة 598هـ، ومولده سنة 511هـ (ينظر: الوافي بالوفيات، ج154/5، الترجمة 169).

[2] الذيل والتكملة، 350/6

[3] نفسه، 350/6

[4] تنظر ترجمته في الذيل: ج11/6، الترجمة 10.

الأو ابد وصيدُ الشوارِدِ في إيرادِ الشواذِّ والردِّ على الشُّذَّاذِ"، و"الامتعاض للخليل". فلا نكاد نسمع لهذه المؤلفات صدًى عند غيره. أضف إلى ذلك تضمن الذيل والتكملة لأنظام عروضية لا توجد إلا فيه، ومنها نظمٌ لأبي محمد بن القرطبي حول دو ائر الشعر العربي وأشطارها وأعاريضها وضُروبها، وفيه أفصح ابن القرطبي عن وفور ملكته، وسعة إدراكه في علم العروض[1].

ومن النقدات العروضية التي ذكرها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة؛ وسْمُه لأبيات نظمها أبو عبد الله بن الحنّاط (ت430هـ) بالإغراب والخروج عن أوزان الشعر العربي كما حددها الخليل، جاء فيها:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا فَعَلْ ... أَحْيَا المُحِبَّ الذي قَتَلْ

ظَبْيٌ بِعَيْنَيْهِ أَسْهُمٌ ... فِي كُلِّ قَلْبٍ لَهَا عَمَلْ

يَحْمَرُّ فِي خَدِّهِ دَمِي ... وَيَدَّعِي أَنَّهُ خَجَلْ

فقال ابن عبد الملك: «وهذا وزنٌ لم تنظم عليه العرب»[2]. وعلل حكمه بأن مجزوء البسيط هو: # مُستفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ #، مستشهدا له ببيت من عيون الشعر الجاهلي للمُرقِّش الأكبر، يقول فيه: (مخلع البسيط)

مَاذَا وُقُوفِي عَلَى رَسْمٍ خَلَا ... مُخْلَوْلَقٍ دَارِسٍ مُسْتَعْجَمِ

يقول:

«فاستعمَلَه أحذَّ العَروض والضرب مخبونا، فكان تفعيله: مُستفعِلُن فاعِلُنْ مُستفْعِلُن، فأصارَهُ الحَذَذَ، وهو إذهابُ الوتدِ رأْسًا، وهو: عِلُنْ، فبقي مُسْتَفْ، ثم خبَنَ فحذَفَ ثانِيَهُ فصارَ: مُتَفْ، فنُقِلَ إلى مثل وزنه وهو: فَعِلْ، فصارَكلُّ واحدٍ من الشطرين: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعِلْ، وهو وزنٌ لمْ يرد عن العرَبْ»[3].

---

[1] نفسه، ج181/4

[2] الذيل والتكملة، ج244/6

[3] نفسه

وأحيانا ينتقل ابن عبد الملك في نقده لانكسار الوزن، من التصريح إلى التلميح، داعيا المتلقي إلى إعمال النظر، ومشركا إياه في رؤيته النقدية، مثلما فعل في تعقيبه على قصيدة للفقيه أبي الحاج ابن الشيخ (ت604هـ) يقول فيها: (البسيط)

مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ ذَا يَا مُدَّعِي الغَيْبِ فِي ... شِعْرٍ رَكِيكٍ بِجَهْدِ اللهِ يَتَّزِنُ؟

حَاشَاهُمُ أَنْ يَكونُوا كَاتِمِينَ لِمَا ... فِيهِ الصَّلَاحُ لَنَا: قَبِيحٌ أَوْ حَسَنُ

لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللهَ مُنْفَرِدًا ... أَمَّ النَّبِيُّونَ لَوْلَا الوَحْيُ مَا فَطِنُوا

فاقتصر في تعقيبه عليها قائلا:

«في أبيات هذه القصيدة نظرٌ منها: (مِنْ أيْنَ تعلمُ ذا)، ومنها (حَاشَاهُم)، ومنها: (لا يَعْلَمُ الغيْبَ إلا اللهُ، فتأملها»[1].

كما نبه ابن عبد الملك إلى وجود عيب الإيطاء في العديد من نقداته، منها عقيبه على قصيدة ابن المرحّل في مدح النعل النبوية بقوله: «(...) ومنها الإيطاء: في صوارمه في بيتين بينهما بيتان»[2]. مشيرا إلى قول ابن المرحّل:

وَكَمْ نَازَعَتْهُ الأَمْرَ قَوْمٌ أَعِزَّةٌ ... فَمَا أَسْلَمَتْهُ بِيضُهُ وصَوَارِمُهْ

غَدَا العَالَمُ الأَعْلَى يُقَاتِلُ دُونَهُ ... فَتَقْدُمُهُ قَبْلَ اللِّقَاءِ هَزائِمُهْ

سَلِ الحَرْبَ عَنْهُ يَوْمَ أُحْدٍ وَغَيْرَهُ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ كَيْفَ كَانَتْ عَزَائِمُهْ

أَمَ حَسَمَ الكُفْرَ الصَّرِيحَ حُسَامُهُ ... أَمَا صَرَمَ الإِفْكَ الصَّرِيحَ صَوَارِمُهْ؟

إلا أن تعقيب ابن عبد الملك لم يسلَم من مناوشات نقدية لمجايله ابن رُشَيْد السبتي، وسمهُ فيها بالناقد المتعسِّف، لا مجال لذكرها في هذه الورقة، فتُنظر في موضعها من الذيل[3].

خاتمة

[1] الذيل والتكملة، 194/4

[2] نفسه، 510/1

[3] نفسه، 511/1

بين هذا البحث مدى شغف ابن عبد الملك المَرَّاكشي بعلم التاريخ، ومكين عارضته فيه. كما اتضح بجلاء شمولية مو اقفه النقدية، فلم يقتصر بمعرفته اللغوية على فن دون سواه من فنون العربية، ليدلِّل على أن سعة اطلاع المؤرخ لا تقف عند حدّ معرفة أحوال مترجَميه، و أنسابهم، وسيَرِهم، بل تتجاوزها إلى معرفة علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض.

وقد كشفت المنتخبات النقدية والفذلكات التاريخية التي مثّلنا بها في هذه الورقة عن نبوغ ابن عبد الملك الأدبي واللغوي، وتمكنه من علم التاريخ إضافة إلى علوم أخرى، حتى شهد له بذلك عامة من ترجم له، وعدّوه من أنبغ الوجوه العلمية في القرن السابع، زمنَ اتصال العدوتين المغربية والأندلسية.

لائحة المصادر والمراجع[1]

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1956.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول والثامن بتحقيق محمد بن شريفة، والسفر الرابع والخامس والسادس بتحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 2012.
- أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 2003.
- أبو محمد عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1964.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1952.

[1] مرتب ألفبائيا بإهمال أداة التعريف و"أبو" و"ابن"

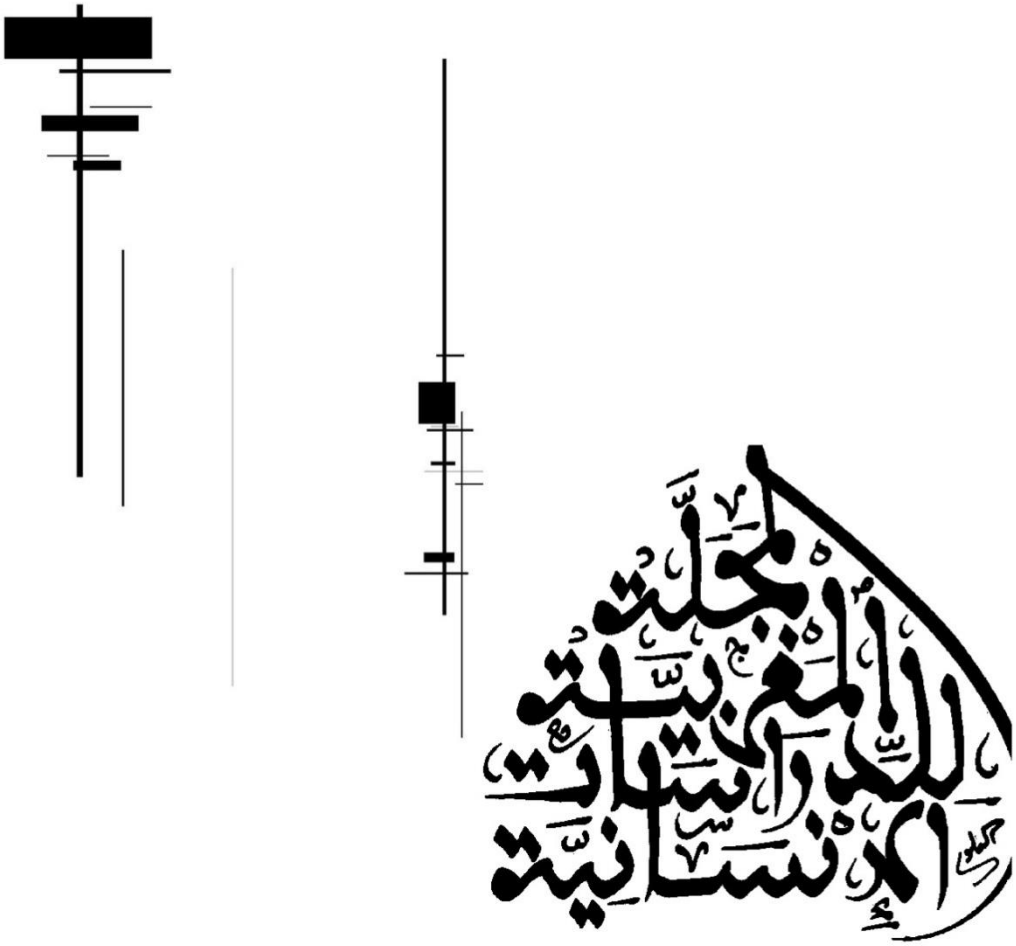
مجلة المغربية للدراسات النسانية

البحث البلاغي في الجامعة التونسية: بحوث تأسيسية (التفكير البلاغي عند العرب لحمادي صمّود[1] نموذجا)

الدكتورة صبيحة جمعة المعهد العالي للدراسات التطبيقيّة في الإنسانيات بالمهدية– جامعة المنستير– تونس.

الملخّص بالعربيّة: يتنزّل عملنا هذا في أساليب البحث المعتمدة البحوث الجامعية التأسيسية المتعلّقة بالتفكير البلاغي والنقدي عند العرب في جامعات الغرب الإسلامي اليوم ونخصّ بالذكر الجامعة التونسيّة. لذا اخترنا بحث الأستاذ حمادي صمّود الموسوم بـ" التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)"، فالكتاب عبارة عن برنامج كبير متكامل تمثّل خطوطه العريضة و أفكاره الأمهات مواضيع بحث مستقبلية متماسكة في نسيج من العلاقات الفكرية ينكب دراستها طلبته ومريدوه جيلا بعد جيل فقيمة الكتاب إذن تتجاوز مضمونه العلمي الأكاديمي إلى بنائه العام الذي يوفّر للطلبة الباحثين ما يُعتبر بنك أفكار ومواضيع بحوث. فمنذ أن نوقش بحث صمود سنة 1980 إلى يوم الناس هذا مازال يهدي الباحثين الجامعيّين ويوجّههم إلى أقوم مسالك البحث البلاغيّ والنقديّ وقد انتقينا بعض تلك البحوث والرسائل لاسيّما تلك التي أعدّها أصحابها تحت إشر افه.

[1] أستاذ البلاغة العربيّة بالجامعة التونسيّة.

Resumé :

Notre travail porte sur la methodologie appliquée dans les recherches fondamentalesconcernant la rhétorique arabe et la critique litteraire classique dans les universités de l'Occident islamique, en particulier à l'Université tunisienne. Pour ce faire nous avons choisi un modèle que nous avons jugé exemple adéquat pour sa valeur intrinsèque. C'est l'œuvre du professeur Hmmadi Samoud « la pensée rhétorique chez les Arabes, de ses origines, jusqu'au 6 ème siecle de l'hegire ».la valeur de ce livre dépasse son important contenu scientifique pour ouvrir aux chercheurs des horizons académiques émanant d'un noyau , qu'est le contenu du livre, pour se métamorphoser en un réseau de sujets structurés pivotant autour du sujet initial : la pensée rhétorique arabe classique mais qui s'ouvre sur l'universalité. Pour ce faire, nous avons choisi quelques œuvres ecrits par les étudiants érudits de Samoud travaillant souvent sous sa direction meme et dont les sujets émanant des principaux idées ou des grandes lignes de sa thèse parue une année après sa soutenance en 1980 à Tunis. Ainsi aurions nous montré que l'œuvre de Samoud est la tete d'une chaine de recherches académiques successives : chaque sujet élaboré annonce un autre, et ceci suivant la structure méthodologique appliqué sur le programme piloté par Hammadi Samoud.

تمهيد:

نسـعى من خلال هذا البحث إلى التعريف بالبحوث التأسـيسـية للبحث البلاغي بالغرب الإسـلامي وتحديدا بالجامعة التونسـية. واخترنا نموذجا لذلك وهو من أولى المؤلفات في الغرض كتاب الأستاذ حمادي صمود الموسوم بـ" التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السـادس (مشـروع قراءة)". يعدّ هذا المؤلّف من اللبنات الأولى للبحوث المختصّـة في البلاغة

العربيّة في الجامعة التونسيّة وهو في أصله بحث أعدّه صاحبه لنيل شهادة دكتورا الدّولة من الجامعة التونسيّة وقد أشرف عليه الأستاذ عبد القادر المهيري، ونشرته كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس سنة 1981، وصدرت الطبعة الثانية منه سنة 1994.

مثّل كتاب الأستاذ صمّود مشروعا كبيرا في التفكير البلاغيّ بالجامعة التونسية تمثّلناه في جملة من البحوث الأكاديمية التي مثّلت امتدادات له اعتبرناها فروعا على أصل واحد هو هذا المؤلَّف.

لذلك سنحاول في مرحلة أولى من هذا البحث التعريف بكتاب " التفكير البلاغيّ عند العرب" للأستاذ صمود ودوره في إرساء البحث البلاغي بالجامعة التونسية ثم سنحاول في مرحلة ثانية أن نتبيّن امتدادات هذا المؤلّف في غيره من البحوث والأعمال في ذات دائرة التفكير.

1 - التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة):

أ- تقديم الكتاب:

يعتبر كتاب حمادي صمود "بحثا تأسيسيّا شاملا لكلّ ما جاء به التفكير البلاغيّ العربيّ القديم، مثّل مشروعا طموحا مهّد به للبحوث التي تلته بأن رسم صاحبه الخطّ البيانيّ لنموّ التفكير البلاغيّ عند العرب وتطوّره معتبرا الجاحظ إعلانا عن حدث خطير في تاريخ ذلك التفكير" [1]

ارتكز عمل الأستاذ حمادي صمّود على تقليب النّظر في الأصول التي تأسّس عليها التفكير الجماليّ عند العرب وذلك بتنقيبه البحث في كنه المخزون الفكريّ والأدبيّ لنصوص التراث عبر اعتماده ما استجدّ من مناهج حديثة في البحث كما أعلن عن ذلك في مقدّمة كتابه مبرزا أنّ هذا المنهج يقوم " على مباشرة التراث من منطق التفاعل بينه وبين الحداثة " مبيّنا أنّه بذلك يمكن تحقيق هدفين هما أوّلا " فهم التراث في ذاته واستجلاء النظريّة الأدبيّة التي يتضمّنها ". وثانيا " محاصرة مظاهر المعاصرة " في ذلك التراث.

[1] ينظر: توفيق حمدي، مواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، دار محمد علي الحامي، 2007 ، ص 62.

وبيّن الأستاذ صمود أنّه بذينك الهدفين يمكن تقويم الإسهامات العربيّة في البحوث اللسانيّة والبلاغيّة. وبرّر صمّود دعوته إلى ضرورة التسلّح بالمكتسبات المنهجيّة الجديدة يعود بالأساس إلى ملاحظته " اللّوك" الذي تميّزت به أغلب البحوث في التراث العربيّ والذي يعود بالأساس إلى كونها لم تمارس نصوص التراث على ضوء ما استجدّ من مناهج حديثة حتّى يمكن أن نتمثّل المكنوز المعرفيّ للتراث تمثّلا يلائم و اقعنا الفكريّ وحتّى لا يتمّ " الإقرار بموت البلاغة وقيام " الأسلوبية" بديلا عنها" [1].

وأكّد صمّود على أنّ المخاطر الحافّة بهذا التوجّه كثيرة "إن لم نوفّق إلى استخدام أجهزتها المفهوميّة استخداما يحترم خصائص التراث والسياق التاريخيّ الذي يتنزّل فيه والأسس المعرفيّة " الابستيمولوجيّة" القائم عليها لاسيّما وأنّ المفاهيم التي نتوسّل بها شبّت في منابت أخرى وتولّدت عن تيارات فكريّة و ايديولوجيّة ورؤية للعالم تختلف عمّا هو موجود عندنا وهي بالتالي تختلف عن الإطار الذي نشأ فيه التفكير البلاغيّ العربيّ من هذه الجهة" [2]. وبناء على هذه الرؤية في استخدام المناهج الحديثة أكّد صمّود على الاكتفاء بالاستنارة بالمفاهم الحديثة لاستكشاف غوامض التراث لاسيّما وانّ جوهر البحث في هذا الكتاب يتمثّل أساسا في تقليب النّظر في التراث من جهة "الأسس" والنظريات في ظاهرة الأدب والتصرّف في اللغة على جهة "الإنشاء" بالدرجة الأولى كما صرّح بذلك صاحب الكتاب في مقدّمته.

ب – منهج الكتاب:

بنى صمّود كتابه على منهج يجمع بين التأليف والتحليل الدقيق قام على الالتزام بدراسة التفكير البلاغيّ على القضايا الهامّة في التراث وجعل محطة التفكير البلاغي عند الجاحظ هي المرحلة المفصلية بين محطة النشأة للبلاغة العربية ومحطة الامتدادات لدائرة التفكير الجاحظي إلى حدود القرن السادس للهجرة.

وبرّر صمّود هذا التمشي في كتابه واختيار هذا المنهج يعود بالأساس إلى موقع الجاحظ في رحلة التفكير البلاغي عند العرب وهي رحلة مثلت محطة الجاحظ فيها المحطة الرئيسيّة باعتباره

3 ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب منوبة، ط2، 1994، ص 11.

[2] نفسه ص 12.

واضـع الأسـس الكبرى للتفكير البلاغيّ بحيث تبقى الفترات الموالية تسـتلهم مادتّه وتسـتحضـر مقاييسـه مثلما كان عاملا مهمّا في ظهور بعض المسـاهمات الفرديّة التي مهّدت لظهور كتاب عبد الله بن المعتزّ: البديع[1].

وتطرّق الباحث في مقدّمة كتابه إلى الصعوبات المنهجيّة والعمليّة التي يمكن أن تعترضه لاسيّما في اختيار ما يمكن "اعتباره أساسيّا ومن تحديد الفترات الحاسمة في تطوّر ذلك العلم"[2]. وبرّر صـمّود هذا التخوّف بكونه يعود إلى إمكانيّة تشـعّب القضـايا و تداخل الأسـباب واختلاط كليات العلم بجزئياته كلّما امتدّت الفترة موضـوع النّظر" فتـدِقّ المقـاييس التي نميّز بها بين الفترات وقد تحجب" [3].

ذاك الاعتقاد في الخوف من ضياع توجّه العمل نحو وجهة قد تنزلق به إلى اعتبار الهامش من متعلّقات التفكير البلاغي أسـاسًـا هو الذي جعل صـمّود يختار محطّة الجاحظ (255 هـ) مرحلة هامّة وحاسـمة في تاريخ البلاغة العربيّة، وبنى الباحث موقفه ذاك على جملة من المبرّرات الموضوعيّة حدّدها في النقاط التالية :

- تعتبر مؤلفات الجاحظ من أقدم الآثار التي بحثت في أفانين القول برؤية تجاوزت حدّ الجمع والرواية إلى الخلق والابتكار مدعّما أحكامه بأسـس نظريّة هامّة تجاوزت التعميم والانطباعات الذوقيّة.
- يعتبر الجاحظ صاحب أوّل تأليف اختصّ في درس الكلام البليغ والمستوى الفنّي الرفيع من اللغة نعني به كتابه " البيان والتبيين".
- مثّل كتاب " البيان والتبيين" جماع ما توصّلت إليه العرب من النشـاط البلاغيّ ، فكان صورة لأهمّ انطباعاتهم البيانيّة للفترات التي سبقته وكان انعكاسا لما يدور في عصره من أفكار وملاحظات في البلاغة صدرت عن نشطاء في علوم أخرى لعلّ أهمّها علوم الكلام.
- مثّلت مؤلفات الجاحظ المعين الذي استقى منه خلفه فكوّن دائرة فكريّة امتدّت على ثلاثة عقود من الزمن ولكنّها تجاوزته بالإضافة والتجديد في بعض

---

5 عبد الله بن المعتزّ، البديع، تحقيق كراتشكوفسكي، لندن، 1935.

التفكير البلاغي عند العرب، ص 13. [2]

[3] نفسه ص 13. وينظر كذلك :

Blachère (R) ; Moment tournants dans la littérature arabe , Studia Islamica 2 , 1966, pp 5- 18 .

مناحيه ولكنّها أيضا بقيت مشدودة إلى دائرة البيان التي رسمها ممّا جعله سلطة فكريّة في النقد والبلاغة والأدب وسمها صمّود بـ"الحدث الجاحظي".

كذا اجتمعت تلك العوامل لترسم للباحث خطا بيانيّا للمراحل الكبرى للبلاغة العربيّة والتي حدّدها كما يلي في كتابه:

- مرحلة "ما قبل الجاحظ" ووسمها بمرحلة " التمهيد" .
- مرحلة " الحدث" الجاحظي وسمها بمرحلة " التأسيس".
- مرحلة " البلاغة بعد الجاحظ إلى القرن السادس" وسمها بمرحلة " البناء".

ج- مضامين الكتاب :

إنّ ما يميّز بحث صمّود أنّه أحاط بكلّ ما جاء به التراث البلاغيّ من قضايا بلاغيّة راسما خطّا بيانيّا " لنموّ التفكير البلاغيّ عند العرب وتطوّره معتبرا الجاحظ إعلانا عن حدث خطير في تاريخ ذلك التفكير"[1].

- فترة "البلاغة قبل الجاحظ" [التمهيد]: اعتبرها صمّود فترة إرهاصات التفكير البلاغيّ عند العرب فركّز عمله على رصد الاهتمامات اللغويّة والأدبيّة لتلك المرحلة، فحدّد "عوامل النشأة" ، وهي عوامل داخلية وأخرى خارجيّة، في النقاط التالية :
  - الشعر.
  - القرآن.
  - تقعيد اللغة.
  - الحاجة إلى التعلّم والتعليم.
  - المؤثرات الاجنبيّة.

أمّا في ما يخصّ " المادّة البلاغيّة" فقد ذكر الباحث أنّه " لم تصلنا ، عن هذه الفترة، مؤلفات صريحة الانتساب إلى البحث البلاغيّ"[2] واعتبر كتاب " مجاز القرآن لأبي

[1] مواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، ص 62.

[2] التفكير البلاغيّ عند العرب، ص 89.

عبيدة " المصدر الوحيد الذي ينمّ عنوانه ، مبدئيّا، عن ارتباطه بموضوع بحثنا"[1] يعني " التفكير البلاغيّ". وبرّر صمّود موقفه ذاك من كتاب " مجاز القرآن" يعود أساسا " إلى أنّ الدّاعي إلى تأليف الكتاب، بإجماع المصادر، يقوّي الظنّ بأنّ مضمونه بلاغيّ صرف"[2] وإن كان موضوعه قرآنيّ فهو يعدّ من كتب الإعجاز، ومنهجه لغويّ، ولكنّ هدفه بلاغيّ فتطرّق إلى أساليب بلاغيّة متعدّدة وإن " لم يكن ذلك بصورة متعمّقة مبنيّة على أصول نظريّة وتفكير مجرّد" [3]. "

وأشار الباحث إلى المصادر التي اعتمدها في هذا القسم من العمل وهي صنفان: مصادر غير مباشرة اهتمّت بالبلاغة اهتماما هامشيا مندرجا في نطاق مشاغل اللغويين والنحاة. ومن المصادر التي ذكرها " الكتاب" لسيبويه و" معاني القرآن" للفراء و" مجاز القرآن" لأبي عبيدة.

ومصادر في البلاغة والنقد ولكنها من عصور متأخرة.

ووزّع صمّود هذه المصادر على عدّة جوانب فجعل قسما منها من قبيل المبادئ العامّة وصفها بأنّها " جنينيّة" قلّ أن نقف منها على أمور متبلورة في دراسة نظريّة مضبوطة في حدودها ومصطلحاتها. وقسما آخر تعلّق بمباحث التركيب واعتبر هذه المباحث أكثرها تطوّرا " بل إنّ منها ما اكتمل وحدّدت معالمه بصفة تكاد تكون نهائيّة: كقضية معاني الاستفهام مثلا"[4] . وجعل قسما ثالثا له صلة بالتغييرات المعنويّة التي تطرأ على الكلمة.

وعقّب صمّود على هذه الفترة بكونها فترة على أهميتها لا تنبثق عن " تفكير مطرد في جمالية النص الأدبيّ " ولكنّها تحمل مادّة خامة أساسيّة تنتظر من يجمعها

[1] المرجع نفسه، ص 89.

[2] المرجع نفسه ص 89.

[3] المرجع نفسه ص 95.

[4] المرجع نفسه ص 132.

ومن يستغلّها " في إقامة معالم نظرية أدبيّة وجماليّة عامة". ذاك هو عمل الجاحظ في الفترة اللاحقة.

- " الحدث الجاحظيّ" [التأسيس]: جاءت كتابة صمّود في هذا المبحث ردّا على النقّاد الذين رأوا في تفكير الجاحظ فوضى وأنّ ما جاء في مؤلّفه " البيان والتبيين" إنّما هو شتات وخليط من النماذج الادبيّة من الشعر والأخبار والخطب والأحكام الأدبية النقدية والملاحظات الاسلوبية البلاغيّة إلى غير ذلك. ولم يستطع أن يربط تلك الجوانب بتصور متكامل أو قريب من المتكامل. إذ لم يقتنع الباحث بأنّ الجاحظ صاحب التفكير الحصيف والتحليل المحكم ألاّ ينطلق في تقليبه النّظر في المسائل "من تصوّر متناسق أو كالمتناسق يختفي وراء هذه الفوضى الظاهريّة"[1].

هذا التصوّر هو الذي دفع الباحث حمادي صمّود إلى أن يتحسّس الخيط الرّابط بين معالم تفكيره في موضوع البلاغة والجماليّة الأدبيّة منطلقا من مفهوم " البيان" الذي توّج به الجاحظ مؤلّفه في " البيان والتبيين" الذي أجمع الدارسون قديما وحديثا[2] على أنّه قطب التأليف البلاغيّ عند الجاحظ. وقد توصّل إلى مجموعة من النتائج لعلّ أهمّها:

- مفهوم البيان عند الجاحظ هو مفهوم واسع يشمل طرق الدلالة والوسائل التي تمكّن المتكلّم من أداء المعنى وصفه صمّود بأنّه مبحث يطلق عليه اليوم في علم الدلالات بـــ((procédés de signification . ومن وسائله اللغة ثم العقد والإشارة والخطّ والنصبة.
- بيّن الجاحظ أنّ الانتقال من المعنى العامّ إلى المعنى الخاصّ أي من الدليل مطلقا إلى الدليل اللغويّ تصاحبه عدّة تغييرات، أوّلها السعي إلى التوفيق بين الغاية والوسيلة بحيث يصبح البيان أداء المعاني المقصودة طبق هيئات مخصوصة.
- يندرج عمل الجاحظ ضمن المشغل البلاغيّ والإنشائيّ العام.

[1] المرجع نفسه ص 208.

[2] Charles pellat, le milieu Basrien et la formation de Gahiz, paris, 1953, p 85.

- **تناول الجاحظ الخطاب اللغويّ من جهة كونه عمليّة تواصـــل[1] حدّد لها أطر افها وهي المتكلّم والســـامع والكلام، وحدّد لها قناتها وهي المشـــافهة. والر ابط بين هذه الأطراف مجموعة من الوظائف حدّدها صـــمّود في " الوظيفة الإفهاميّة والوظيفة الخطابيّة والوظيفة الشعريّة" [2]. ويعتبر الفهم والإفهام القاعدة الأساسيّة لكلّ خطاب لغويّ مهما كان مستواه.**
- **تقاســـمت ظاهرتا الملفوظ والتلفّظ جهود الجاحظ البلاغيّة. أمّا " الملفوظ " فهو بنية النصّ وخصـــائصـــها النحويّة والبلاغيّة العامّة من جهة أنّ النصّ تشـــكّل لغويّ لا دخل للمؤثرات الخارجيّة الحافة به في تحديد خصـــائصـــه. وأمّا " التلفّظ" فهو فعل يقوم به متكلّم معلوم في حيّز زمـانيّ ومكـاني مضـــبوط، يخرج بـه النص من الوجود بـالقوّة إلى الوجود بـالفعل وتتدخّل في العمليّة اللغويّة عنـاصـــر مقـاميّة منها المتكلّم والســـامع والسياق.[3]**
- **توصّل العرب في التراث اللغويّ إلى أكمل محاولة في تأسيس ما يسمّى بـ" نفعيّة الخطاب" (pragmatique du discours) لاســـيّما عندما تمّ ربط غاية الخطاب بوظيفة " الفهم والإفهام".[4]**
- **بنى الجاحظ تصـــوّره الجماليّ على أنّ الجميل ما كان ينبع من النافع " فالخير ليس في الكلمة الجميلة بقدر ما هو في الكلمة الناجعة التي تعمل في النفس عمل الغيث في التربة كما يقول [الجاحظ]"[5].**

---

[16] ينظر: صبيحة جمعة، مقال" الخطاب وآليات التواصل، " حوليات الآداب واللغات" ، المجلّد 08 – 2 العدد 15، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر، جوان 2020.

[2] التفكير البلاغي عند العرب، ص 209.

[3] ينظر: صبيحة جمعة، مقال" من حدود التحليل اللغوي للنص إلى انفتاح عوالم الخطاب"، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2019.

وينظر كذلك صبيحة جمعة، تحليل الخطاب في التراث اللغوي والتفكير اللسانيّ الحديث، نقوش عربية، تونس، 2016.

[4] O. Duerot, T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd du Seuil, paris, 1972, pp 109 – 423.(تحليل الجانب النفعي في الظاهرة اللغوية والأدبية)

[5] التفكير البلاغيّ عند العرب ص 301.

- تقوم أصـــول نظريّة الجاحظ البلاغيّة على اعتبار ارتباط جمال النصّ بســـياقه وتقاس نجاعته بنسبة مو افقته للمقام والحال[1].
- ذكر الجاحظ في مؤلّفاته الكثير من المصـــطلحات والمفاهيم والوجوه البيانيّة فذكر "البديع" في معناه اللغوي الأصليّ وفي المعنى الاصطلاحيّ الذي سيقتفي أثره ابن المعتزّفي مؤلّفه " البديع" [2]. كما ذكر" المجاز" في مقابل الحقيقة أو ظاهر اللفظ " وهو عنده وسيلة للاتساع في اللغة، ينبني على النّقل القائم على التشاكل أو التشابه"[3].

أمّا الوجوه المجازيّة التي اعتنى بها الجاحظ عناية خاصة فتمثّلت في الاستعارة والتشبيه. وقد كان تعريفه لهما حسب حمادي صمود أكثردقّة من مباحث المتأخرين[4].

- اهتمام الجاحظ بالوجوه البلاغيّة كان هامشـــيا هدته إليها شـــواهده المتنوّعة واستطراداته الكثيرة. فالوجه البلاغيّ لا يكتسب قيمة خاصة إلاّ في إطار نظريّته العامة التي ترى جمال النص في ارتباطه بســـياقه وتقاس قيمته بنجاعته بحســـب مو افقته للمقام ومقتضى الحال.

كذلك اكتســبت مؤلفات الجاحظ لاســيّما منها " البيان والتبيين" طر افة خاصـــة عدّت بمقتضاها مجمعا للأحكام النقديّة والمقاييس البلاغيّة ومثلت اللبنات الأولى لبدايات التنظير للبلاغة العربيّة حدّدت مسار الباحثين من بعده في شؤون البلاغة والنقد والأدب.

- فترة " البلاغة بعد الجاحظ إلى القرن الســـادس [البناء] :تميّزت هذه الفترة بازدهار المباحث البلاغيّة و اكتمالها وبداية تراجعها كما بيّن صمّود.

فقد تبلورت الاتجاهات الكبرى للنقد الأدبيّ وأصبح تحديد القيمة الفنية للنص المشغل الأســـاســـيّ بعد القرن الر ابع للهجرة على مســـتوى التنظيروالتطبيق أيضـــا. وتعتبر المؤلفات في الإعجاز التي بحثت في الخصوصيات الفنية التي ميّزت القرآن عن غيره من المنجزات الأدبيّة اهمّ

---

[1] Marcel Cressol, Le style et ses techniques, P.U.F, 7ème éd, paris, 1977, pp 1 – 2.

[2] ابن المعتزّ ، البديع، تح: آغناطيوس كراتشقوفسكي، دار الحكمة، دمشق، (دت).

[3] التفكير البلاغي عند العرب، ص 303.

[4] استند صمّود في موقفه هذا على المقارنة التي أقامتها بين تعريف الجاحظ وتعريف كل من ثعلب وابن المعتزّ ص 13 – 14.

skarzynska – Bochenska Karystyna , Ornements du style selon la conception de al Gahiz , in Rocznik Oriens, N 32 – 36 , 1973, Pp 13 – 14

المؤلفات التي ساهمت في تغذية البحث البلاغيّ.يضاف إلى تلك المؤلفات في الإعجاز الخصومات الأدبيّة حول أبي تمام ثم حول المتنبي إذ أعانت هذه الخصومات على ضبط جانب مهمّ من المقاييس النقديّة المتعلّقة بالنص وبنائه.

وخصّص صمّود في هذا القسم من العمل جزءا هاما منه لتحديد ما أسماه بـ" الفترة الحاسمة في التأليف البلاغيّ" وذكر من أهمّ المصنفات التي ميزت هذه الفترة كتاب " البديع" لعبد الله بن المعتز إذ كان أول مؤلّف يقتصر فيه صاحبه على استعراض نماذج من الأساليب البلاغية والمحسنات اللفظية التي تفضي على النص مسحة فنية تميزه عن الكلام العادي[1]. ويتسارع نسق التأليف بعد ابن المعتز في البحث البلاغيّ ولكنها تتشابه وينقص حظّ الكثير منها من الجدّة والطرافة حتى يأتي عبد القاهر الجرجاني بمصنفيه " دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"[2] حيث حقّق بهما منعرجا حاسما في تاريخ البلاغة العربيّة عندما ربط البلاغة بالنحو فأعطى للبحث البلاغيّ نفسا جديدا عرّج به من دائرة الأدب إلى دائرة النحو واللغة وأسّس بلاغة الكلام على مفهوم " النظم"[3].

وأمام كثرة المصنفات خلال هذه الفترة وتشابهها رأى صمّود أن يعالج مادّتها بالنّظر في ما رآه بعض القضايا الهامّة حدّدها في ثلاث مسائل وصفها بالركائز التي يقوم عليها أيّ علم من العلوم وهذه المسائل هي: المفهوم والمنهج والإجراء.

أمّا المفاهيم التي اهتمّ الباحث فتتمثّل أساسا في زوجي الحقيقة والمجاز، والفصاحة والبلاغة.

أمّا الزوج الأوّل فقد مكّن الباحث من تبيّن الأسس التي اعتمدها البلاغيّون والنقاد المستوى الإنشائي عن غيره من مستويات التعبير باللغة. وأمّا الزوج الثاني فقد مكّنه من تحسّس تحديد هؤلاء العلماء لمنبع البلاغة في النصّ.

---

[1] التفكير البلاغي عند العرب، ص 597.

[26] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، تعليق رشيد رضا، دار المعرفة، 1982.

- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، ط3، بيروت،1983.

[3] ينظر صبيحة جمعة، أطروحة الدكتوراه:" التفكير البلاغيّ من الأدب إلى النحو: من الجاحظ إلى الجرجاني"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس، تحت عدد 244.

وبيّن صـــمّود أنّـه رغم وعي العلمـاء بـالفرق بين التعبير الحقيقي والمجـازيّ فـإنّهم لم يســتطيعوا أن يصــوغوا ذلك الفرق صــياغة نظريّة " حتى جاء الجرجاني في القرن الخامس للهجرة، وأوّل المسألة تأويلا لسانيّا في عبارته المشهورة " معنى المعنى""[1].

وأمّا في ما يتعلّق بزوج الفصـــاحة والبلاغة، بيّن صـــمّود أنّ المؤلفات التي تناولت هذه القضـية فقد انقسـمت إلى قسـمين قسـم أرجع هذه المسـألة إلى اللفظ واعتبروه أسـاس البلاغة استنادا إلى رأي الجاحظ بأنّ " المعاني مطروحة في الطريق"، والقسـم الآخر ربط البلاغة بانتظام المعاني و اتســاقها على صــورة العقل، فهوّن بذلك من شــأن اللفظ والصــياغة معتبرا إياها انعكاسا للمعاني وخدما لها.

تلك هي أبرز المفاهيم التي عني بها البلاغيّون في هذه الفترة كما بيّن صــمّود، أمّا منهجهم فقد بقي مشــدودا حســب الباحث إلى النهجين اللذين رســمهما الجاحظ في مؤلفاته وهما " الأساليب والمجازات" ، وكلّ ما يدخل ضمن ما سمّاه " المعرض الحسن " من ناحية، والنظم من ناحية أخرى[2]. وعن التصــوّرين تولّد تياران: تيار يرى البلاغة في العبارة مقطوعة عن الســياق الذي وردت فيه، وتيار يرى البلاغة رهينة الســياق الذي وردت فيه وهي لا تبرز إلاّ في تماســك وحدات النص و اتساق نظمها.

وختم صمّود هذا القسم من كتابه بمبحث تطبيقيّ إجرائيّ تناول فيه أهمّ أسلوبين من أســاليب البلاغة التي اعتبرهما البلاغيّون أفضــل أنواع المجاز وأحقّهما بالشــعر. وهذان الأسلوبان هما: التشبيه والاستعارة.

و انتهى الباحث إلى نتيجة مهمّة تتمثّل في ســيطرة فكرة الإبانة والتوضــيح على النظرية الأدبيّة وبقاء التفكير البلاغيّ مشدودا إلى ما وضعه الجاحظ من أسس حدّدها لهما في " البيان والتبيين". وإن ركّز صــمّود بحثه على ظاهرة الاســتعارة التي خصّــص لها في كتابه حيّزا مهمّا "مستدلاّ على جلالة قدرها بين صنوف أدوات البيان حسب التنظير البلاغيّ وحسب الشروط التي اشترطها البلاغيّون على الأدباء" [3]

---

[1] التفكير البلاغي عند العرب، ص 600.

[2] المرجع نفسه ص 600.

[3] مواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، ص 64.

استنتاج :كذا تناول حمّادي صمّود في كتابه " التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)" النظريات والمو اقف التي ميّزت التراث البلاغيّ العربيّ بالوصف والتحليل في خطّ بيانيّ بدايته مرحلة " ما قبل الجاحظ" وهي مرحلة التمهيد فـ" الحدث الجاحظي" وهي مرحلة التأسيس وصولا إلى فترة" ما بعد الجاحظ إلى القرن السادس" والتي وسمها بمرحلة البناء. واستند الباحث في عملية الوصف تلك على المناهج اللسانيّة الحديثة دون أن يقع في إسقاط الحديث على القديم بل بتأصيل الظواهر وربط النصوص بسياقاتها التاريخيّة التي "نرى أسبابها تتجذّر في المحيط الثقافيّ والعقائديّ والدينيّ الذي نشأت فيه نصوص المدوّنة النقديّة والبلاغيّة العربيّة" [1]. وسعى من خلال عمله إلى النّظر في القوى الفاعلة التي وجّهت تفكير العرب في أدبهم ولغتهم وهي بالأساس قوى داخليّة تمثلت في شعرهم وخطبهم وفي العامل الدينيّ نعني القرآن وقوى فكريّة وعقديّة " كان لها تأثير فعّال في توجيه التفكير البلاغيّ نحو مسائل معيّنة"[2] ولعلّ أهمّها النشاط الكلاميّ. نضيف إليها بعض العوامل الأجنبيّة والتي تمثلت أساسا في كتابي أرسطو في " الشعر" و" الخطابة" وإن كان تأثيرها غير واضح كما بيّن صمّود.

وتعرّض صمّود في مؤلّفه إلى أهمّ القضايا البلاغيّة ورسم الأبواب الكبرى للبلاغة العربيّة التي شغلت الباحثين في مختلف مراحل التفكير البلاغي عند العرب وركّز عمله على مبحثي "التشبيه والاستعارة". ولكنّ ما ميّز عمل حمادي صمود أنّه عمل أشار إلى عديد المسائل والقضايا التي ميّزت البلاغة العربيّة وبحكم أنّ العمل يتّجه نحو هذه الوجهة فإنّه لم يتعمّق في عديد المسائل ولم يدقّق النّظر فيها وبذلك شرّع الباب على مصراعيه للباحثين لمواصلة البحث في هذا المشغل الفكريّ. وذاك ما جعل هذا البحث يمتدّ في بحوث أخرى في الجامعة التونسيّة وهي بحوث أشرف على بعضها وأخرى أشرف عليها طلبته من الحاصلين على شهادة دكتورا الدولة.

2 – امتدادات " التفكير البلاغيّ عند العرب" في بحوث جامعيّة أخرى:

[1] المرجع نفسه ص 66.

[2] المرجع نفسه والصفحة.

إذا ما استعرضنا المسائل الكبرى التي أثارها الأستاذ حمادي صمود في بحثه حول التفكير البلاغي عند العرب والذي صدرت طبعته الأولى سنة 1980 وربطنا هذه المسائل بما ظهر من بحوث أكاديميّة بعد سنوات من نشر الكتاب أنّ الكثير منها صارت مواضيع رسائل أعدّها أصحابها لنيل شهادات الدكتوراه سواء دكتورا الدولة أو الدكتوراه الموحّدة ويعني ذلك ارتفاع القيمة العلميّة لمواضيع البحوث المنجزة في تلك المسائل وحسبُنا أن نعرض نماذج منها لنتبيّن مدى عمق الصلة بينها وبين كتاب حمّادي صمّود.

انطلق حمّادي صمّود في بحثه من مؤلفات الجاحظ باعتبارها " أقدم الوثائق التي تناولت ظاهرة الكلام من زاوية فنية" [1] ووزّع كلّ المادّة العلميّة التي ضمّها البحث على فترة ما قبل الجاحظ، ففترة " الحدث الجاحظي" ثم ما بعد الجاحظ إلى حدّ القرن السادس الهجري.

حسب هذا المنهج التاريخي نضّد صمّود كتابه عبر المسائل التي رآها أساسيّة لتمثّل رحلة التفكير البلاغيّ من مرحلة الإرهاصات إلى مرحلة النضج والاكتمال على النحو الذي صورته المصادر الأمّهات التي مكّنت صمّود من الإحاطة بكبريات قضايا البلاغة العربية في الفترة التي حدّدها، والتي اتخذها باحثون من بعده مواضيع رسائلهم وأطاريحهم وقد لفتنا من أمرها أنّها تتعلّق بالاستنتاجات الأساسية او المخرجات الكبرى التي أبرزها صمّود في كتابه، ولا يتّسع المجال لحصرها وتبويبها في هذا السياق. لذا رأينا أن نكتفي بإيراد بعضها حسب ما نسمُه " بالنصّ الأمّ " أي كتاب الأستاذ حمّادي صمّود ثمّ نبيّن بإيجاز كيف صارت موضوع بحث أكاديميّ في صيغة رسالة أو أطروحة لنيل شهادات أعلى الرّتب العلميّة الجامعيّة.

بما أنّ صمّود افتتح كتابه بتدبّر كتب الجاحظ وقد رفعت صاحبها إلى أن يمثّل " الحدث" في تاريخ التفكير البلاغي وذلك بما خلص له من ثقافة حول رفيع الموروث الأدبيّ كالشعر والقرآن الكريم وكلام الفصحاء من الأعراب وتجلّت تلك الثقافة في مختلف العلوم الناشئة حول النص القرآني استطاع الجاحظ استيعابها واستثمارها كما تدلّ على ذلك غزارة المادّة اللغويّة والبلاغيّة التي تجمّعت في مؤلّفاته. فهذا المعنى بالذات جعل منه حمّادي صمّود مسألة من المسائل الأساسيّة في أطروحته حول التفكير البلاغيّ عند العرب وقد اقتطفنا منه الفقرة الآتية التي لخّص فيها بكلّ إيجاز ما جاء مفصّلا في القسم الذي خصّصه للجاحظ وبيّن أسباب

[1] التفكير البلاغي عند العرب، المقدّمة.

تميّزه والتي منها " أنّه [الجاحظ] اســتطاع أن يُخضــع الجانب الأعظم من تلك المادّة لتصــوّر متكامل ســاهمت في نحت معالمه الظروف الحافة بمســاهمته، وفي طليعتها الظرف العقائديّ. فلقد كان المعتزلة رفاقه في المذهب أهمّ مصـدر استقى منه مادّته، وكان هؤلاء ينظرون إلى اللغة من زاوية نجاعتها في المجادلة وقدرتها على التأثير في المتلقّي و إقناعه. لذلك سـخّروا أســاليبها لخدمة الغرض العقائديّ واهتموا اهتماما خاصّـا بتحديد " تقنيات " الجنس الخطابيّ لأنّه أكثر الأجناس الأدبيّة ملاءمة لأغراضــهم. من هذا المنظور حدّد الجاحظ مفهوم البلاغة وضــبط المقاييس الأسلوبيّة لفصاحة النصّ وبلاغته."[1]

لعمري إنّ هذه الفقرة من كتاب صــمّود تختزل اختزالا كل ما جاء عن تفكير الجاحظ البلاغيّ في علاقته، نشـأةً ونموًّا، بالسـياق الحضـاري والفكري الذي هيّأ للاعتزال ولعلم الكلام في صلاتهما المباشـرة بتصـريف اللغة على النحو الذي يروّج مبادئ المعتزلة وعقائدهم عبر الأسـاليب اللغويّة البلاغيّة القـادرة على ضــمـان التـأثير والإقنـاع[2]. هـذا المعنى هو محور أطروحـة محمّـد النويري التي صـدرت بعنوان :" علم الكلام والنظريّة البلاغيّة عند العرب " ونشـرت مشـاركة بين " دار محمد علي الحامي للنشر" و" كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس " سنة 2001.

صــدّر النويري كتابه بمقدمة طرح فيها الإشــكاليّة العامّة في الكتاب نتبيّن خلالها امتدادات بحث حمّادي صمّود ، لاسيّما إذا ما قارنّا بين ما جاء في الفقرة التي اخترناها من كتاب صمّود وبين ما سنورده من مقدّمة كتاب النويري.

هـذه المعـاني التي يعلن عنهـا صــمّود والتي تـدور حول العلاقـة الجـدليّـة بين البلاغـة بـاعتبـارهـا عملا في اللغـة وبين علم الكلام وهو " رأس العلوم الشــرعيّة من حيث كان حـارس المبادئ التي تقوم عليها"[3] ويؤكّد النويري على إثبات أنّ العلاقة المباشـرة بين الطرفين متأكّدة من جهة أنّ علم الكلام كان ينطلق في تخليصــه الأصــول الشــرعيّة التي تقوم عليها من نصّ أُخرجت العبارة فيه على ســمت معيّن لا يســتجيب دوما إلى حدود العقل ولا ينتهي دوما إلى الغايات التي

---

30 المصدر نفسه ، ص 608 – ويمكن الاستفادة من التفاصيل الواردة في القسم الثاني من كتاب صمّود لاسيّما ما يتعلّق بالبيان وما يتعلّق بالخطابة أثر الصراعات المذهبيّة ص 175 – 307.

[2]Perelmen – L. Olberch tytéca, la nouvelle rhétorique traité de l'argumentation, PUF, paris, 1958.

في هذا السياق نذكر أثر أعمال الفلاسفة في رد العنفوان إلى الفكرة البلاغية.

[3] النويري، علم الكلام والنظريّة البلاغيّة عند العرب، ص 7.

يرسـمها [العقل]، من ثمّ احتاجت الدلالة فيه [النصّ] إلى سـياسـة تخلصـها إلى الأفق الذي يرتضيه [علم الكلام] و افتقر الكلام في ذلك إلى وسائل وأدوات كانت البلاغة أهمّها" [1]

وخلُص النويري إلى أنّ حاجة المتكلمين إلى البلاغة لصـيانة عقيدتهم ونشـر مبادئهم متأكّدة جدّا لكن قد تكون البلاغة ذات مفعول عكسيّ إن لم تروّض إجراءاتها وأساليبها على نحو يجعلها مسايرة لمعاني ودلالات النصوص المعتمدة في عقيدتهم لاسيّما النصّ القرآنيّ. فالبلاغة سـلاح ذو حدّين ويؤكّد النويري هذا المعنى إذ رأى :" أنّ الإشـكالات الإيمانيّة التي واجهها علم الكلام كانت ناجمة عن ظواهر بلاغيّة رشـح بها ومثلت خطرا حقيقيّا على العقيدة ... فعلى هذا الأساس وجّه علم الكلام النظريّة البلاغيّة الوجهة التي تجعلها تباشر الإشكالات التي تفضي إليها هذه الظواهر مباشـرة تنتهي بالدلالة فيها إلى أفق لا يناقض الأصـول الإيمانيّة التي جاء النصّ مفصحا عنها." [2] لذا لا مناص لعلماء الكلام من أن يكرهوا البلاغة على التناغم مع روح العقيدة ومبادئها ... ما يشكّل أو يتعارض والمعاني التي تختلف في ظاهرها على الأقلّ مع الأصـول الإيمانيّة التي استنطقوا بها النصّ :" وهو أمر استوجب ابتكار أدوات الفهم ووسائل الإجراء التي تمكّن من تقدير دلالاتها على النحو الذي يوفّر الانسـجام العقديّ داخل الدائرة الإيمانيّة . من ثمّ كانت سـياسـة البلاغة العربية لتلك الظواهر إنما ترمي في أسـاسـها إلى توجيه إدراك الدلالة فيها على نحو لا يخلّ بالاعتقاد." [3]

ذلك هو التصـوّر الذي أشـار إليه صـمّود في كتابه " التفكير البلاغي عند العرب " والذي عرضنا من نصوصه بعضها وتصب معانيها في محور دائرة البحث الذي جعله النويري موضوع كامل كتابه كما عبّر عن ذلك بنفسـه إذ قال :" إنّا نقف في هذه النقطة بالذات على ما يبرّر عملنا هذا ويشرّع لاستقامته مسألة احتاجت منّا التأمّل والبحث في منطلق مصادرتنا التي نذهب فيها إلى أن علم الكلام قد سـاهم في تأسـيس النظرية البلاغية عند العرب. من ثمّ كان موضـوعنا في أساسه بحثا في طبيعة هذه العلاقة القائمة بينهما. كيف أثّر الكلام في نشأة البلاغة؟ وما هي أبرز تجليات هذا التأثير؟"[4]

---

[1] نفسه ص 8.

[2] نفسه ص 9.

[3] نفسه ص 9. ينظر كذلك: Umberto Eco ; les limites de l'interpretation, éd Grasset & Fasquelle, 1992, pp 52 – 86.

[4] نفسه ص 8.

ولعمري إنّ النويري قوله هذا يختزل اختزالا كل مادة الكتاب في هذا الموضوع ويحدّد عناصره الكبرى. وإنّ كامل البحث بكلّ أبو ابه وفصوله والمنهج المتبع فيه، هو تفصيل وتدقيق وتخريج وتوليد لفكرة من الأفكار المحوريّة التي جاءت في علاقة المتكلّمين بالبلاغيّين ضمن مشروع صمّود الذي مثّله كتابه " التفكير البلاغي عند العرب".

ومثل ذلك كتاب توفيق حمدي " مو اقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة "[1] فقد انبثق مشروع الكتاب مما جاء من عمل صمّود متعلّق بالاستعارة لاسيّما ما ورد في القسم الثالث منه [2] يقول حمدي مبيّنا بنفسه علاقة كتابه بمشروع صمّود :" لقد خصّص حمّادي صمّود حيّزا من كتابه للاستعارة مستدلاّ على جلالة قدرها بين صنوف أدوات البيان حسب التنظير البلاغيّ وحسب الشروط التي اشترطها البلاغيّون على الأدباء. وقد باشر صمّود تعقّب الاستعارة في المباحث البلاغيّة انطلاقا من ملاحظة أساسيّة وهي أنّ مو اقف البلاغيّين كانت متأرجحة بين السكوت والإنكار وبين الإشادة والإجلال. وعدّد بعض تلك المو اقف ثمّ أشار إلى ما يمكن أن يمهّد لها أو أن يهيّئها أو يوجّه أصحابها." [3]

ولا يخفى على قارئ الكتاب ما أعلنه المؤلف بنفسه من اندراج مسألة البلاغيّين والنقاد العرب من الاستعارة، في مشروع صمّود وتحديدا في الإشارة إلى اختلاف مو اقف البلاغيّين من تلك الظاهرة البلاغيّة. وقد بنى حمدي بحثه حسب ثلاثة أبواب كل باب منها يتفرّع إلى ثلاثة فصول: فالباب الأوّل خصّ به الكاتب وضع المسألة من خلال البحوث ذات الصلة بموضوع بحثه ورتبها حسب مدى القرب من بحثه اعتبارا لطبيعة المسائل التي وقع تناولها مبيّنا في الفصل الأوّل وجوه القر ابة وخصوصا وجوه الاختلاف التي ميزت بحثه [4].

وفي الفصل الثاني عرض الكاتب مصادر بحثه وهي مؤلفات أمّهات في البلاغة العربيّة وكان يبيّن وجه الاستفادة من كلّ مصدر حسب طبيعة البحث واعتبارا لصلة المباحث اللغويّة

---

[1] نشر دار محمد علي الحامي بالاشتراك مع المعهد العالي للغات بتونس، 2007.

على وجه التخصيص : البلاغة بعد الجاحظ – ما جاء تحت عنوان " أهمّ قضايا التفكير البلاغي إلى القرن السادس" صص 391 – 394. [2]

[4] - مواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، ص 64. وقد وردت هذه الفقرة في الفصل الأوّل من الباب الأوّل الذي خصّصه لما وسمه بوضع المسألة والذي عرض فيه ما رآه متصلا ببحثه من الكتب التي صدرت والتي رآها ذات علاقة ببحثه.

[4] انظر: ص 15 – 72.

والبلاغيّة والنقديّة في ما يتصل بظاهرة الاستعارة في التراث لذا فإنّ الأعلام المذكورين اشتهروا بتآليفهم في اللغة والتنظير البلاغيّ وجمع أخبار الشعراء والموازنة بينهم وشرح دواوينهم.[1]

وفي الفصل الثالث من الباب الأوّل استخلص حمدي من المصادر المذكورة مفهوم الاستعارة الذي بنى عليه البلاغيّون والنقاد القدامى مواقفهم. وهو المفهوم الذي اعتمده في كامل مراحل البحث [2].

وجاء الباب الثاني من البحث عارضا في فصوله ثلاثة مواقف من الاستعارة تجلّت في الأوّل منها مظاهر الانفتاح والمرونة وتوسيع دائرة الاستعارة بما يمكن الشاعر من إنشاء صور شعريّة لا تتقيّد بصرامة الموروث ولا تنحصر في تقعيد البلاغيّين للاستعارة وهو تقعيد يرى أصحاب هذا الموقف أنّه يضيّق أنفاس المبدعين. [3]

وعلى خلاف أصحاب المواقف المنفتحة نجد مواقف المتشدّدين من النقاد والبلاغيّين الذين يرون كلّ خروج على السّمت العربيّ في ممارسة الاستعارة انزلاقا ونكوصا عن مبادئ إنشاء الأدب الرفيع ذي المسالك المألوفة والرواسم المحدّدة [4]. وبين الموقفين المنفتح والمتشدّد لاحظ توفيق حمدي أنّ فويرقات تميّز موقفا وسطيّا لا يمكن أن نستشفّه إلاّ بجمع تلك الفويرقات التي لا تقطع تماما مع التشدّد ولا هي تنصهر كليّا في الانفتاح[5]. وتقويم المواقف وترتيبها على النحو الذي بيّنّا أفضى بصاحب البحث إلى استكناه الأسباب التي وجّهت البلاغيّين والنقاد إلى الاختلاف حول الاستعارة وذاك هو موضوع الباب الثالث من الكتاب وقد وسمه الباحث بـ" المؤثرات النافذة في توجيه المواقف من الاستعارة".

اختتم حمدي كتابه بإرجاع النتائج إلى مسبّباتها فيما يتعلّق بالمواقف الثلاثة التي اختلف عبرها النقاد والبلاغيّون من الاستعارة والتي كانت موضوع الباب الثاني من البحث.

---

[1] نفسه ص 73 – 112.

[2] نفسه ص 113 – 149.

[3] نفسه، صص 155 – 224. وينظر بالخصوص ما جاء حول الاستعارة لدى عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، تعليق رشيد رضا، دار المعرفة، 1982. وكذلك ما جاء في مؤلّفه: أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، ط3، بيروت، 1983. وينظر كذلك: Jean Jacques Robrieux, élements de rhétorique et d'argumentation, Dunod, Paris, 1993, p 45.

[4] نفسه، ص 241 – 322.

[5] نفسه ، ص 225 – 240.

انطلق المؤلف في تحديد أسباب الاختلاف من و اقع دينيّ وسياق حضاريّ وإطار ثقافيّ سببه نزول القرآن الكريم الذي مثّل حدثا لا يمكن تجاوز أو الإفلات من تداعياته. حول القرآن نشأت الثقافة العربيّة بمختلف علومها وفروعها. ففي النصّ للناس دين تنتظم به دنياهم ويتهيّئون به لآخرتهم. إذن لابدّ من فهم معانيه التي اقتضت بتغيّر الزمن وتعقّد الحياة أن لا يقنع المشرّعون والمفسّرون بظاهر المعاني و إنّما تكرههم الأحوال في تغيّرها الحتميّ إلى تجاوز الظاهر إلى الباطن فقد لا يقنع ما طفح به السطح فنغوص في الأعماق ونتجاوز التفسير إلى التأويل فينشأ الخلاف باختلاف تعدّد زوايا النظر واختلاف درجات اللغة التي يتوسّل بها أهل الذكر في فهم النصّ من موا قع مختلفة[1]. فالنصّ واحد ولكن التفاسير والتآويل لا تحصى ولا تعدّ.

هذه هي الفكرة المفتاح التي دخل عبرها توفيق حمدي مجالات البحث في أسباب الاختلاف حول الاستعارة ذاكرا أنّ أثر القرآن في دائرة العلوم وصنوف النشاط التي ترتّبت على ذلك الحدث هي التي قضت بجعلها على أقدار مختلفة إلى حدّ التباين والتناقض أحيانا وقد كشفت هذه الحقيقة كتب التفسير ونشاط علماء الكلام لاسيّما فيما يتعلّق بتأويل الآيات المتشابهات بفتح مغلقات المجاز. وذلك ما بيّنه الباحث في الفصل الأوّل من الباب الثالث[2].

وقد انتهى الكاتب إلى استخلاص أنّ الخوف من ضياع الدين في معمعة الخلاف حول معانيه جعل كل المنجزات النظريّة التي تعالج مختلف صنوف الخطاب تنطلق من هاجس المعنى "فرصد معاني القرآن باعتبار حاجة المسلم إليها، جعل المفكرين العرب من مختلف موا قعهم في النسيج الثقافيّ يركزون على المعنى في معالجة مختلف الإبداعات، لاسيّما الشعر باعتبار المعنى روحا أو جوهرا وما عداه مادّة أو جسدا" [3]. ويستخلص الكاتب أنّ البلاغة العربيّة تميل إلى التشدّد مع كلّ الظواهر التي تحول دون ظهور المعنى المقنع والمفيد على حساب المعاني التي يدخل الخيال في إنشائها كما يدلّ على ذلك ما في خاتمة هذا الباب من البحث من قول:" إنّ حاجة العرب والمسلمين إلى النصّ وخوفهم ممّا قد يهدّده سواء في بقائه أو في مضامينه كان لهما تأثير

---

[1] لاسيّما أنّ أوكد وظائف اللغة أنّها تحمل الدلالات وتشير إلى المقاصد.

E . Benviniste, Problèmes de linguistique générale, t, 2, pp 110 – 112.

[2] نفسه، ص 323 – 385.

[3] نفسه، ص 387.

مباشر في تهيئة المو اقف من الاستعارة التي بيّنا، ولم يكن النصّ في منأى عن المخاطروالتحديات رغم استقرار سلطة الدّين وتوفّر أسباب مناعته"[1].

ولئن اكتفينا بعرض نموذجين من البحوث الأكاديمية التي انبثقت عن مشروع صمّود المتمثّل في كتابه " التفكير البلاغي عند العرب : أسسه وتطوّره إلى حدود القرن السادس الهجري"، فإنّنا لا يمكن أن لا نشير إلى بحوث أخرى أشرف عليها أيضا الأستاذ صمّود بنفسه وهي من مستخرجات مشروعه. نذكر على سبيل المثال البحث الذي أنجزه محمّد لطفي اليوسفي والموسوم بـ" فنّ الشعر في نظريّة الشعر عند العرب حتى القرن السابع للهجرة". وهي رسالة جامعيّة لنيل شهادة التعمّق في البحث[2]. ويندرج في المشروع المتكامل الذي هيّأ له صمّود. وقد باشر اليوسفي البحث في مدى حضور التفكير الأرسطيّ في نظريّة الشعر عند العرب مقوّما أثر التفكير اليوناني في النقد العربيّ راصدا الأفكار وقارنها بالترجمات العربية لكتاب " أرسطو" وقد استحضر اليوسفي مدعّمات مقنعة بأن النقاد والفلاسفة العرب قرؤوا كتاب فنّ الشعروهم متشبّعون بعدُ بثقافتهم الأصليّة وبالوعي العميق بلغتهم وبأدبهم " لذا لا يمكن للفكر اليوناني أن يقود العرب لمعالجة أدبهم ولغتهم لأنّه لا تحصل لذلك الفكر سلطة التوجيه"[3]. لذا فإنّ اليوسفي ينكر كما أنكر من قبله صمّود على من تسرّع من الباحثين المحدثين أحكامهم وأعلنوا أنّ التفكير البلاغيّ والنقدي العربيين عالة على الفكر الأرسطي"[4].

وكما اجتهد صمّود في بيان أنّ التعريفات لدى النقاد والبلاغيين القدامى هيّأت لنشأة المصطلحات وكانت تختلف من ناقد إلى آخر بدرجات تنحسر أحيانا وتتسع أخرى وذلك راجع إلى طبيعة تكوين كل واحد منهم فضلا عن تنوّع ميولهم وعقائدهم وغير ذلك من المؤثرات الثقافية[5].

أمّا توفيق الزيدي فإنّه تعمّق في المسألة في مؤلّفه " جدلية المصطلح والنظريّة النقديّة"متجاوزا مرحلة توليد المصطلح من التعريفات ليرصد العلاقة الجدليّة بين المصطلحات

---

[1] نفسه ص 462.

نوقشت رسالة اليوسفي بتونس سنة 1984 وقد رجعنا إلى نسخة مصوّرة مودعة بمكتبة كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة تحت T رقم 3043 [2]

أثر كتاب" فن الشعر"لأرسطوطاليس ، ترجمة وتحقيق عبد الرحمان بدوي، ط2، دار الثقافة ، بيروت، 1973، ص 318 .[3]

المرجع نفسه والصفحة، وانظر كذلك صمّود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 82 – 83.[4]

[2] انظر: التفكير البلاغي عند العرب، خصوصا ما جاء في محاولة " المبرّد" التأليف بين مختلف التعريفات المتعلّقة بالأمر الواحد حتى يُخرج تعريفا جامعا لأغلب المظاهر التي وقع التعرض إليها بصفة منفردة- كذا يتولّد المصطلح من التعريف: ص 344 – 345.

والتنظير النقدي لتأسيس خطاب نقديّ عربيّ حديث انطلاقا من المدوّنة النقديّة الأصيلة مقروءة على ضوء المدارس الحديثة[1]. وتناغم القديم مع الحديث راجع إلى أنّ لكل المصطلحات النقدية نظاما داخليّا وليست مصطلحات معزولة عن بعضها البعض. وعبر شكة العلاقات بين المصطلحات والتي تشدها إلى نظام داخلي فإنّ ذلك النظام يحيل المصطلحات إلى النظرية النقدية " فالمصطلح مفتاح الخطاب النقدي وهو مفتاح خاص أيضا لدخول روح اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية" [2].

الخاتمة:

تبيّنا من خلال هذا العمل رحلة البحث البلاغيّ في الجامعة التونسيّة انطلاقا من البحث التأسيسيّ والمشروع العلميّ الموسّع الذي رسم خطوطه الكبرى أستاذ البلاغة العربيّة حمادي صمّود في كتابه " التفكير البلاغي عند العرب" والذي يتّسع ليشمل مواضيع أخرى ظهرت حولها كتابات سواء في هيئة مقالات أو رسائل جامعيّة أشرف عليها صمّود بنفسه فضلا عن أخرى أشرف عليها غيره، وهي بحوث أكاديميّة تندرج جميعها ضمن المشروع العلميّ الموسّع الذي رسمه صمّود. والذي يعنينا من كلّ ذلك هو أن نتبيّن صورة إسهام الجامعة التونسيّة في تمثّل هيكليّ للبحث العلميّ المتسلسل في حلقات يحمل بعضها إلى بعض حسب علاقات منطقيّة سببيّة على نحو لا تغلق فيه الواحدة إلاّ لتفتح على أخرى. وكلّ تلك الحلقات على اختلاف مواضيعها ومكتنزاتها الفكريّة تقوم أساسا على قراءة المدوّنة العربيّة الأصيلة قراءات مختلفة ومتعدّدة ترنو إلى التعمّق والإحاطة بالتطوّرات في علاقته الكونية بالثقافات الأخرى قديمها وحديثها لإثبات مدى استجابة الموروث الثقافي العربي للتفاعل الإيجابي مع مختلف منتجات التفكير الكوني " فتراثنا يحتاج درسا مسؤولا وفي هذا الوقت بالذات".

قائمة المصادر والمراجع

- **أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (دت).**

[1] C. Vial et M. Wahba, Contribution à l'étude du vocabulaire arabe de la critique littéraire, in Arabica, fev 1970, pp 3 – 46.

[2] توفيق الزيدي، جدلية المصطلح والنظريّة النقديّة، نشر دار قرطاج 2000،ط1، 1998، ص 573.

- أرســطوطاليس، فن الشــعر، ترجمة وتحقيق عبد الرحمان بدوي، ط2، دار الثقافة ، بيروت، 1973
- توفيق حمدي، مو اقف البلاغيين والنقاد العرب من الاسـتعارة، دار محمد علي الحامي، 2007
- توفيق الزيدي، جدلية المصطلح والنظريّة النقديّة، نشر دار قرطاج 2000،ط1، 1998.
- حمادي صمود، التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب منوبة، ط2، 1994.
- صــبيحة جمعة، تحليل الخطاب في التراث اللغوي والتفكير اللســانيّ الحديث، نقوش عربية، تونس، 2016.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصــحيح محمد عبده، تعليق رشــيد رضــا، دار المعرفة، 1982.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، ط3، بيروت، 1983.
- قدامة بن جعفر، نقد الشــعر، تح عبد المنعم خفاجي، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1979.
- ابن المعتزّ، البديع، تح: آغناطيوس كراتشقوفسكي، دار الحكمة، دمشق، (دت).
- محمّد النويري :" علم الكلام والنظريّة البلاغيّة عند العرب " ونشــرت مشــاركة بين " دار محمد علي الحامي للنشر" و" كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس " سنة 2001.
- المقالات :
- صــبيحة جمعة، مقال" الخطاب وآليات التواصــل، " حوليات الآداب واللغات" ،المجلّد 08 – 2 العدد 15، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر، جوان 2020.

صــبيحة جمعة، مقال" من حدود التحليل اللغوي للنص إلى انفتاح عوالم الخطاب"، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ديسمبر2019.

- أطاريح الدكتوراه:
- صــبيحة جمعة، أطروحة الدكتوراه :" التفكير البلاغيّ من الأدب إلى النحو: من الجاحظ إلى الجرجاني"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس، تحت عدد 244.

- محمّد لطفي اليوسفي، فنّ الشعر في نظريّة الشعر عند العرب حتى القرن السابع للهجرة، Tنوقشت رسالة اليوسفي بتونس سنة 1984 وقد رجعنا إلى نسخة مصوّرة مودعة بمكتبة كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة تحت رقم 3043/ t.

المراجع الأجنبية:

-Blachère (R) ; Moment tournants dans la littérature arabe , Studia Islamica 2 , 1966.

- Charles pellat, le milieu Basrien et la formation de Gahiz, paris, 1953 .

- C. Vial et M. Wahba, Contribution à l'étude du vocabulaire arabe de la critique littéraire, in Arabica, fev 1970.

1980- E . Benviniste, Problèmes de linguistique générale, t, 2,

- Jean Jacques Robrieux, élements de rhétorique et d'argumentation, Dunod, Paris, 1993

- Marcel Cressol, Le style et ses techniques, P.U.F, 7ème éd, paris, 1977.

- O. Duerot, T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd du Seuil, paris, 1972.

- Perelmen – L. Olberch tytéca, la nouvelle rhétorique traité de l'argumentation, PUF, paris, 1958.

- Umberto Eco ; les limites de l'interpretation, éd Grasset & Fasquelle, 1992.

skarzynska – Bochenska Karystyna , Ornements du style selon la conception de al Gahiz , in Rocznik Oriens, N 32 – 36 , 1973.

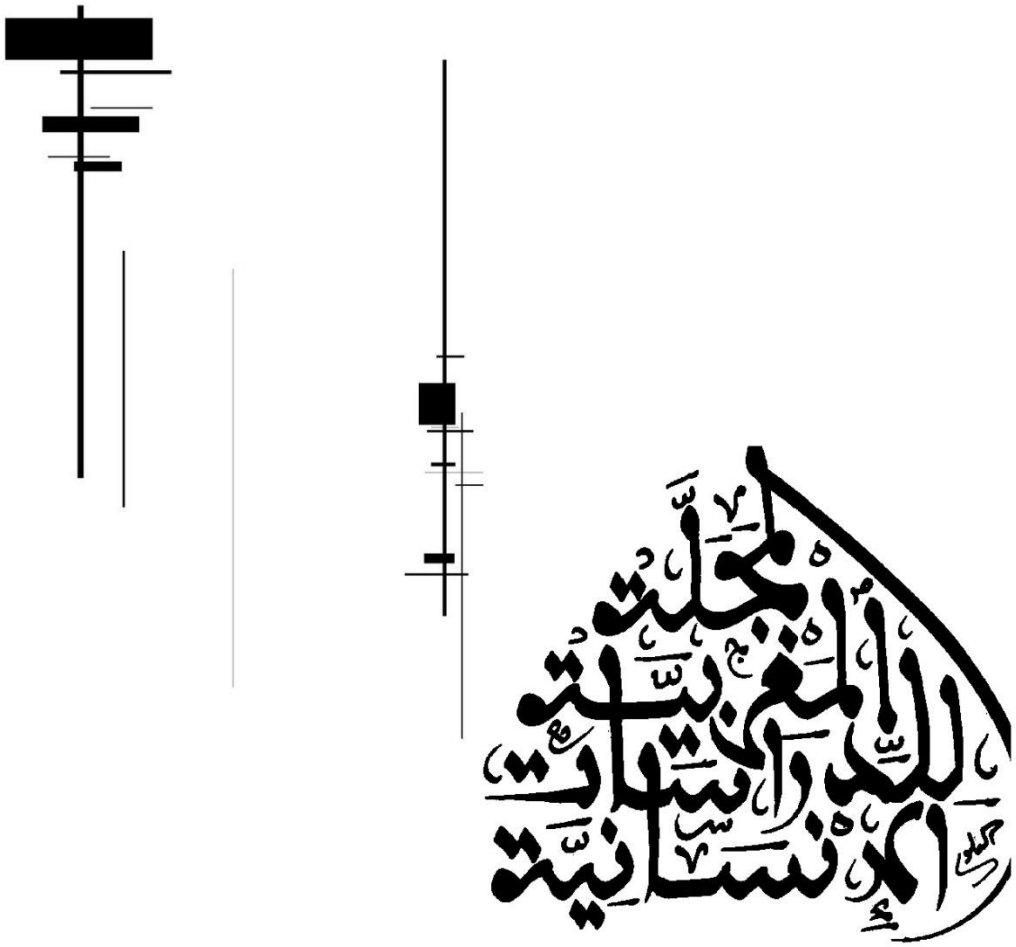
المجلة المغربية للدراسات النفسية

الفكر النقدي الحديث عند عبد الله كنون ، المفاهيم النقدية القضايا الأدبية

د. فؤاد الكُميري ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ملخص :

يتناول هذا المقال جانبا من مساهمة عبد الله كنون في مجال الدراسة الأدبية والتنظير النقدي في مرحلة دقيقة مربها الأدب والنقد بالمغرب أطرتها أولا تأثير الحداثة التي حاول هدم البنيات التي تأسس عليها الادب والنقد منذ نشأته، وتأثرت ثانيا بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدها المغرب في ظل الاستعمار الذي أجل النهضة الأول بالمغرب لسنوات، في ظل هذه الشروط حاول ذ.كنون تأصيل مجموعة من المفاهيم كالأدب والنقد وطرح عدة قضايا تؤرق بال النقاد والمبدعين بضميرحي كمسألة تهميش الأدب المغربي وتوحيد الدراسة الأدبية على مستوى الوطن العربي وغيرها من القضايا التي لم يسع المجال لتناولها.

ملخص للمقال باللغة الفرنسية:

Cet article traite l'aspect de la contribution d'Abdellah Kanoun dans le domaine de l'étude littéraire et de la théorie critique, dans une étape délicate que la littérature et la critique ont traversée au Maroc, cette étape a été encadrée par l'influence de la modernité, qui a tenté de détruire les structures de la littérature et de la critique littéraire arabe, et d'un autre côté, affectée par les facteurs sociaux, économiques et politiques au Maroc et surtout Le colonialisme qui a reporté la première renaissance au Maroc pendant des années,

dans ces conditions, « Abdellah Kanoun » a déterminé un ensemble de concepts tels que la littérature,la poésie et la critique, d'un autre coté il a trouvé

des réponses aux plusieurs questions qui dérangent l'esprit des critiques et des créateurs, comme la question de la marginalisation de la littérature marocaine,et l'unification de la littérature arabe...

مقدمة:

اعتبر الأدب ونقده في مختلف العصور بالوطن العربي جزء مهما من ثقافة شعوبه، يعكس أفكارها ومشاعرها وهواجسها وموا قفها، فتعددت أنواع الإبداع الأدبي وترسخت خصائصها الفنية شكلا ومضمونا، وتشكلت طرق مقاربتها ونقدها، لكن مع بداية القرن العشرين عرف الأدب والنقد العربي تحولات مهمة شملت بنياته، مرجعياته وآليات اشتغاله.

وإذا كانت هذه التحولات، وبتعبير أدق هذا التغيير والتجديد، قد شمل الإنتاج الأدبي والفكر النقدي بالوطن العربي ككل، فإن المغرب لم يستثنه هذا التجديد رغم تأخر نهضته الحديثة بسنوات قليلة عن المشرق العربي.

وإذا كان هدفنا في هذا المقال هو البحث عن خصائص الفكر النقدي الحديث عند عبد الله كنون، في مرحلة مهمة من تاريخ النقد بالمغرب: مرحلة التأسيس للمشروع النقدي الحديث.فإننا سنسعى من خلال إلى الإجابة على جزء من التساؤلات الكثيرة التي يطرحها هذا النقاش على أساس تدارك مقاربة الأسئلة المتبقية في مقالات لاحقة إنشاء الله، وأولى هذه التساؤلات:كيف تناول ذ. عبد الله كنون المفاهيم الأدبية في بدايات المرحلة الحديثة؟ وما هي تجلياتها في منجزه النقدي؟وماهي موا قفه من القضايا الأدبية والنقدية التي تناولها؟وأخيرا إلى أي حد ساهم في بناء المشروع النقدي المغربي الحديث؟

إن المقاربة الموضوعية للمنجز النقدي لعبد الله كنون تستدعي في مرحلة أولى- وهي ما سنتناوله في هذا المقال-دراسة الجانب النظري الذي يضم مو اقفه وتصوراته النقدية ومختلف الزوايا التي تناول منها الأدب. وتتطلب في مرحلة ثانية– في مقالات لاحقة- دراسة تطبيقية لأهم أعماله النقدية تشمل نماذج من دراساته التاريخية للأدب ومقالاته النقدية مع استحضار الدور الذي لعبته في توجيه الحركة النقدية في تلك المرحلة، مع التركيز على المفاهيم والآليات المنهجية واستخلاص أهم عناصر وخصائص الدرس النقدي عند عبد الله كنون بمنهج علمي يعتمد على

الدراسة الدقيقة للوثائق والقرائن النصية واستخلاص النتائج، فضلا عن الحوار العلمي وتطوير النقاش الداخلي حول القضايا والمواضيع المطروحة، والتوسع في بعضها حسب أهميتها وعلاقتها بالعناصر الأخرى.

لقد خاض عبد الله كنون في مواضيع وقضايا أدبية ونقدية عديدة، خاصة و أنه أول من عرف بالأدب المغربي وبوأه المكانة التي يستحقها ضمن الأدب العربي، فنبه إلى الإهمال والتهميش الذي عانى منه من طرف دارسي ومؤرخي الأدب، ثم برهن على نبوغ المغاربة في هذا المجال ومساهمتهم في بناء الصرح الأدبي العربي. كما ساهم في إغناء وتوجيه النقاش في العديد من المواضيع النقدية والفكرية، في وقت كان يعيش فيه الأدب المغربي الحديث مرحلة مخاض أفرزت فيما بعد تحولات عميقة في ملامح الإنتاج الأدبي شكلا ومضمونا، واكبها نقاش فكري ونقدي سعى لتصحيح مزالق التجارب الجديدة وتوجيه الإبداع الأدبي نحو الوجهة الصحيحة. فشكلت الصحف والمجلات المتخصصة مسرحا لعرض النماذج التجريبية ونقدها، فتضاربت الآراء وتعددت المواقف وتوالت الدعوات المساندة والرافضة للتجديد، فكان لعبد الله كنون نصيب من هذا الحراك النقدي والأدبي.

وفي جانب آخر، تضمنت تجربته في التاريخ الأدبي تناوله للعديد من القضايا التي عرفها الأدب المغربي والعربي القديم والحديث، فناقشها بجرأة علمية،بل حسم النقاش في العديد منها خاصة تلك التي ظلت غامضة لفترة طويلة من الزمن، كخطبة طارق بن زياد وقضية المعتمد بن عباد ونشأة الأدب العربي بالمغرب وموجة التجديد الأدبي وغيرها من المواضيع التي ظلت ملتبسة أو مغيبة في النقاش النقدي والفكري.

1- مفهوم الأدب ووظيفته:

قدم عبد الله كنون تعاريف مختلفة للأدب، لكنها لا تخرج أغلبها عن التصور الحديث؛ فرغم ثقافته الموسوعية وتأليفه في مجالات معرفية متعددة وتشعبه بالثقافة العربية القديمة، فإن انفتاحه على العلوم الحديثة ومواكبته للتطور الذي يعرفه الفكر الإنساني بمختلف تشعباته العلمية والأدبية، مكنه من مقاربة القضايا الأدبية والنقدية وفق تصور حداثي يعكس مستوى الوعي النقدي في تلك المرحلة دون مبالغة أو تعصب لتمثلات الثقافة التقليدية المحافظة التي كانت تنظر إلى الأدب في مفهومه الشامل لمختلف أنماط الإبداع الثقافي من أدب وفقه وحديث وعلوم لغوية وكونية... لذلك نجد أولى تعاريفه للأدب تنطلق من مفهومه الخاص

الذي يضـــم الشـــعر و أنماط الكتابة النثرية المتعارف عليها، متجاوزا التصـــور التقليدي بقوله : "وأعود إلى الأدب فـأتســـاءل: ما يعني هـذا اللفظ؟... وفي الجواب لا حـاجـة بي إلى التعريج على مذاهب الأقدمين في تعريف هذا العلم وما كان يراد به عند قوم من مجموع علوم عشرة، فإنه لم يبق مجال لقبول تلك الأنظار المختلفة... ولعل خير ما يمكن أن يعرف به الأدب اليوم هو أنه كل معنى جميل في عبارة جميلة"[1].

إن هذا التصور" الجمالي" للأدب ينطلق من اطلاعه على التطور الذي عرفه المفهوم الأدب في الفترة الحديثة شكلا ومضمونا والأدوار الجديدة التي أصبح يضطلع بها، يقول عبد الله كنون: " وأما في الفترة الراهنة وهي ما نعبر عنه بالعصر الحديث، فإن الأدب أخذ يتطور شكلا وموضوعا أسـوة بما حدث في الشـرق العربي، فلم يعد قاصـرا على القصـيدة الشـعرية والرسـالة النثرية أو المقامة والخطبة وما إلى ذلك، بل اســتحدثت فيه أشــكال عديدة و أبواب جديدة من أهمها في الشــعر المســرحية، وفي النثر المقالة والأقصــوصــة والقصــة..."[2]. لقد كان للاتجاهات الأدبية والمذاهب النقدية أثرها الواضـح في تشـكيل مفهوم الأدب وتوجيهه وفق مرجعياتها النظرية ومنطلقاتها الفلسـفية؛ فالأدب الرومنسـي – مثلا- نجده يسـتغرق في الذاتية ووصـف المشـاعر الإنسانية والتغني بالطبيعة والحلم بعالم المثل، فتصبح رسالة الأديب مقدسة تؤدي إلى "الغاية التي أدت إليها رسالة النبيئين من قبل، غاية فتح الآدان الصم، والأعين العمي، والقلوب الغلف، على دعوة الحق التي تنقد البشرية من ظلالها الحديث..."[3].وبذلك يصبح الأدباء "أبطال الكفاح من أجل القيم الإنسانية العليا"[4]، وفي هذا السياق يصف ذ. كنون عمل الأديب بقوله: "فالأديب العربي في هذا العصـر يتغلغل في وصـف أسـرار النفس البشـرية ويحلل مشـاعرها العميقة، حتى يجســمها تجســيما يوشــك أن يلمس باليد، ويغوص إلى أعماق القلوب يســتخلص مكنوناتها الدفينة ويجلوها عواطف إنسانية تكاد تنبض بالحياة..."[5].

وتجاوزا لهذا التصور يكشف الدارس عن قناعات وقيم جديدة للأدب أصبح يفرضها و اقع العالم العربي، خاصــة مع تنامي الحراك الاجتماعي والاتجاهات الســياســية والحس القومي،

---

[1]- عبد الله كنون: التعاشيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص 6.

[2]- عبد الله كنون، أزهار برية،مطبعة كريماديس، 1976، تطوان، ص 14.

3- عبد الله كنون: خل وبقل،مطبعة المهدية، تطوان، د ت ص 154-155.

[4]- نفسه، ص:155.

[5]- نفسه ، ص 154.

فتوجه اهتمام الأدب إلى التجاوب مع هذه المتغيرات والتعبيرعن قضايا المجتمع والأمة من خلال خلق وظائف جديدة له وإعادة الاعتبار لمضمون العمل الإبداعي بتناوله للقضايا والقيم الإنسانية، يقول ذ. كنون: "فنحن إذا أردنا أن نجعل من أدبنا أدبا حيا ذا رسالة سامية، فلا بد لنا من إعادة النظرفي مواده وأصوله وترتيبها على حسب المقاصد والأغراض مجسمين منها كل ماله دلالة تطورية ودعوى تحررية، وموضحين للأجيال أهداف الرسالة الإنسانية التي يقوم الأدب العربي على حفظها ورعايتها"[1].

إن هذا الخطاب يهدف إلى إعادة ترتيب أولويات القيم الأدبية وتسنده نزعة فلسفية موجهة لاتجاه أدبي مختلف عن سابقة، ساهمت في بلورته الظروف الاجتماعية الجديدة والوضع السياسي الذي أصبح يعيشه المجتمع العربي تزامنا مع بوادر النهضة الأدبية والفكرية... كلها شروط منحت للأديب أدورا جديدة، فأصبح «صاحب رسالة سامية ومكانة مرموقة في المجتمع بصفته أحد قادة الفكرورائدا من رواد النهضة في العالم العربي"[2]، وصار الأدب "دعوة ومذهبا وتعبيرا صادقا عن الحياة والو اقع الاجتماعي"[3]. وهنا يستمد مفهوم الأدب عند ذ. كنون مرجعيته الو اقعية الجدلية كمذهب أدبي ونقدي ينطلق من ربط الأدب بو اقعه الاجتماعي باعتبار المبدع ينتج عمله الأدبي كفرد يعيش في مجتمع معين تجمعهما علاقة تأثيروتأثر، وتؤطر عمله مرحلة تاريخية وو اقع معين، ثم إن علاقة الأدب بالو اقع تفرض عليه تناول قضايا الإنسان في حياته الو اقعية وفي علاقاته الاجتماعية.

من خلال ما سبق، تتضح معالم مقاربة ذ. كنون للأدب، مؤطرة بالعديد من الاتجاهات والمذاهب الأدبية الحديثة التي عرفتها الثقافة الأدبية في تلك المرحلة، خلافا لبعض الدراسات السابقة التي لخصت مفهومه للأدب في تصوره التقليدي العام.[4]

2- مفهوم الشعروقضاياه:

---

[1]- المرجع السابق، ص: 158.

[2]- عبد الله كنون: أزهار برية، ص:14.

[3]- نفسه، ص: 14.

[4]- أنظر مفهوم الأدب عند عبد الله كنون، الدراسات الأدبية في المغرب الأستاذ عبد الله كنون نموذجا لأحمد الشايب.

حضي موضوع الشعر بعناية خاصة في كتابات عبد الله كنون التنظيرية نظرا للأهمية التي كان يكتسيها في الأدب العربي ولغزارة الإنتاج الشعري مقارنة مع باقي الأنواع الأدبية الأخرى. لذلك اعتبر من أولويات النقد المغربي الحديث، وشكل النقاش الذي دار حوله المعركة الأولى بين أنصار المحافظة ودعاة التجديد، ورهان إنجاح المشروع الأدبي الحداثي بالمغرب. وفي هذا السياق- الذي سبق أن شرحنا ظروفه سابقا- كان لابد أن يكون لعبد الله كنون رأي في مختلف القضايا المرتبطة بالشعر خاصة في بدايات الحداثة النقدية بالمغرب؛ كموقفه من مسألة التجديد وتقييمه للتجارب الشعرية المحافظة على قيمه التقليدية والمفهوم الجديد للشعر ووظيفته وتمثله للاتجاهات والمذاهب الأدبية المستحدثة وغيرها من القضايا التي أثارت نقاشا نقديا حادا وساهمت في بلورة قيم ووظائف جديدة للشعر العربي بالمغرب.

وقبل مقاربة مفهومه للشعر، نشير إلى أن عبد الله كنون كانت له إسهامات في هذا المجال، جمعها في ديوانه "لوحات شعرية"، إضافة إلى مشاركته في الأنواع الأدبية الأخرى كالقصة والمقالة... لذلك لا بد أن يكون تصوره للشعر مؤطرا بقناعات فكرية وأدبية، ومستمدا في نفس الوقت من ممارسته الإبداعية وتجربته الشعرية، أضف إلى ذلك التطور الذي عرفه مفهوم الشعر والأدب بشكل عام وتأثره بالاتجاهات الفنية التي وجهت مساره و أثرت في ممارسته من حيث الوظائف والأدوار التي أداها في المجتمع، وعلاقة كل ذلك مع الصياغة الفنية وما طرأ عليها من تحولات عميقة أثارت نقاشات وحوارات نقدية و اكبت مختلف مراحل نمو وتطور التجربة الشعرية الحديثة بالمغرب. لذلك فإن طرح السؤال حول مفهوم الشعر تعقبه إجابات عديدة قد تختلف عند عبد الله كنون نفسه، فبالأحرى إذا تتبعنا مختلف الإجابات التي قدمت له في الفترة الحديثة، حيث الصراع كان محتدما حول تحديد ملامح وخصائص الشعر الجيد شكلا ومضمونا...

في هذا السياق الأدبي والنقدي، سنحاول البحث عن الإجابات التي قدمها عبد الله كنون لمفهوم الشعر، والتي لا تخرج عن أحد الاتجاهين: ذاتي أو و اقعي؛

فمن جهة أولى، نجده يربط الشعر المغربي بو اقعه الاجتماعي وبدوره الوظيفي في تناول قضايا المجتمع والوطن والأمة والالتزام بالدفاع عنها، حيث أصبح وسيلة لبث الأفكار الإصلاحية وبعث الروح الوطنية و إيقاظ الضمائر الحية ونشر الوعي و انتشال المجتمع من الجهل والتخلف. وفي هذا الإطار يؤكد عبد الله كنون على أن الشعر المغربي في هذه المرحلة أصبح "له اتجاه واحد

هو حفز الهمم وإذكاء المشـــاعر وتربية الإرادة والحث على التضـحية من أجل حياة الخلود، فالشـعراء يعتبرون كقواد مظفرين يقودون جيوشـهم من معركة إلى معركة حتى يربحوا معركة النصر الأخيرة"[1]. إن الشاعر من خلال هذا المفهوم أصبح صاحب قضية ورسالة وقائدا وموجها لأفكار الشعوب ومتجاوبا مع آمالها وطموحاتها، ومجسدا لآلامها؛

ومن جهة ثانية، يرى ذ. كنون أن هذا المفهوم بعيد عن المعنى الحقيقي والأصـيل للشـعر، حيث يقول: "والشعر بهذا المعنى بعيد عن مفهومه الأدبي الأصيل، فما جعل الله الشعر إلا رجعا لصـدى الأبدية في مواكب الحياة، وشـعورا بالجمال في مجالي الطبيعة الفاتنة واسـتجابة لوحي الوحدة في الغاب وسحر الأنس في حضرة حواء وهيمانا في أودية الجمال وشغفا بتلمح الخالق في وجوه خلقه، واستماعا لصوت القدرة القاهرة في قصف الرعد وعصف الريح، ولصوتها الحنون في زقزقة العصـفور وخرير الجدول، وتوقانا ملازما مدى الحياة إلى العوالم غير المنظورة حيث تسعد نفس الشاعر وتتوالى فتوحات قلبه..."[2].

تتضـح إذن من خلال هذا النص نزعة ذ. كنون الذاتية في الشـعر، أو بالأحرى تأثره بأفكار وتصورات أنصار الاتجاه الرومانسي معتبرا أن الاتجاه الو اقعي الاجتماعي في الشعر مجرد موجهة وظاهرة ستزول و"تضعف أمام النبع الفياض التي يتفجر من قلوب الشعراء المغاربة الوجدانيين يوم يدرك الشـعب بغيته ويحقق أمنيته من نهضـته السـياسـية والاجتماعية الراهنة"[3]، ويفسـر قلة الشـعر الوجداني بالمغرب -في الفترة التي يتحدث عنها- بانشـغال الشـعراء بقضـايا المجتمع الطامح إلى تحقيق النهضـة المنشـودة في ظل الظروف السـياسـية التي كان يعيشـها؛ ففي حديث موجه لأحدى الأدبيات الإسبانيات[4]، برر ذ. كنون قلة "الشعر الفني" مقارنة مع الشعر الاجتماعي بقوله : "ولقد لمحت لك إلى أن الشـعر الذي تبحثين عنه والذي هو في نظري أيضـا الشـعر، لا يمكن أن يزدهر في هذه الآونة إلا بمقدار. فإن الشـعب المغربي اليوم في غليان لطلب حقوقه واسـتعادة مكانته في الوجود، وهو لذلك قد صـرف جميع جهوده للتنبيه والإيقاظ، فليس تم من

[1]- عبد الله كنون: نهضة الشعر بالمغرب، واحة الفكر، م.س، ص:175.

[2]- نفسه، ص: 175.

[3]-المرجع السابق، ص 176.

[4]- هي أديبة إسبانية تدعى "طرينا"، كانت تصدر مجلة للشعر مزدوجة اللغة باسم "المعتمد" بمدينة العرائش، وقد كتب لها بعدما طلبت منه نشر موضوع حول الشعر المغربي بالمجلة التي كانت تشرف على إصدارها.

يستسلم لخيال الشعرولا من يؤخذ بجمال موسيقاه الحنون..."[1] . ولذلك يبقى "شعرالكفاح والتغني بالمجد وبعث روح الغيرة والحمية في النفوس (...) هو الشعر الذي تصغي إليه الجماهير الشعبية وعلى نغمته يضرب زعماء الفكروقادة النهضة عندنا"[2].

يتضح إذن من خلال هذه القرائن أن النزعة الاجتماعية في الشعروالاستغراق في تناوله للقضايا الوطنية وتمثله لطموحات الشعب المغربي في تحقيق النهضة واسترجاع حريته وكرامته، مجرد موجة عابرة - في نظرعبد الله كنون- ومرحلة مؤقتة استدعت تجاوب الشعراء مع الجماهير الشعبية، فأصبح الشعرفي خدمة قضاياها، معبرا عن آمالها وآلامها ومدافعا عن مطالبها... أما المفهوم "الأصيل" للشعر، فهو الذي ينطلق من الذات ويعبرعن مشاعرها وأحاسيسها ويترك أثر إيجابيا لدى القارئ ويفتنه بجمالية الأسلوب والصياغة الفنية، إنه الشعر الذي "يهز المشاعر ويضرب على أوتار القلوب ويكون تعبيرا صادقا عن عواطف النفس التواقة التي لا تستطيع التعبير..." [3]، وهذا النوع من الشعرهو الذي استحسنه عبد الله كنون. في مقابل ذلك، استهجن نوعين آخرين: الأول "يبهج ويطرب ويكون كالملهاة يلامس شعورك ويداعب وجدانك من غيرأن يعنيك بما لا يعنيك"[4]، والثاني "ثقيل غث يغثي النفوس وتهاض منه القلوب"[5].

يتأسس إذن مفهوم عبد الله كنون للشعرعلى الذوق وقدرة الشاعرعلى ترجمة العواطف والمشاعرالإنسانية، وما يتطلبه ذلك من جمالية في الصياغة الفنية، وقدرة على التأثيرفي المتلقي وترجمة مشاعره، وبذلك لا يمكن فهم هذا التصورإلا في السياق الوجداني في مقابل السياق الاجتماعي الذي اعتبره "موجة عابرة".

وإذا ما تأملنا في النقاش النقدي حول الشعرفي بداية الثلاثينيات من القرن العشرين بالمغرب، نجد هذا المطلب الذي كان يدعو إلى ربط الشعربالوجدان، باعتباره أحد عناصر التجديد الشعري التي تتجاوب مع روح العصروذوقه الأدبي، وفي هذا السياق نستحضرما كتبه محمد بن العباس القباج حول الشعرعندما وصفه "بترجمان العاطفة"، فقدم تعريفا قريبا من تصورعبد الله كنون بقوله: "إن الشعردموع القلوب وذوب الأفئدة وفيض الشعورولا يزال هو

---

[1]- عبد الله كنون: أزهار برية، ص: 185-186.

[2]- نفسه، ص 186

[3]- عبد الله كنون: واحة الفكر، ص169.

[4]- نفسه ، ص :169.

[5]- نفسه، ص 169.

تلك النسمة العلوية والنفحة الطيبة التي تهب على القلوب فتنسيها الهموم، وتجلي عنها الغموم.."[1]، وبذلك يكون الاتجاه العام للشعر في تلك المرحلة – من منظور دعاة التجديد- يرتكز أساسا على الجانب الوجداني وما يحدثه من تأثير سيكولوجي في نفسية المتلقي. ثم توالت دعوات المجددين بعد ذلك للشعراء إلى الاهتمام بالعالم الخارجي وتناول قضايا المجتمع تجاوبا مع ظروف المرحلة والاهتمامات التي كانت تشغل بال الشعب في تلك الفترة. وهي كلها إشارات تدل على الأدوار الجديدة التي أصبح يلعبها الشعر في مرحلة التحول نحو الحداثة والتي شغلت التفكير النقدي وشكلت عناصر للخطاب النقدي حول الشعر.

3- القضايا الأدبية والنقدية

أ- نشأة الأدب المغربي:

تناول عبد الله كنون موضوع نشأة الأدب المغربي في سياق الدراسة التاريخية للأدب، والتي اكتست طابع الشمولية من حيث الامتداد الزمني الذي يؤطر الإنتاج الأدبي المغربي المكتوب باللغة العربية من بدايته إلى عهد المرحلة الحديثة، وقد استدعى الخوض في موضوع كهذا جرأة وموضوعية ودقة علمية، في وقت كانت تحوم الشكوك حول العديد من القضايا المرتبطة بالبدايات الأولى لتاريخ الإبداع الأدبي بالمغرب، كخطبة طارق بن زياد التي تضاربت الآراء حول صحتها باعتبارها نصا شفهيا مرتجلا يملك من الفصاحة والبلاغة ما يجعل الدارسين للأدب يعجزون على تفسير قدرة هذا القائد "البربري" على تعلم اللغة العربية و إتقانها والإبداع فيها في وقت وجيز... كما أن نبوغ سابق "البربري" في مجال الشعر العربي طرح أسئلة عديدة وجديدة، استدعت إعادة التفكير في العديد من الحقائق حول أصول "البربر"[2] -سكان المغرب الأصليون- ونبوغهم وسرعة تعلمهم للغة العربية، وغيرها من القضايا التي استدعاها السياق التاريخي للأدب.

الحديث عن " النشأة" إذن، لم يتطلب فقط البحث عن أولى النصوص الإبداعية التي كتبت باللغة العربية، بل واكبته عملية تحقيق لهذه الآثار واستقصاء في مدى صحتها و انتسابها لأصحابها و اتخاذ الموقف الصائب المستند على الحقائق العلمية والتاريخية، لذلك لم تكن

[1]- محمد بن العباس القباج: هل يسمع شعراؤنا، مجلة المغرب ، ع 21، س3، 1934.

[2] نسبة إلى بر بن قيس بن كهلان، وسمي بربر لأنه خرج مغاضبا لأبيه ولإخوته فقالوا: بربر أي: أخذ البرية... أنظر عهد مازيغ لأبنائه: خل وبقل، م س، ص6.

مسألة الحسم في صحة خطبة طارق بن زياد – مثلا- و انتسابها إليه أمرا سهلا بالنسبة لعبد الله كنون، إذ تطلب منه الأمر عملية بحث واستقصاء وحشد للأدلة والحجج التي تؤسس لر أيه؛ فبعد حديثه عن "استعراب المغاربة "[1]، ودور الفاتحين في تلقينهم تعاليم الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم، وتثبيت دعائم الحضارة الإسلامية بالمغرب، خلص إلى أهم نتائج هذه الجهود بقوله: "وهذه كلها محاولات كان لها نتيجتها الطيبة و أثرها المحمود في سرعة استعراب المغاربة وطبعهم بالطابع العربي الصميم، كما شوهد ذلك يوم فتح الأندلس، حيث خطب طارق بن زياد (...) خطبته المشهورة في جيشه الذي أناف على اثني عشر ألف جندي، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب، ففهمها الجيش كله و أثرت فيه تأثيرها البليغ(...) فكيف يفسر هذا بغير سرعة انتشار العربية كالسرعة التي انتشر بها الإسلام؟"[2]. فانجلت بذلك الشكوك التي كانت تحوم حول هذا النص النثري البليغ والفصيح، خاصة بعد التأكد من نشأة طارق بن زياد ذي الأصل البربري في بيئة عربية إسلامية بالمشرق، حيث أن أباه هو من أسلم أولا، بدليل أن اسم "زياد" ليس بربريا، واعتبر من مسلمي الفتوحات الأولى، ثم انتقل إلى المشرق وعاش في بيئة عربية، فولاه بعد ذلك موسى ابن نصير..

وبذلك يكون ذ. كنون قد قدم "رو اية" منطقية تؤكد صحة الخطبة وتفسر تميزها وتبرر نبوغ صاحبها، فاتضحت الرؤية لدى المشككين خاصة المشارقة منهم؛ فقد عبر شكيب أرسلان عن اقتناعه بالتصور الذي قدمه عبد الله كنون ودوره في إزالة اللبس وتوضيح الغموض حول هذه القضية بقوله: "لم أكن مستريح البال من جهة إتقان طارق للعربي الفصيح وبلوغه فيه هذه الدرجة العليا، وكان يحز في صدري أن تلك الخطبة كانت بلاغتها في المعنى، و إنما وضعها رواة العرب في هذا القالب الفصيح الذي سحر الألباب، ومازلت مترددا في هذا حتى جاءني ثلج اليقين على يد الأستاذ عبد الله كنون الذي جزم بأن هذه الخطبة النادرة إنما كانت من جملة ثمرات انطباع البربر بالطابع العربي البحث"[3].

---

[1]- أنظر النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط4، ص 41-42-43.

[2]- نفسه، ص 42.

[3]- المرجع السابق ، ص:23.

خطبة طارق إذن اعتبرت لدى الدارس أولى النصـــوص النثرية التي يمكن أن تمثل نبوغ المغاربة في الأدب العربي، ومساهمتهم المبكرة في بناء صرحه وإغناء رصيده الإبداعي، وهي كذلك من حيث الدراسة التاريخية للأدب أولى النصوص النثرية للأدب المغربي المكتوب باللغة العربية.

موضـــوع "النشـــأة" كذلك، كان من أســـئلته الأســـاســـية عند عبد الله كنون: ماهي أولى النصوص الشعرية التي كتبها المغاربة باللغة العربية؟ ومن هم أولى الشعراء الذي نبغوا في الشعر العربي بالمغرب؟

أشار الأستاذ كنون في سياق الدراسة التاريخية للأدب إلى صعوبة الإجابة على مثل هذه الأسئلة، نظرا للغموض الذي عرفه "عصر الفتوحات" من الناحية الأدبية، وغياب النصوص في المراجع والمصادر باستثناء بعض الأبيات القليلة التي كانت تدون في سياق المنازعات السياسية والمذهبية، وقد قدم في مؤلفه "النبوغ المغربي في الأدب العربي" بعض النصـــوص التي نســـبها إلى كل من إدريس الثاني وولده القاسم، ابراهيم المؤبل... وغيرهم.

لكن المقالات التي كتبها فيما بعد حول نفس الموضـــوع وضـــحت الكثير من المواضـــيع التي ظل يلفها الغموض، وأجابت على الأسئلة التي ظلت معلقة بدون إجابات مقنعة، وفي هذا الإطار اعتبر "ســـابق البربري" أول من نبغ من هذا المغرب العربي بقول الشـــعر في لغة الضـــاد والإجادة فيه"[1]، حيث بحث في أصله ونشأته، فنسبة إلى "مطماطة" التي تعتبر إحدى قبائل زناته المنتسبة بدورها إلى بربن قيس عيلان، واعتبره من التابعين وممن سكنوا دمشق ... ثم ذكر بعض أشعاره التي تؤكد نبوغه المبكر بفضل اتصال "البربر" بالعرب.

إن تناول الدارس لقضية "سابق البربري" كان مناسبة لطرح موضوع أكثر أهمية و إبدائه رأيه فيه، وهو ربط نســـب القبائل البربرية بالأصـــول العربية، فاعتبر "ســـابقا" حجة ودليلا على صحة هذا الرأي بقوله : "وهذا النبوغ المبكر على إثر اتصال البربر بالعرب إن دل على شيء، فإنما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية إلى الشعب العربي، وصدق النسابة الذين يرجعون البربر إلى أصول عربية من عدنانية وقحطانية"[2]، ويستشهد بأبيات " لتماضر بنت قيس عيلان" رثت فيها أخاها "برا" وذكرت فيها بعده عن وطنه بقولها:

---

[1]- عبد الله كنون: خل وبقل، م س، ص 12.

[2] - المرجع السابق، ص 13.

كَأَنِّي وَبَرًّا لَمْ تَعزُ دِيَارَنـــَا بِنَجْدٍ وَلَمْ نَقْسم نَهابًا وَمَغْنَـــَما

وشطت بِبَرّدَاره عَن بِلَادِهِ وَطَرَحَ بـــَرٌّنَفْسَهُ حَيْثُ يَمـــمَا

وأَزَرَتْبِبَر لَكْنَةٌ أعْجَميَّة وما كان بَرّفي الحِجازِأَعْجَما

فذكرها لتعلمه لكنة أعجميه دليل على تعلمه للغة/ لهجة غير عربية أثناء هجره لوطنه، لكن بعد عودته إلى أهله تفتق لسانه بلغته الأم، فنبغ في الشعر العربي... وبهذه الرواية وغيرها من الحجج[1]، يؤكد الدارس صحة انتساب القبائل "البربرية" للعرب، ويفسر سرعة نبوغهم في مجال الإبداع الأدبي باللغة العربية، فيصبح "سابق" بين عشية وضحاها من أشعر أهل زمانه، وطارق من أفصح خطبائهم"[2].

ودعا في نفس الوقت الباحثين إلى الاهتمام بقضية "عروبة البربر" خاصة المتخصصين في مجال علم النفس وعلوم اللغة، وتوجيه جهودهم إلى دراسة اللهجات المحلية من الناحية الفيلولوجية، والبحث في العلاقات والخيوط التي تجمعها باللغة العربية.

ب- التعريف بالأدب المغربي ومعركة إثبات الذات:

طرحت منذ الثلاثينات من القرن العشرين إشكالية الهوية الأدبية المغربية، وطفت على السطح أزمة حضور/ وجود الأدب المغربي ضمن الأدبين العربي والعالمي، حيث أصبحت الفئة المثقفة "تنظر إلى الإنتاج الفكري في أمم العروبة، والإنتاج العالمي في أمم الأرض الأخرى وتتساءل: أين إنتاج المغرب من هذا وذاك؟"[3]. إن غياب الأدب المغربي عن المشهد الثقافي العربي بشكل عام في تلك المرحلة يعود لأسباب عديدة، منها قضية التهميش التي ذكرها عبد الله كنون في مقدمة كتابه "النبوغ المغربي في الأدب العربي"، مشيرا إلى الإهمال الذي عانى منه أدب المغرب في كتب تاريخ الأدب العربي، حيث يذكر مؤلفوها بطولات وأمجاد السلاطين في المعارك والجهاد، ولا "يعيرون اهتماما لرجال العلم والأدب، ولا يعرجون على ما كان لهذا الوطن العزيز من صولة في

[1]- أنظر مقال آخر لعبد الله كنون بعنوان: عهد مازيغ لأبنائه نشر في كتابه خل وبقل، يؤكد صحة انتساب القبائل البربرية للعرب.

[2]- عبد الله كنون: خل وبقل ، م س، ص 13.

[3]- سعيد حجي: خطوة عظيمة في تاريخ الفكر المغربي، جريدة المغرب ع 8، س2، 1938.

عالم الفكروميدان العرفان"[1]، في حين مكنه العمل الذي قام به من تنقيب وبحث، من اكتشاف "كنوزعظيمة من أدب لا يقصرفي مادته عن أدب أي قطرمن الأقطارالعربية الأخرى".[2]

تفاعلا مع هذاالرأي، ومن خلال تتبعنا لتاريخ الأدب المغربي نخلص إلى النتائج التالية:

➢ تناول عبد الله كنون لقضـية تهميش الأدب المغربي لم تثرالانتباه فقط لمؤلفه في تاريخ الأدب، بل كانت محفزا وباعثا على الاهتمام بالأدب المغربي ككل والاعتراف به كمكون أسـاسـي من مكونات الأدب العربي، وفتح المجال للدارسين والنقاد لتناول قضاياه الأساسية والمساهمة في تطويروتجديد آليات وصـيغ الإبداع الأدبي، كما أن طرح الموضـوع في السـاحة الأدبية العربية فتح الباب على مصراعيه للتفاعل الأدبي والثقافي بين الشرق والغرب.

➢ إهمال الأدب المغربي من طرف مؤرخي الأدب بالمشـرق لم يكن السـبب المباشـروالوحيد لتهميشه، بل تظافرت عدة عوامل على ذلك:

أولا: غياب التدوين حيث لم يهتم المغاربة عبرالتاريخ بعملية جمع وتدوين التراث الأدبي، ومن قاموا بذلك كانوا يحتفظون بأعمالهم لأنفسهم ولا يعملون على تعميم الاستفادة منها.

ثانيا: ارتباط الفكروالأدب بالسـلطة السـياسـية، حيث دأبت أغلب الدول التي تعاقبت على الحكم بالمغرب على توجيه الفكروالأدب والتحكم في إنتاجه بما يخدم مصالحها السياسية ويمجد بطولاتها .

ثالثا: الأدب كان مكملا فقط لثقافة العالم والفقيه ولم يتبوأ صـدارة أولويات الثقافة المغربية عبرالتاريخ إلا مع بداية الفترة الحديثة.

رابعا: سـياسـة الانغلاق التي فرضـها المغرب على نفسـه في عهد الدولة العلوية حماية لوحدته واستقراره فوتت عليه الفرصة المبكرة للتلاقح الثقافي مع الغرب والشرق، وحالت دون انتباه المشارقة لمنجزه الأدبي.

هذه الأسباب وغيرها هي التي جعلت الوضع الأدبي بالمغرب يبدو غامضا ومتأخرا، فكانت مبادرة عبد الله كنون الأولى من نوعها لملء هذا الفراغ، وتعريف المشارقة بما يوجد في المغرب من إبداع أدبي سواء من حيث غزارة ووفرة الإنتاج أو من حيث تميزه، كما اتجهت مساعيه إلى تجاوز ثنائية القطب والهامش التي تعتبرالمشـرق مركزالإشـعاع الأدبي والمغرب قطرا تابعا مسـتهلكا لما

[1]- عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي، م.س، ص7.

[2]- نفسه، ص7.

ينتجه من ثقافة و إبداع. فكان موقفه صـــائبا في تجاوز هذه النظرة من خلال إبراز نبوغ المغاربة ودورهم في بناء وتشـــييد الصـــرح الأدبي العربي. إن إثارة إشـــكالية التهميش التي يمكن اعتبارها موقفا ذكيا وجريئا في نفس الوقت، ســـاهم إلى حد كبير في لفت انتباه الفاعلين في الحقل الأدبي والنقدي بالمشـرق وتوجيه اهتمامهم للنشـاط الأدبي بالمغرب في مرحلة الحراك الفكري والنقدي الذي كانت تؤطره أفكار الحداثة، وفي توطيد الصـــلة الثقافية مع المشـــرق العربي وفتح قنوات وجسور التواصل بين رواد الحركة الأدبية والنقدية.

وقد اســتطاع ذ. كنون أن ينتزع اعتر افات ومو اقف مســاندة لر أيه، من بينها القراءة التي خص بها شـكيب أرسـلان كتابه "النبوغ المغربي"، والتي نشـرت في مقدمة الطبعة الر ابعة، حيث قدم تبريرات موضـوعية لقضـية التهميش واعترف بنبوغ المغاربة ومسـاهماتهم القيمة في الإنتاج العربي قديما وحديثا، لذلك اعتبر مطالبتهم بالمكانة التي يسـتحقونها حقا مشـروعا بقوله : "ومن أول ما شـــغل المؤلف به ذهن القارئ قضـــية خفاء الأدب المغربي على المشـــارقة و إنكار كثير من هؤلاء لكثير من مز ايا إخوانهم المغاربة، وهو غير ملوم في الاحتفال بهذه القضـــية، وفي كونه نص عليها في أول كتابه، لأن للمغاربة حق في المطالبة بمكانهم في الأدب العربي الذي هم من جملة حملة ألويته، بل من نخبة عمار أنديته، ولكن الأمر على حد ما قال الشاعر:

والنّجْمُ تستصْغِرُ الأبصارُ صورتَهوالذيل للطَّرْفِ لا للنجمِ في الصّغَرِ"[1]

إن هذا الاعتراف يؤكد صـــواب الموقف وتحقق الهدف من طرحه، وهو ما جعل ذ.كنون يتبوأ صدارة المدافعين عن الأدب المغربي والمعرفين به في الوطن العربي، فكان له الفضل في فتح باب البحث فيه ودراســـته باعتباره جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، متجاوزا كذلك للنظرة الإقليمية التي كانت تعرقل جهود الباحثين في الاهتمام بالإنتاج الأدبي لهذا القطر الذي عبر مفكروه عن انتمائهم القومي ودفاعهم عن الوحدة العربية وقضاياها الأساسية.

ج- وحدة الأدب العربي:

إن تناول عبد الله كنون للأدب المغربي لم يكن بهدف تمييزه عن الأدب العربي، بل من منطلق إبراز دور الأدباء المغاربة ومســـاهمتهم في بناء صـــرحه ونبوغهم في مختلف أشـــكال تعبيره ومشـاركتهم كذلك في النهضـة الأدبية العربية وبناء المشـروع الحداثي، لذلك جاءت جل مو اقفه

[1] - شكيب أرسلان: عرض وتحليل لكتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي، نشر بمقدمة النبوغ المغربي في الأدب العربي،م س، ص18-19

ذات توجه وحدوي يلغي الفوارق ويمد الجسـور ويبحث في الصـيغ التي تقوي لحمة الأدب العربي وتوحد مسـارات الدراسـة الأدبية، وتنفي الفوارق الاعتبارية بين آداب الأقطار العربية؛ فالأدب العربي- في نظر ذ. كنون- "وحدة لا تتجزأ في جميع بلاده بالمغرب والمشـرق، وفي الأندلس وصـقلية المفقودتين (...) هو أدب واحد تشـارك في إنتاجه بلاد متصـل بعضـها ببعض، كانت في وقت ما محكومة بحاكم واحد، ولم تزل بعد اسـتقلال بعضـها عن بعض تحكم بقانون واحد، ثم هي متشـابهة في التكوين والخلق والمزاج، واللغة التي تعبر بها عن أفكارها وخواطرها وحاجاتها: واحدة. فكيف لا يكون لها أدب واحد؟"[1].

بهذا السـؤال الاسـتنكاري يجيب ذ. كنون عن إشـكالية وحدة الأدب العربي بعد حشـد العناصر المشتركة المؤثرة في إنتاجه، والتي من المفروض أن تقدم أدبا واحدا خاصة و أنه ينهل من نفس التراث الأدبي والثقافي؛ "فالمعاني والأفكار، بل القوالب والأسـاليب هي نفسـها التي يتداولها الجميع، لأن الرصـيد الأدبي واللغوي معا تراث مشـاع بين أبناء هذه الأقطار كلها، ما طرف منه أو تلد، وما قدم أو حدث، كله معهود لديهم، متعالم بينهم، إليه يرجعون ومنه ينفقون"[2]، وهذا ما يفسر "التجاوب" الفكري والأدبي بين المبدعين والدارسين للأدب، لأن الدراسة الأدبية لم تخضع للتمييز والتقسـيم إلا مع بداية الحداثة التي سـمحت بظهور بعض التصـورات المرتبطة بتاريخ الأدب، والتي تقسمه وفق العوامل المؤثرة في إنتاجه كالعرق والبيئة والزمن...

لذلك فهو يؤكد على وحدة الأدب مثلما يؤكد على توحيد طرق دراسـته والنظر إليه في شموليته دون إخضاعه لتقسيمات وفقا للعامل الجغرافي أو السياسي، يقول ذ. كنون: "وهكذا رأينا أئمة الأدب العربي فيما مضى يدرسون هذا الأدب ويخضعونه للبحث على أنه وحدة شاملة لا تفرقة بينها (..) فلما أخذنا نحن بدعة الوطنية الضـيقة ومعها تاريخ الأدب حسـب الأقطار والعصـور عن أوربا، جعلنا نلتمس العلل والأسـباب لتميز أدب كل قطر عربي عن أخيه، وربما كانت تلك الأسـباب والعلل أوهن من خيط العنكبوت.."[3]؛ فالمبررات التي ارتكز عليها تقسـيم الأدب العربي غير مقنعة، لكونها –في نظره- مجرد تقليد لمنهج البحث التاريخي في الأدب الأوربي من حيث الشـكل دون الجوهر، الأمر الذي يتعارض مع مقومات الثقافة الأدبية العربية ويؤدي إلى نتائج معاكسة لقضاياها الجوهرية، خاصة وأن الأدب أصبح مرتبطا أكثر بواقع الأمة العربية

[1]- عبد الله كنون: خل وبقل، م.س، ص 148.

[2]- نفسه، ص 149.

[3]- المرجع السابق، ص150.

ومعبرا عن آمالها وآلامها، تتمثل فيه الحياة الإنسانية بأهوائها ومطامحها، وأضحى الأديب صاحب رسالة وقائدا للفكر وموجها له..

لذلك عبر عن موقفه الرافض لأفكار دعاة "القومية الضيقة"، ومعهم " أصحاب النظرية الإقليمية في الأدب" الذين سعوا إلى تمييز "كل قطر عربي عن أخيه بمميزات لا وجود لها إلا في خيالهم، واستحدثوا من المذاهب الفكرية والنقدية ما زعموا بأنه سيكون قوام هذا التمييز"[1]، فلم يكتب لهذا الاتجاه النجاح والاستمرار، لكون الفوارق الطفيفة التي تميز المجتمعات المحلية في العالم العربي لا تبلغ من القوة ما يجعل الأدب يختلف من منطقة لأخرى رغم التحولات الجوهرية التي مست قيمه في مرحلة الحداثة؛ فنهضة الأدب الحديث ساهمت فيها جميع البلدان العربية، وتوفرت لها نفس الشروط والأسباب رغم التفاوت الزمني الطفيف بين الشرق والغرب، كما أن تفاعل الأدباء والمفكرين اتسع مجاله ليشمل جميع أقطار العالم العربي، فكانت مساهمة الجميع في تحقيق الطموح العربي بمنطق الوحدة لا التجزيئ.

خاتمة:

لقد تناول الأستاذ كنون العديد من القضايا الأدبية والنقدية بجرأة علمية وشجاعة أدبية، فقدم تصوره للمفاهيم الأدبية من منظور شمولي لم تؤثر فيه موجهات التغيير التي كان يشهدها المشهد الأدبي والنقدي بالمغرب في تلك المرحلة،فضلا عن مواكبته للحركة النقدية بالمشرق وتتبعه لمستجداتها من خلال تفاعله مع رواد النقد العربي وإلمامه بالقضايا والمواضيع التي كانت تتداول في الساحة النقدية العربية، فسعى من خلال آرائه ومواقفه إلى إبراز دور المغرب في بناء الصرح الأدبي والنقدي العربي، وهذا الدور الطلائعي بوأه المكانة العلمية التي يستحقها عربيا، وما تكليفه بتدريس الأدب المغربي الحديث بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة إلا اعترافا بالمجهود الذي قام به في مجال الدراسة الأدبية والنقدية بالمغرب.

ورغم الحياد الموضوعي الذي اتسمت به أغلب دراساته الأدبية والنقدية فإنه لم يسلم من المشاركة في معركة التجديد التي شهدها النقد والادب بالمغرب مع مطلع المرحلة الحديثة، فكان له دور أساسي في بلورة المشروع النقدي الحديث بالمغرب ورسم ملامح الأدب الجديد، وهو موضوع سنخصص له دراسة مستقلة في مقال لاحق.

[1]- عبد الله كنون: أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، م.س، ص65.

لائحة المصادروالمراجع

- ✓ عبد الله كنون: أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ط4، دار الثقافة،1984، البيضاء.
- ✓ عبد الله كنون: أزهار برية، مطبعة كريماديس، 1976، تطوان
- ✓ عبد الله كنون: التعاشيب، دار الكتب العلمية، 2015، بيروت.
- ✓ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط1 المطبعة المهدية، 1938، تطوان.
- ✓ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، 1961.
- ✓ عبد الله كنون: خل وبقل، مطبعة المهدية، تطوان، د ت
- ✓ عبد الله كنون: واحة الفكر، المطبعة المهدية، 1948، تطوان.
- ✓ مجلة المغرب:
  - سعيد حجي : خطوة عظيمة في تاريخ الفكر العربي ، عدد 8 ، س 2 ، 1938.
  - حمد بن العباسالقباج :هل يسمع شعراؤنا ؟ ، عدد 21 ، س3 1934

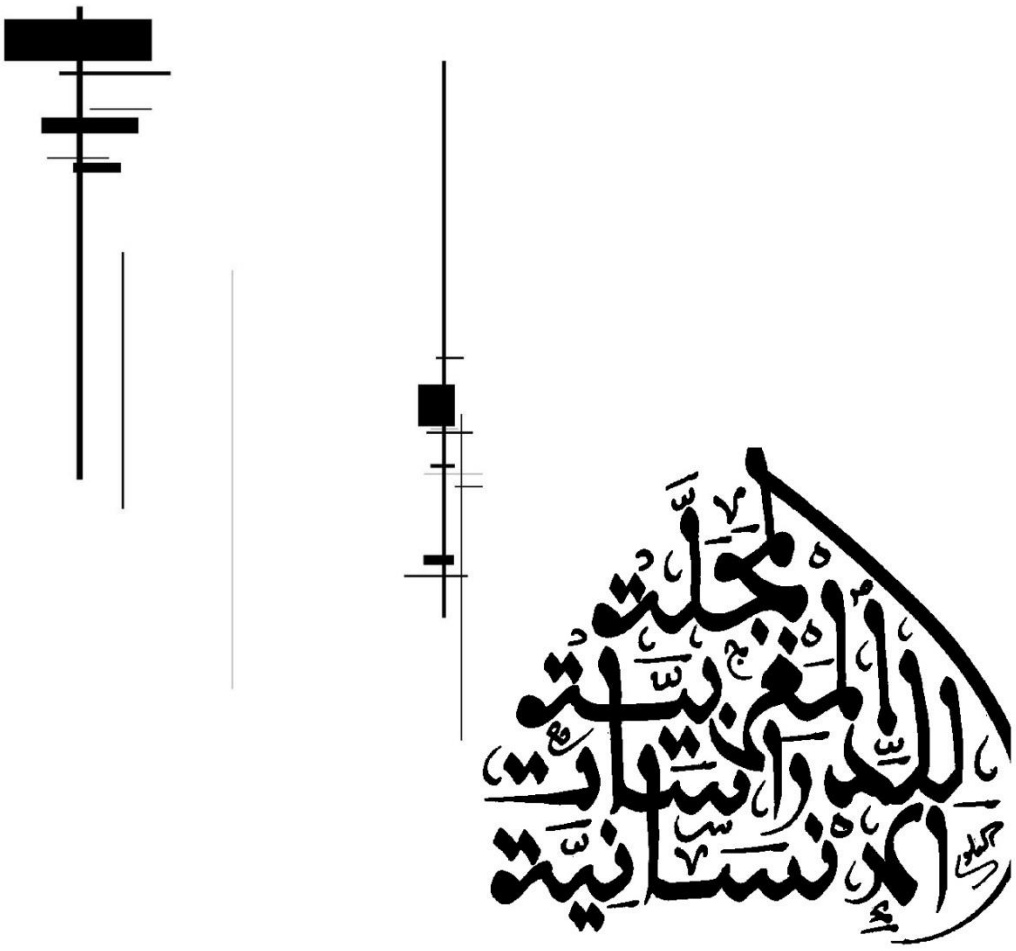
مجلة
المغربية
للدراسات
النفسية

اللغة العربية والتاريخ في الغرب الإسلامي

د/ ماجدة مولود رمضان الشرع، الأستاذ المساعد في التاريخ الإسلامي جامعة طرابلس- ليبيا

ملخص

شهدت بلاد الغرب الإسلامي خلال السنوات الأولي للفتح العربي لها بوادر أولية لنشر الإسلام بين مدنه وقراه وبواديه ؛ لغرض إعلاء كلمة الحق والتوحيد وإزالة المعتقدات الوثنية البالية والتي أثرت في عقول أهالي المغرب وجعلت حياتهم ومعاملاتهم اليومية مرهونة بخرافات أسطورية وهى ليست من الواقع بشئ إلي أن جاء الفاتحين العرب المسلمين في القرون الأولي من الهجرة النبوية لبلاد المغرب ، حيث عملوا على بسط سيطرتهم العسكرية ومقاومة كل من هو معارض لنشر الدين الجديد .

ومن خلال ما عُرض قمنا بتقسيم هذا المحور" اللغة العربية والتاريخ في الغرب الإسلامي " والذي سيكون مشاركتنا البحثية به في العدد الأول من المجلة المغربية للعلوم الإنسانية – إلي ثلاث نقاط وهي:

- الأصل التاريخي لانتشار اللغة العربية في الغرب الإسلامي .
- دور الحواضر المغربية في نشر اللغة العربية .
- دور المؤسسات التعليمية والثقافية في نشر اللغة العربية

Axis summary of the Arabic language and history in the Islamic West

During the first years of the Arab conquest, the Islamic countries of the West witnessed initial signs of spreading Islam among its cities, villages, and valleys. For the purpose of upholding the word of right and unification and removing obsolete pagan beliefs that have affected the minds of the people of Morocco and made their lives and daily transactions dependent on mythical myths which are not from reality until the Muslim Arab conquerors came in the first centuries of the prophetic migration to the countries of Morocco, where they worked to extend their military control and resistance to all Who is opposed to spreading the new religion.

Through what has been presented, we have divided this axis "Arabic Language and History in the Islamic West", which will be our research participation in the first issue of the Moroccan Journal of Humanities - to three points, namely:

- The historical origin of the spread of the Arabic language in the Islamic West.
- The role of Moroccan cities in spreading the Arabic language.
- The role of educational and cultural institutions in spreading the Arabic language

توطئة:

كان للفتح العربي الإســلامي لبلاد المغرب خلال القرون الأولي من الهجرة دوراً كبيراً في عملية نشــروترسـيخ الدين الإســلامي بين ســكان المنطقة ومن تم تدعيم الكيان اللغوي للغة العربية بشـكل واسـع على كل تقسـيمات بلاد المغرب (الأدنى – الأوسـط – الأقصـي) ، فسـاهم هذا بدوره في انتقال العلوم بمختلف أنواعها العقلية والنقلية إلي المنطقة المذكورة .

في هذا المحوروالموســوم " اللغة العربية والتاريخ في الغرب الإســلامي " والذي اخترناه ؛ للمشــاركة البحثية في العدد الأول من المجلة المغربية للعلوم الإنســانية ، تم تقســيمه إلي ثلاث نقاط محورية على النحو الأتي :

- **الأصل التاريخي لانتشار اللغة العربية في الغرب الإسلامي .**
- **دور الحواضر المغربية في نشر اللغة العربية .**
- **دور المؤسسات التعليمية والثقافية في نشر اللغة العربية**

1. الأصل التاريخي لانتشار اللغة العربية في الغرب الإسلامي .

كان لبعض القادة العرب المسـلمين دورا كبيرا في ترسـيخ الإسـلام في بلاد الغرب الإسـلامي عقب عمليات فتحه خلال الفترة 23- 24هـ / 643- 644م وكان ذلك زمن ولاية عمرو بن العاص (19- 21هـ / 640- 642م) [1] والذي فُتحت مصــر في عهده من ثم توجه للغرب حيث [2] برقة [3] ، فكانت الفتوحات العسـكرية ونشـر الدين الإسـلامي تتم بشـكل متوازي، أسـفرت في نهاية المطاف على توطين الإسـلام بالمنطقة وتدعيم ذلك التوطين بشـخصـيات دينية فقهية ؛ غرضـها الحفاظ علي روح الإسلام بين سكان الغرب الإسلامي إضافة إلي المحافظة على الروح القتالية عند القادة الفاتحين والذين كان من ضمنهم ثمانية وأربعين من الصحابة. [4]

---

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح مصروأخبارها ، دارصادر، بيروت ، (د- ت) ، ص 44.

(2) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب ، دارالثقافة الدينية ، القاهرة ، 1988م ، 288.

(3) مدينة كبيرة صحراوية تمتازبتربتها الحمراء .

مجهول: الاســتبصــار في عجائب الأمصــار، تحقيق : ســعد زغلول عبد الحميد ، دارالنشــر المغربية ، الدارالبيضــاء ، 1985م ، ص143.

(4) أحمد القطعاني، الإهابة في من دخل البلاد الليبية من الصحابة ، مكتبة النجاح ، طرابلس ، 1998م ، ص 17- 19.

ومن هؤلاء الصحابة الذين كان لهم بصمة واضحة في نشر الإسلام واللغة العربية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عبد لله بن عباس وعبد الله بن عمر، والمقداد بن الأسود وعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان كثير الرواية عن الرسول الكريم وإذن له في رواية الحديث [1] ، إضافة إلي الفقيه والمحدث الميسوربن مخرمة وبلال بن الحارث المزني والمطلب بن أبي وداعة الشهمي. [2]

ظلت الفتوحات العربية الإسلامية خاصة في عهد القائد عقبة بن نافع [3] تؤدي دورها بشكل تام في نشر الإسلام واللغة العربية خاصة بين سكان المغرب الأصليين – الأمازيغ ، حيث قام عقبة بعمل دعوي لقبائل لواتة وهوارة ونفزاوة ونفوسة الحضرية خلال الفترة 50- 63 هـ / 670- 683م ، فكانت تلك القبائل تفضل التعامل مع العرب المسلمين عن البيزنطيين ؛ وهذا راجع إلي تشابه النمط المعيشي بين سكان المغرب والعرب من حيث طريقة السكن ونوعه واللبس [4] .

وعلى الرغم من انتشار الإسلام واللغة العربية فقد حافظ سكان المغرب على لغتهم الأم الأمازيغية [5] ، حيث كان للقائد حسان بن النعمان دوراً كبيراً في جعل اللغة العربية اللغة

---

(1) المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج1 ، تحقيق : بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م ، ص 61.

(2) المصدر نفسه ، ص 66.

(3)هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية ، قام بتعيينه معاوية بن أبي سفيان والياً على المغرب سنة 46هـ / قام بتأسيس مدينة القيروان سنة 50هـ/ 670م توفي سنة 64هـ / 684م في منطقة تهودة .

ابن الأبار، الحلة السيراء ، تحقيق : على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2008م ، ص363.

(4) من القبائل الحضرية " البرانس" باتفاق من نسابة العرب والبربر.

حول أصول هذه القبائل يُنظر إلي : ابن خلدون ، العبر ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، ج6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ص6 - موسي لقبال ، الغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ، 1984 ، ص 20 - عبد الله العروى ، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط5، 1996م ، ص 127.

(5) جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل،منشأة المعارف ، الإسكندرية، 1991م ، ص 46- 47

الرسـمية لبلاد المغرب الإسـلامي ، فكان يكتب ويحرر بها الرسائل للعمال ويكتب بها في الدواوين ويخطب بها في الجمع والأعياد فأقبل المغاربة في عهده على تعلم اللغة العربية.[1]

سـاهمت الدولة الأموية[2] وخلفائها في نشـر اللغة العربية ببلاد المغرب العربي الإسـلامي ، حيث قام الخليفة عمرو بن عبد العزيز(99- 101هـ/ 719- 720م) سنة 99هـ / 719م بإرسال عدد من العلماء والفقهاء إلي المغرب ؛ لغرض نشـر الإسـلام بين سـكان المنطقة فخص أولئك مستوى خطـاهم للبربر وذلك لتبسيط الإسـلام فكان النجاح حليفهم على المدى الطويل مما ساهم في وضع أسس الاتجـاه السني هناك بل يمكن اعتبـار هذه البعثة نواة لمدرسة المغرب[3] توزع هؤلاء العلمـاء والفقهـاء بين مدن وقرى المغرب الإسـلامي ينشـرون علومهم ويشيعون بين الناس قراءة وفهم القرآن والسـنة النبوية ، إضـافة إلي ذلك حرصـهم على بناء المساجد في المدن التي نزلوا فيها فأقبل المغاربة على الإسلام.[4]

تعمقت وتوسـعت اللغة العربية بشكل ملحوظ زمن هجرة بني هلال وسليم لبلاد المغرب العربي الإسلامي[5] ، حيث شـهد القرن السـادس الهجري / الرابع عشـر للميلاد طفرة كبيرة في تعريب القبائل المغربية مثل مثل هوارة ولواته ، وصـنهاجة على الرغم من الآثار السـلبية التي أحدثها دخول الهلاليين أول الأمر للمغرب إلا أنه يعود لهم الفضل في تعريب البلاد وتحقيق وحدة اللهجات المحلية في القرى المغربية التي لم تصل إليها قبل إشـعاعات الحضارة العربية[6] وهو

---

(1) المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 57.

(2) تم تأسـيس هذه الدولة في بلاد الشـام من قبل معاوية بن سـفيان سـنة 41هـ / 750 م عقب الخلاف الذي حدث بين المسـلين حول قضية الخلافة بعد وفاة عثمان بن عفان .

للمزيد يُنظر إلي: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م ، ص 89.

(3) نجم الدين الهنائي، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ، دار تبر الزمان ، تونس ،2004م ، 8- 15.

(4) يوسف أحمد حوالة ، الحيـاة العلميـة في افريقيـة منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الهجري ، ج1، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة ، 2000م ، ص 103.

(5) قبائل بن هلال وسـليم العربية كانت من القبائل المقيمة في شـبه الجزيرة العربية ثم انتقلت إلي صـعيد مصـر عقب قوضـي القرامطة ، تم الاسـتعانة بهم من قبل الفاطميين سـنة 441هـ / 1050م ؛ لغرض القضـاء على الإمارة الزيرية في بلاد المغرب الأدنى في عهد الأمير المعز بن باديس الذي كان رافضاً للتدخل الشيعي الفاطمي في شؤون إمارته.

للاطلاع يُنظر إلي : المقريزي ، اتعـاظ الحنفـا بأخبـار الأئمـة الفـاطميين الخلفـا ،ج1،تحقيق: جمـال الدين الشـيـال ، المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلامية ، القاهرة، 1999م ، ص 190- 214- 216- التيجاني ، رحلته بين عامي 706- 708هـ ، دار الفرجانى ، طرابلس ، (د. ت)، ص20.

(6) شارل أندري جوليان ، تاريخ شمال افريقية ، تحقيق : محمد المزالي ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م ، ص 386.

ما ساعد على انتشار اللغة العربية خاصة في الريف حيث اللغة البربرية التي لم تكن لغة علم بل لغة منطوقة والكتابة بها محدودة [1] ، ولم يقع انتشار التعريب في البوادي وفي الأرياف إلا مع قدوم بني هلال وبني سليم في منتصف القرن الخامس الهجري القرن / الحادي عشر الميلادي ؛ ويرجع ذلك إلي إن هؤلاء العرب القادمين من صعيد مصر كانوا بدواً رُحلًا في أغلبهم وقد حافظوا على نمط عيش اعتماده على التنقل وتربية المواشي أما آليات انتشار التعريب فهي مرتبطة بعوامل عدة منها الاستقرار النهائي للعرب في المنطقة المغربية ثم الضرورة الاقتصادية من خلال التعامل المالية من بيع وشراء البضائع [2] .

2. دور الحواضر المغربية في نشر اللغة العربية .

هناك عدد من الحواضر والمدن العتيقة في بلاد الغرب الإسلامي لعبت دوراً كبيراً في عملية نشر اللغة العربية ، ومن تلك الحواضر:

- حاضرة القيروان [3] بالمغرب الأدنى :

أول من فكر في بنائها هو القائد العربي عقبة بن نافع [4] ، حيث رأى أنه من الضروري بناء قاعدة ثابتة للفتح الإسلامي في إفريقية ولما عزم على بناءها قال" :إن إفريقية إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر و إني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا وقيرو اناً تكون عز الإسلام في آخر الدهر" [5] ، فكان الاقتراح في البداية أن تبنى بالقرب من البحر

(1) رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1968م ، ص283.

(2) راضي دعفوس ، دور القبائل الهلالية و السليمية في التعريب و الأسلمة في افريقية وبلاد المغرب في أواخر العهد الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، تونس ، 2012م ، ص 165.

(3) أصل التسمية التاريخية لمدينة القيروان تعود إلى اللفظة الفارسية "كروان"، والتي تعني محطة أو تجمع عسكري للدفاع عن المدينة .

ابن منظور، لسان العرب، مج 2 ، دار لسان العرب، بيروت، (د- ت) ، ص 77

(4)عقبة بن نافع القهري: بعثه معاوية إلى بلاد المغرب الأدنى في عشرة آلاف مقاتل فافتتحها واختط القيروان وبقي بها حتى غزى أقواما من البربر والروم فقتل شهيدا انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8 ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1999م ، ص 76.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج2، دار صادر، بيروت ، 1978م ، ص 482- موسي بن لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ / 11م ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1979م ، ص 29.

لكن عقبة رفضـــه لما يحمله من مخاطر من جانب الروم فتم الاتفاق على أن يكون بناؤها في موقعها الحالي فتم بناؤها سنة 50هـ / 670م [1].

ونظراً لتأســيس الصــحابة لهذه المدينة وكونها منطلق الجيوش ومهبط القراء في افريقية والأندلس أصــبحت القيروان مدينة جليلة مباركة يهابها الأعداء ويألف لها الدعاة والعلماء فقصدها الناس من كل مكان وأصبحت عاصمة المغرب السياسية والعلمية والدينية [2].

وبذلك أُعتبرت القيروان قاعدة الإسلام والمسلمين ، وفي هذا قال بخصوصها الدباغ :" فهي قطرهم الأفخر الذي أصــبح لســان الدهر عن فضــله يعرب، وبشــرفه يعرب، قرارة الدين والإيمان والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان ، قبلها أول قبلة رُســمت في البلاد المغربية وسـجد لله فيها سـراً وعلانية ناهيك بأرض ، قبلتها أول قبلة رسـمت في البلاد المغربية ، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ومحط رحالهم ومعقلهم للإسلام المقصود إليها بسيرهم و أثقالهم، والبقعة التي يخيروها مقرا للإسلام والمسلمين "[3] .

وبهذا حظيت القيروان بأهمية كبيرة في الجانب الثقافي والحضــاري إذ ظهرت أهميتها في كونها اعتبرت نقطة وصــل و اتصــال ين المشــرق والمغرب ، حيث يذكر قال فيها أحد الفقهاء والعلماء عندما كانت له رحلة علمية إلي المشرق فبعث لأصحابه بالقيروان وهو يقول: " مازالت ابحث في الآثار الأخبار إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة :المدينة، ومكة، وبيت المقدس، والقيروان" [4] .

وبذلك تمثلت أهميتها في أنها وضــعت أول قبلة للمســلمين وبني فيها أول جامع في بلاد المغرب، وكانت مستقر الفقهاء والعلماء والزهاد والصالحين[5].

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تحقيق :كولان بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط2 ، 1980م ، ص 20 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 20.

(3) الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1 ، تحقيق : محمد ماضوروآخرون ، مكتبة الخانجي (القاهرة) ، المكتبة العتيقة (تونس) ، 1979م ، ص 6-7 .

(4) القيرواني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت ، (د- ت) ، ص242.

(5) الدباغ ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 7.

وفي هذا السياق قال عنها عبد الواحد المراكشي " : وكانت القيروان هذه في قديم الزمان إلي أن خربها الأعراب دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه واليها كانت رحلة أهله في طلب العلم " [1] .

وباعتبارها مركزا للإشعاع الثقافي والديني إلى جانب أنها عاصمة سياسية لبلاد المغرب قامت بإرسال علماء إلى المناطق المجاورة وبالمقابل كان يفد عليها طلاب لتلقي العلم من علمائها ، كما استفادت القيروان من العلماء المشارفة الذين وفدوا عليها فكانت على صلة دائمة مع المراكز الكبرى للدراسات الإسلامية بالحجاز (مكة والمدينة) والشام والعراق مما أدى إلى نضج الحياة الفكرية وازدهارها [2] .

وهكذا أمتاز النشاط الثقافي في القيروان بكثرة الفقهاء والعلماء فأصبحت مركزا ذاع صيته ليس في المغرب والأندلس فقط بل في المشرق أيضا[3].

- حاضرة تاهرت بالمغرب الأوسط

شكلت مدينة تاهرت معقلاً للإباضية [4] الذين سكنوها وأسسوا دولتهم هناك، بحيث غلب المذهب الإباضي على بلاد المغرب الأوسط ، فانتشر بين قبائله وخاصة جبل نفوسة وهوارة ، ويبدو أن الإباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري [5] ؛ مما دفع زعماء الإباضية في المغرب الأوسط للرحيل إلى البصرة ؛ لغرض الاسترشاد بمشائخ المذهب في الإعداد

---

(1) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006م ، ص 255.

(2) محمد محمد زيتون ، العلاقات الثقافية بين القيروان وبين مراكز ا لفكر في المشرق حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ع 1 ، 1977م ، ص372.

(3) M. Vonderheyden : « la beriberi Orientale sous la dynastie des bemoul aghlab (800-909) », (librairie orientaliste ،Paul ،Gunther ،Paris.1927 ،p 120.

(4) تُنسب إلي عبد الله بن عمر بن تميم بن تعلبة من بني مرة بن عبيد الذي نشأ في مدينة البصرة ، ناظر الخوارج الأزارقة كما اشتهر برسائله إلى عبد الملك بن مروان ناصحا إياه ومبينا أراء جماعته وموقفها من انحراف السلطة الأموية عن نهج الخلفاء الراشدين، والحقيقة أن أتباع هذا المذهب إ اختاروا تسمية غير الإباضية لحركتهم منها"أهل الدعوة والاستقامة "و"جماعة المسلمين "إنما مخالفيهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم . حول أصول هذه الحركة وطبيعة أفكارها يُنظر إلي : معجم /أعلام الإباضية منذ القرن 1 إلي العصر الحاضر، مج1 ، المطبعة العربية ، الجزائر، 1999م ، ص ص 5- 6- 7 .

(5) أصوله من بلاد اليمن ، فقيه ويُعد من كبار علماء الإباضية .

الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج1، تحقيق : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث ، الجزائر، 1974م ، ص 22- 23.

المنظم والمحكم لإيجاد أرضية مناسبة للمذهب الإباضي في المنطقة المغاربية ، وقد عادوا إلى المغرب بعد أن مكثوا خمس سنوات بصحبة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وجماعة شيوخ المذهب وقد تذرعوا بالأساليب والوسائل الكفيلة ، ،لإنجاح حركتهم فقام الإباضيون بالسيطرة على طرابلس واستولى أبو الخطاب على جزيرة جربة وجبل دمروضم قابس ودانت بلاد المغرب الأدنى لطاعته [1].

ولما كثر عدد الإباضيين في المغرب الأوسط بدئوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم وتكون حصنا لهم يحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم ، فكانت مدينة تاهرت هي المكان الذي وقع اختيارهم عليه والتي أصبحت فيما بعد عاصمة الدولة الإباضية الجديدة [2]

ساهم أغنياء مدينة تاهرت في بناء عدد كبير من المساجد ؛ بغية تنشيط المدينة علمياً و اقتصادياً [3] ، بالإضافة إلى التوسع العمراني الكبير خاصة في عهد أفلح بن عبد الوهاب الذي جعل تاهرت ، مقصد العلماء والأدباء والفقهاء بمختلف تياراتهم المذهبية ولأن موقعها جعلها ملتقى تجاري وعلمي ومذهبي جعل بعض المؤرخين 3يشبهونها بقرطبة ودمشق وبغداد.[4]

- حاضرة سجلماسة بالمغرب الأقصى :

كان للموقع الجغرافي المميز الذي حظيت به مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى دور مهم في تاريخها ؛ الأمر الذي جعل منها مدينة ذات كيان حضاري في قلب الصحراء ، كما أنها أصبحت من أعظم مدن المغرب الأقصى وأجلها في العصر الإسلامي، وقد أشادت مصادر الرحالة والجغرافيين في وصفها فقال اليعقوبي فيها : " وسجلماسة مدينة على نهر يقال له زير وأهل سجلماسة أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة" [5] .

(1) الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 23.

(2) الحموي ، معجم البلدان ، مج1 ، مادة تاهرت ، دار صادر، بيروت ، 1986م ، ص 33.

(3) إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، الجزائر، ط2 ، 1993م ، ص 258 .

(4) المرجع نفسه والصفحة .

(5) اليعقوبي، ، البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1860م ، ص 150

ومدينة سـجلماسـة مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصـحراء يسـكنها قوم من مسـوفة رحالون يسـتقربهم مكان ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها ، وهي مدينة محدثة بنيت سنة 140هـ / 758م أسسها مدرار بن عبد الله وكان رجلا من أهل الحديث[1].

2- حاضرة فاس بالمغرب الأقصى :

تأسست مدينة فاس في عهد إدريس الثاني (192هـ/ 808م) زمن دولة الأدارسة ، وصفها البكري قوله :" إن هذه المدينة تتكون من مدينتين مختلفتين ويحيط بكل منها أسـوار، كما يفصلها نهر شـديد التيار"(وهو ما يسمى إحداهما ضفة القرويين والثانية ضفة الأندلسيين وتقع الأولى إلى الغرب من الثانية .... قد تأسست في السنة التالية في عهد إدريس بن إدريس[2] .

عقب تأسيسها سرعان ما ازدهرت وأصبحت محط رحال كثير من العلماء والفقهاء حتى ينالوا حظ التقرب من رجال دولة الأدارسـة الجديدة فاشـتهر اسـمها في الآفاق وتمتعت بنفس الخصائص التي تميزت بها حواضر المغرب الإسلامي في المجالين الحضاري والعمراني [3].

فيما يتعلق بالناحية الفكرية ظلت فاس لعهود طويلة العاصـمة الدينية للمغرب منذ إنشـائها في عهد الأدارسـة ، حيث بها أعرق و أقدم المؤسـسـات العلمية وهو " جامع القرويين" الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري سنة 245هـ / 859م.[4]وصفها لسان الدين بن الخطيب بقوله : "بلد المدارك والمدارس والمشـائخ والفهارس وديوان لراجل والفارس، والباب الجامع من موطأ المرافق، ولواء الملك الخافق، وتنور الماء الدافق" [5].

3- دور المؤسسات التعليمية والثقافية في نشر اللغة العربية

تميزت الحياة الفكرية والعلمية في الغرب الإسـلامي في القرن الثاني والثالث الهجريين/ التاسع والعاشـر الميلاديين بالنشـاط و الاسـتقرار فكانت ذات طابع ديني في اغلب الأحيان؛ حيث

(1) مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص67.

(2) البكري ، المسالك والممالك ، ج2، تحقيق : كمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 م ، ص226.

(3) المصدر نفسه والجزء ، ص 298.

(4) الجزنائي ، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تحقيق :عبد الوهاب بن منصـور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط 2 ، 1991م ، ص 73- 74.

(5) الخطيب ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 ، ص 175.

كانت هناك مؤسسات تعليم تعليمية هدفها ترسيخ معالم الشريعة الإسلامية والمبادئ المذهبية للحنفية [1]. والمالكية[2] وبعض المذاهب الخارجية كالإباضية والصفرية[3]. والمعتزلة[4]، والشيعية. [5].

إن ظهور ازدهار الثقافة وتطور التعليم ساهم في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية إلى أعلي مراحل تطورها، وتتمثل أعمدة المؤسسات التعليمية في بلاد المغرب العربي الإسلامي في الأتي:

- **الكتاتيب:**

تعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في التاريخ الإسلامي، بحيث دخل هذا النوع من النظام التعليمي لبلاد المغرب مع الفاتحين الأوائل[6].

---

(1) الحنفية :انتشر هذا المذهب في مناطق واسعة من العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب خاصة في عهد الدولة الأغلبية التي كان أمراءها مرتبطين مذهبيا بالعباسيين والذي ساهم في نشره هو عبد الله بن غانم (ت 190هـ / 805م .

المالكي ، المصدر السابق ، ص 113.

(2) المالكية : عرف هذا المذهب انتشاراً وتوسعاً كبيراً فقد أخذ منه أهل المغرب حتى أصبح مذهبا مميز بالنسبة لهم ؛ وذلك بفضل العلماء المغاربة الذين تو افدوا إلى المشرق طلبا للعلم أبرزهم عبد الله بن فروخ الذي عمل على نشر المذهب المالكي بعد عودته من المشرق في بلاد المغرب ، حيث كان يكاتب الإمام مالك لاستفسار عن مسائل استعصت عليه .

القاضي عياض ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق : محمد طالبي ، المطبعة التونسية ، تونس ، 1981م ، ص161.

(3) عثمان سعدي ، الجزائر عبر التاريخ ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1982م ، ص 85.

(4) المعتزلة : دخل مذهب هذه الطائفة الدينية الخارجية إلى بلاد المغرب العربي الإسلامي أوائل القرن 2 هـ / 8 م ، حيث كانت هناك مجموعة تابعة للمذهب الاعتزالي تقيم في مدينة تاهرت من أتباع واصل بن العطاء ، وعددهم قرابة الثلاثين ألفاً ، كما وجد أتباعه في المغرب الأقصى زمن دولة الادارسة .

ياقوت الحموي ، المصدر السابق مج3 ، ص 8 .

(5) الشيعة : دخلت المذاهب الشيعية إلى بلاد المغرب منذ أن فر إدريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى بعد ملاحقته من الدولة العباسية السنية، وبعد تأسيسه للدولة الإدريسية 172هـ / 878م أخذ المذهب الشيعي في الانتشار والتغلغل على يد أبي عبد الله الشيعي عراب الدولة الفاطمية الشيعية بالمغرب العربي الإسلامي و اتي تأسست سنة 296هـ / 909م .

ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج3 ، ص34.

(6) إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب حتى ق(9 هـ / 15م) ، ج1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م ، ص15- 19.

فالكُتاب هو عبارة عن مكان الذي يتعلم فيه الصبيان؛ ويعود سبب تسميته بالكتاب، أن الطفل يتعلم فيه الكتابة وقراءة القرآن الكريم[1].

وفي تعريف آخر للكتاتيب هي عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد تخصص لتعليم الصبيان الصغار بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة؛ حفاظا على طهارتها[2].

هناك أسباب اقتضت أن يكن هناك فصل بين الكُتاب عن المسجد وقيامه في نفس الوقت إلى جانبه لغرضين أولهما: أن الكُتاب كان لتعليم الصبيان الذين لم يبلغوا سن الرشد ، وثاني غرض : هو لتفسير ارتباط الكُتاب بالمسجد فإن ذلك راجع إلى طبيعة العلوم التي كانت تدرس في الكتاتيب وهي دينية بحتة أو مرتبطة به كاللغة العربية التي تعد الوسيلة الوحيدة لتعلم وقراءة القرآن وحفظه.[3] حيث كان التلميذ في الكُتاب يكتب دروسه على لوح من خشب ؛ لندرة الورق في ذلك الوقت فإذا تمت عملية الحفظ يتم غسل ما في اللوح استعملت هذه الطريقة طول الفترة الوسيطة[4].

عرفت الكتاتيب تزايداً مستمراً في الغرب الإسلامي خاصة وأن سكان المغرب كانوا يتزاحمون للدخول في الدين الإسلامي، فأقبلوا على تعلم الدين واللغة والآداب لذلك كانت الكتاتيب محلعناية من قبل كباروأعيان المسلمين(5) ، فانتشرت بذلك الكتاتيب في مختلف حواضر الغرب الإسلامي بحيث تكاثرت في القيروان وفي المدائن الكبرى كتونس وسوسة وصفاقس(6).

كان سكان الغرب العربي الإسلامي حريصين على أن يتخذوا لأبنائهم الكتاتيب الصغيرة الملحقة بالمساجد ؛ ليدرسوا فيها القرآن والحديث والدين واللغة العربية(7).

---

(1)عبد العزيز محمد حسني ، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م ،ص 32- 33.

(2) ابن سحنون ، آداب المعلمين ، تحقيق : محمود عبد المولي ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1984م ، ص37.

(3) إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 276- 277.

(4) ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص34.

(5) ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص 34.

(6) المصدر نفسه ، ص 37- 38.

(7)، محمد زينهم ، تاريخ مملكة الأغالبة لأبن وردان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1988م ، ص28.

- **المساجد:**

تعتبر المساجد أقدم المؤسسات التعليمية في الإسلام، فالتعليم يرتبط ارتباطاً وثيقاً به ، فالمسجد هو قبل كل شئ مكان للعبادة ومكاناً لتعليم القرآن وفهم آياته وأحكامه [1].

كانت للمساجد دور فعال في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في بلاد المغرب العربي الإسلامي فكانت تذاع فيها الأخبار الهامة التي تتعلق بمصالح العباد هذا إضافة إلى وظائفه العديدة والتي منها معرفة الأخبار الهامة التي تتعلق بمصالح العباد، وعقد حلقات البحث والمناظرات والاستماع لدروس الوعظ والإرشاد [2].

كان العلماء والمشايخ في المساجد يحفزون طلابهم لدراسة اللغة العربية ومن أقوالهم" : من تعلم حرفا من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع ومن تعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة" [3].

كان الطلبة يتعلمون في المساجد أيضاً أصول الفقه والعلوم العربية ، التفسير والحديث والأدب والنحو والصرف[4] ، فكان يرابط في هذه المساجد العلماء الكبار فتتوالى عليهم مختلف الحلق فيلقون على تلاميذهم مختلف الدروس والمحاضرات من ثانوية وعالية على حسب مستوى التلاميذ الذين يتلقون عنهم والطلبة الذين يؤمون حلقهم ، فكانوا يلقون عليهم الأسئلة ويناقشونهم ، وتضمنت المساجد أمكنة لإقامة الطلبة الذين يأتون من أماكن بعيدة [5].

- **المدارس**

المعني اللغوي لكلمة المدرسة مشتقة من الفعل درس الكتاب يدرسه درساً [6] ، حيث ظهرت هذه المؤسسة التعليمية عقب امتلاء المساجد بالطلبة ؛ فاستحال بذلك أن تؤدي

---

(1) حسين محمد كمال ، انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1976 م ، ص31.

(2) محمد بن تاويت الطنجي ، دولة الرستميين أصحاب تيهرت ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ،مج 5، ع 1-2 ، مدريد ، 1957م ، 109- 110.

(3) محمود حسين كورد ، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراها على بلاد السودان الغربي ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، الجزائر ، 2008م ،ص 149.

(4) محمود حسين كرود ، المرجع السابق ، ص 149 .

(5) أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر، دمشق ، ط2 ، 1982م ، ص 358.

(6) ابن منظور، المصدر السابق ، ج4 ، ص65.

وظيفتين معا التي منها أداء الشعائر الدينية والتدريس بسبب اتساع حلقات المدرسين وازدياد عدد الطلبة بالإضافة لي تعدد الأصوات، وكثرة المناقشات ، بالإضافة إلي ظهور العلوم التي تستدعي الحوار كعلم الكلام[1].

- الرباطات:

تعريف الرباط لغةً : هو الثبوت واللزوم وربط النفس على الأمر أي تتبيثهما عليه وإلزامها إياه، أما اصطلاحا فهو ملازمة الثغور والثبوت بها وفرائضه النية والزاد الحلال والعدة والمعقل [2].

إذاً هي عبارة عن ثكنة تتألف من حصن وعشرات الغرف المنفردة بجامع كبير ومئذنة مستديرة [3] ، انحصر بناؤها في بداية الأمر للأغراض دفاعية خاصة وأن معظم دول المغرب الإسلامي كانت معرضة للغارات البحرية الآتية من القسطنطينية وجنوب إيطاليا وبعض جزر حوض المتوسط كجزيرة كورسيكا وسردينيا فانتشرت الرباطات على طول سواحل بلاد المغرب العربي الإسلامي [4].

إضافة إلي مهمته العسكرية والدفاعية أضيفت له مهمة تعليمية ، حيث أُعتبر كمدرسة يقيم فيها المرابطون احتسابا للعلم بالإضافة إلى عملية استنساخ المصاحف وكتب الحديث والفقه ، تدور فيه المجالس الفقهية وحلقات الذكر للرجال والنساء ، فأصبح الرباط مع مرور الزمن نظاما عسكريا دينيا تحددت أصوله وقواعده شيئا فشيئا [5].

---

(1) احمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامي ، دار الكشاف للنشر، بيروت ، 1954م ، ص 96.

(2) محمد مفتاح ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي "مجلة عالم الفكر، ع1 ، مج 12 ، ابريل ، الكويت ، 1981م ، 183.

(3) عثمان الكعاك ، محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، 1958م ، ص 16 -17.

(4) M. VonderheydenOp-cit, P 118.

(5) صاحي بوعلام ، الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية ولاجتماعية ، جامعة بوزريعة ، الجزائر. 2008م ، ص66.

وُجدت عدة رباطات في المغرب العربي الإسلامي منها رباط المنستير الذي أسسه والي بلاد المغرب الأدنى هرثمة بن أعين ورباط قصر الطوب بمدينة سوسة ،ورباط زياد الذي بناه عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد [1].

و انطلاقاً من هذا فإن الرباط عمل على تبصرة الناس حول فوائد المرابطة في الثغور وترغيبهم في التعليم والجهاد لدرجة أن عبد المؤمن الجزري كان يمتطي جوادا ويسير في شوارع القيروان يدعو الناس بملازمة الرباطات [2].

الخاتمة

صفوة القول مما عُرض سابقاً يتضح إن الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب كان له الدور الرئيسي في عملية انتشار اللغة العربية بين كل فئات المجتمع فساهم هذا في فيما بعد في ترسيخ اللغة بسهولة ، حيث كان لبعض قادة الفتح بصمة في تدعيم اللغة العربية مادياً ومعنوياً من خلال بناء مدن ذات طراز إسلامي بحث يديرها فكرياً وعلمياً نخبة من العلماء والفقهاء والذين كان لهم في تفقيه الناس بأمور دينهم معتمدين على اللغة العربية كأساس التعليم والتعلم متخذين من الرباطات والكتاتيب والمساجد ، والمدارس أمكنة يمارسون فيها عملهم بكل أمانة وصدق .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

1- ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) ت 658هـ / 1260م ، الحلة السيراء ، تحقيق : على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2008م
2- البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) ت 487هـ / 1094م ، المسالك والممالك، ج2، تحقيق: كمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م .
3- التيجاني (أبو محمد عبد الله بن أحمد) ت717هـ/ 1318م ، رحلته بين عامى 706-708هـ ، دار الفرجانى ، طرابلس ، (د. ت).

(1) موسي لقبال ، أوضاع ولاية إفريقية وبناء القصر الكبير في المنستير 180هـ / 796م ، حوليات جامعة الجزائر، ع4 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، لجزائر 1989م ، ص17.

(2) القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج3 ، ص259.

4- ابن الأثير(أبو الحسن الجزري) ت: 630هـ / 1233م الكامل في التاريخ ، ج2، دار صادر ، بيروت ، 1978م.
5- الجزنائي (على الجزنائى) ، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تحقيق :عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط 2 ، 1991م .
6- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت) ت 626هـ/ 1228م، معجم البلدان ، مج1 ، دار صادر، بيروت ، 1986م
7- الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السليماني) ت 776هـ / 1374م ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 م .
8- ابن خلدون (ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ت808هـ/ 1405م : ، العبر ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ج6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م
9- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى) ت 996هـ/ 1588م ، معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1 ، تحقيق : محمد ماضور وآخرون ، مكتبة الخانجي (القاهرة) ، المكتبة العتيقة(تونس) ، 1979م.
10- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) ت 670هـ/ 1273م ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج1، تحقيق : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث ، الجزائر، 1974م .
11- ابن سحنون (أبو سعيد عبد السلام التنوخي) ت 240هـ/ 854م ، آداب المعلمين ، تحقيق : محمود عبد المولي ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1984م.
12- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ت 310هـ/ 925م، تاريخ الرسل والملوك، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
13- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله) 257هـ / 870م ، فتوح مصر وأخبارها ، دار صادر، بيروت ، (د- ت).
14- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي) ت 695هـ/ 1295م ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تحقيق :كولان برفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط2 ، 1980م .

15- القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى) ت 544هـ/ 1149م) ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق : محمد طالبي ، المطبعة التونسية ، تونس ، 1981م .
16- القيرواني (زكريا بن محمد القزويني) ت 682هـ / 1283م ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت ، (د- ت).
17- ابن كثير(عماد الدين إسماعيل) ت 774هـ/ 1372م ، البداية والنهاية ، ج8 ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1999م.
18- المالكي (عبد الله بن أبى عبد الله القيرواني) ت ق4هـ/ 10م رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج1 ، تحقيق : بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م .
19- مجهول (توفى في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1985م.
20- المراكشي (عبد الواحد بن على التميمي) توفي في القرن 647هـ/ 1249م ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006م.
21- المقريزي(تقي الدين أحمد بن عبد القادر) ت 845هـ/ 1441م ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،ج1،تحقيق: جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، 1999م .
22- اليعقوبي (أحمد بن أبى يعقوب) ت 284هـ/ 897م ، البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1860م .

ثانياً: المراجع العربية والمُعربة:

23- احمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامي ، دار الكشاف للنشر، بيروت ، 1954م.
24- أحمد القطعاني، الإهابة في من دخل البلاد الليبية من الصحابة ، مكتبة النجاح ، طرابلس ، 1998م .
25- أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر، دمشق ، ط2 ، 1982م.

26- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، الجزائر، ط2 ، 1993م.
27- إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب (9 هـ / 15م) ، ج1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م.
28- جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.
29- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1988م.
30- حسين محمد كمال ، انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1976 م.
31- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1968م.
32- راضي دعفوس، دور القبائل الهلالية و السليمية في التعريب و الأسلمة في افريقية وبلاد المغرب في أواخر العهد الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، تونس ، 2012م .
33- شارل أندري جوليان، تاريخ شمال افريقية ، تحقيق : محمد المزالي ، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1985م.
34- عبد العزيز محمد حسني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.
35- عبد الله العروى، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط5، 1996م.
36- عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، 1958م.
37- عثمان سعدي، الجزائر عبر التاريخ ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م.
38- محمد زينهم ، تاريخ مملكة الأغالبة لأبن وردان ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1988م .
39- محمود حسين كورد ، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراها على بلاد السودان الغربي ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، الجزائر، 2008م.
40- - موسي بن لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ / 11م ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1979م.

41- الغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط3 ، 1984 .

42- نجم الدين الهنائي ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ، دار تبر الزمان ، تونس ،2004م.

43- يوسف أحمد حوالة ، الحياة العلمية في افريقية منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الهجري ، ج1، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة ، 2000م.

ثالثاً : المعاجم اللغوية والعلمية :

44- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين الأنصاري) ت 711هـ / 1311م ، لسان العرب، مج 2 ، دار لسان العرب، بيروت، (د- ت).

45- معجم أعلام الإباضية منذ القرن 1 إلي العصر الحاضر، مج1 ، المطبعة العربية ، الجزائر، 1999م.

ثالثاً : الدوريات العلمية :

46- محمد بن تاويت الطنجي ، دولة الرستميين أصحاب تيهرت ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ،مج 5 ع 1-2 ، مدريد ، 1957م

47- محمد زيتون ، العلاقات الثقافية بين القيروان وبين مراكزا لفكر في المشرق حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ع 1 ، 1977م

48- محمد مفتاح ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي "مجلة عالم الفكر، عدد1 ، مج 12 ، ابريل ، الكويت ، 1981م.

49- موسي لقبال ، أوضاع ولاية إفريقية وبناء القصر الكبير في المنستير180هـ / 796م ، حوليات جامعة الجزائر، ع4 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، لجزائر 1989م .

رابعاُ: الرسائل العلمية :

50- صاحي بوعلام ، الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية ولاجتماعية ، جامعة بوزريعة ، الجزائر.2008م

خامساُ: المراجع الأجنبية :

M. Vonderheyden : « la beriberi Orientale sous la dynastie des bemoul -51
p .1927 ،Paris ،Gunther ،Paul ،librairie orientaliste ،« (aghlab (800-909
120.

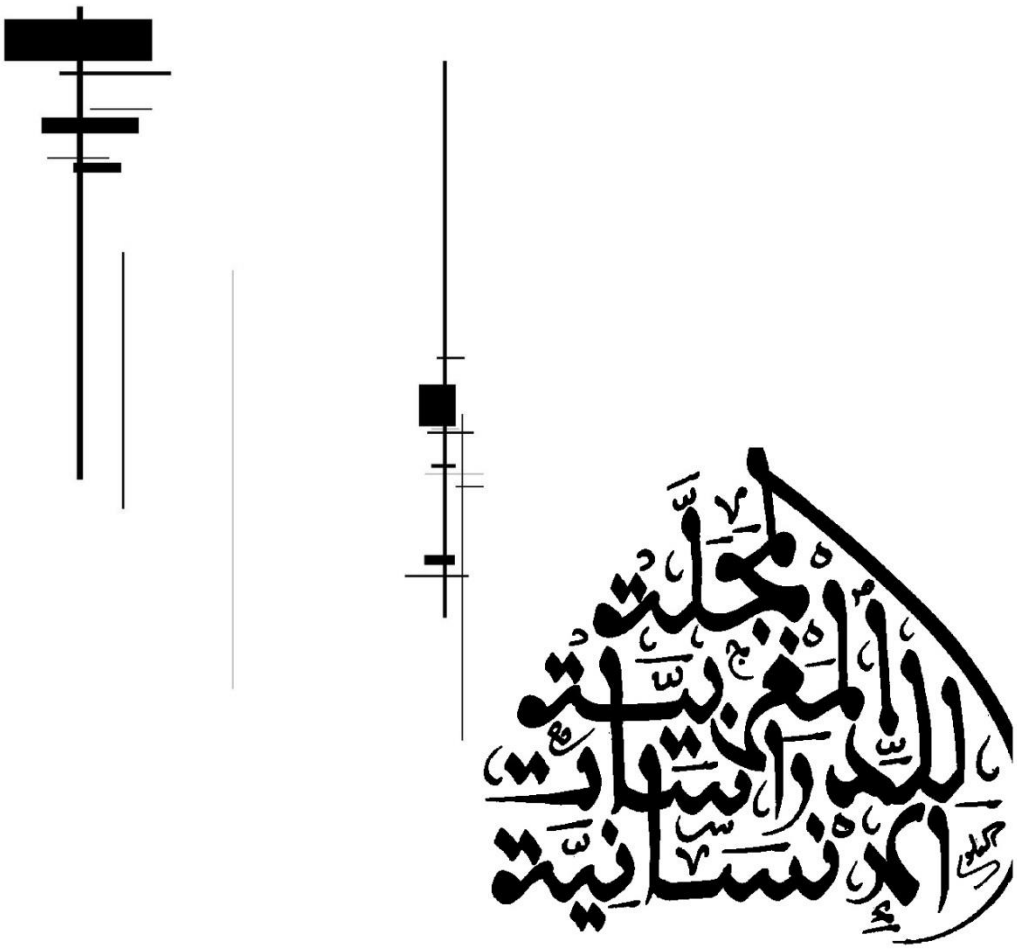
مجلة
المغربية
للدراسات
الاجتماعية

مكانة مؤلفات ابن مالك النحوية واللغوية في المغرب الإسلامي: المحاظرالشنقيطية نموذجا.

عبد الله محمد غلام، أستاذ فقه اللغة

ملخص:

عرفت منطقة المغرب الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري وما بعده ازدهارا علميا منقطع النظير، حيث كانت منارة علم وإشعاع معرفي، في شتى الفنون. فقد كانت قرطبةُ منارة العلم والفكر في الأندلس. ويُعتبر محمد بن عبد الله بن مالك المولود بالأندلس، أشهر نحويٍ كُتب لمؤلفاته البقاء والتداول والقبول، وذلك لما تتميز به من الإحاطة والاختصار وسلاسة الأسلوب. ولعل صياغة ابن مالك لعلوم النحو واللغة والصرف وتقديمها في قالَب شعري، مع ما تتميز به مؤلفاته من اختصار وإحاطة، هو ما أورثها هذا البقاء والتداول اللذيْن لم يُعرف لهما نظير. وكان لعلماء المغرب الإسلامي اهتمام خاص بمؤلفات ابن مالك، فقد شرحوها ووضعوا عليها الحواشي والطرر. وجعلوها في المقدمة ضمن المقررات الدراسية.

ويسعى هذا المقال إلى بيان وجهٍ من أوجهِ اهتمام منطقة المغرب الإسلامي بمؤلفات ابن مالك من خلال المحاظرالشنقيطية التقليدية. وتكمن أهمية هذا البحث في:

- إضاءة جانب من جوانب الحياة العلمية في جزء من منطقة المغرب الإسلامي الشاسعة.
- الإلمام بالمنهج التقليدي في المنطقة وما قدمه من خدمة للنحو واللغة العربية.
- بيان أهم المقررات في مجال النحو واللغة، والتي تُعتبر المدخل الأساسي لهذا الفن في هذه المحاظر التقليدية.

الكلمات المفاتيح: المغرب الإسلامي ـ ابن مالك ـ المحاظرالشنقيطية ـ اللغة ـ النحو ـ الصرف . الحياة العلمية.

Abstract

From the second century AH on, the Islamic Maghreb area knew unprecedented scientific development. It was a leading region in science and different branches of knowledge. Cordoba was the beacon place for science and thought in Andalusia. Mohamed Ben Abdullah Ben Malik, born in Andalusia, is considered the most famous grammarian whose books gained popularity, readership and acceptance for his encyclopedic knowledge, conciseness and easy style.

It is probably the formulation and the poetic presentation of grammar, language and morphology, along with the encyclopedic and concise nature of Ibn Malik's books that gave them this unprecedented popularity and existence. Scholars of the Islamic Maghreb area gave much importance to Ibn Malik's books by providing explanation, adding footnotes and headnotes and by incorporating them into school curricula. This article aims at shedding light on a part of the importance given to Ibn Malik's books in the Islamic Maghreb area through traditional Chinguit Mahdaras. This research is important because:

- **It sheds light on a part of scientific knowledge in a specific area of the Islamic Maghreb region.**
- **It provides a feedback about the knowledge of the traditional methodology in the region and how it served grammar and language.**
- **Illustrates major curricula in grammar and language as the primary introduction to this science in these traditional Mahdaras.**

Keywords: Islamic Maghreb, Ibn Malik, Chinguit Mahdaras, Language, Grammar, Morphology, Scientific Life

مقدمة:

بدأ التعليم منذ ظهور الإسلام بداية تقليدية تعتمد على السماع والرواية، فلم تكن هنالك كتب ومقررات دراسية، إذ وسائل التعليم يومئذ لم تكن متاحة بالقدر الذي يسمح بذلك. وإنما كان يقوم التعليم على الحفظ بواسطة التلقين والسماع من أفواه الرجال الثقات، غير أنّ هذا المنهج بدأ يتطوّر في القرن الأول الهجري، حين بدأ الخلفاء يبعثون إلى الأقطار الإسلامية من يُعلمهم الدين ويُفقهم فيه. فكانوا يتّخذون المساجد أماكن للتعليم، حيثُ يُكوّن الطلاب حلقة أو حلقات في المسجد، ويبدأ المعلم بإلقاء الدروس عليهم، حسب الموضوع المقرر في الوقت المحدد. "

فحين فُتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان والي جند دمشق للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب معلمين يلقنون أهل الشام القرآن ويفقهونهم في شؤون الدين فأرسل إليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت و أبا الدرداء، رضوان الله عليهم وكلهم حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم. وكان هؤلاء الثلاثة أساطين حركة التعليم في الجامع الأموي بدمشق. وفيه سن أبو الدرداء نظام الحلق، فكان إذا صلى الغداة (الصبح) بالجامع اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وينصب على كل عشرة عريفا. وصار الجامع على مرّ القرون مثابة لطلبة العلم. قال أحد شيوخ القرن الأول "عهدت المسجد الجامع بدمشق وإن عند كل عمود شيخا وعليه الناس يكتبون العلم"[1]، وهكذا توسّعت دائرة هذا المنهج التعليمي، ليصل إلى المغرب الإسلامي.

فكيف كانت ملامح التعليم الأولى في المغرب الإسلامي؟.

ملامح التعليم بالمغرب الإسلامي: لم يكن المغرب الإسلامي بمنأى عن تأثير المنهج التقليدي بالمشرق، وذلك بحكم اتصالهما علميا وثقافيا، إلى جانب نُدرة وسائل العلم كأدوات الكتابة والتدوين، الأمر الذي جعل تقليدية التعليم أمرا لا بد منه، فقد كانت الجوامع محطات للتعليم.

وقد اتخذ هذا التعليم ضروبا وأشكالا متنوعة عبر مسيرته، "فكان منه تعليم زمري، وتعليم فردي وتعليم جماعي، ومنه الحلقات أو المجالس، أو الزوايا كما سُمّيت في عهد متأخر"[2].

---

[1]. الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987/ ص50

[2]. السابق ص50

وهكذا بدأت أشكال هذا التعليم تتنوع مُشكّلة ملمحا من ملامح التنوع المنهجي، حيثُ يتبع بعضُ المدرسين تنوّعَ الموضوعات حسب الجلسات، بأن يُخصص ليلة لتدريس الحديث، وليلة لتدريس الفقه، وليلة لتدريس التفسير، وأخرى للنحو وهكذا. في حين يتبع البعض الآخر منهجيةَ التنوعِ المتزامن، بأن يُدرِّس موضوعات مُختلفة في جلسة واحدة، بحيثُ تدرَّسُ كلُّ جماعة فنا مُعينا بالتساوي في موضوع الدرس، أو يُدرَّسوا أفرادا كل فرد له درسه الخاص وفنه الخاص.

وقد عرف المغرب الإسلامي حواضن علمية كبيرة، فكانت "قرطبة حاضرة الفكروالعلم في الأندلس والمغرب كله، واشتهرت بعلمائها ومجالسهم وبمكتباتها. وكان من ضريباتها تونس التي احتضنت جامع الزيتونة منذ 114 هـ 732م فكان جامعة لتلقين مختلف المعارف. وكانت تنفق على الطلبة في هذه الجامعات جرايات وتُرصَد لهم أوقاف. وكان للناظروالأساتذة مرتبات ثابتة... وكانت فاس من الحواضر العلمية الكبرى في المغرب، فقد احتضنت جامع القرويين، الذي أسسته أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري سنة 245 هـ/ 868م وصارهذا الجامع جامعة مورودة يَفِد إليها الطلاب، فيحضرون حلقات الشيوخ بها. وكان للشيخ حلقتان أو أكثرفي الأسبوع، يجلس على كرسي ويتحلق الطلبة بين يديه. وفيهم السارد، الذي يُمسك متنا مُعينا (ألفية ابن مالك أو المختصرأو غيرذلك) فيقرأ منه والشيخ يفسروالطلبة مصغون"[1].

وهكذا نجد أن منطقة المغرب الإسلامي كانت منطقة حية بدوائرها العلمية، وبعلمائها الذين ذاع صيتهم في أنحاء المعمورة، ولا شكّ أن ما تقدم من خصائص التعليم في هذه المنطقة مطبوع بطابعها الحضاري الخاص، وبتنوعها الفريد. وفي هذا السياق يندرج دور المحاظر الشنقيطية التي تُمثّل وجها من وجوه هذا الإشعاع المعرفي والعلمي. فلئن كان عُلماء شنقيط وخصوصا في "القرن الثالث عشرالهجري ، قد امتازوا بثقافة عربية إسلامية أخذوا مصادرها من رحلات علمائهم المُتعددة في المشرق والمغرب وطبعوها بذاتيتهم الخاصة، فإن هذه الثقافة، يتّضح انتماؤها إلى المراجع المغربية والأندلسية. ذلك أن الدعوة الإسلامية، امتدت أولا من القيروان إلى سجلماسة، ومنها إلى الصحراء، ثم انتظمت حلقات الوصل بين قرطبة وفاس وبين الصحراء والسودان، وتعززت في فترات معينة، حتى أخذت شكلها النهائي، المتمثل في مجموعة

[1]. السابق ص 52

من المعارف تعتمد على متون أكثرها من المغاربة والأندلسيين"[1]، ولهذا فإن المحاظر الشنقيطة تُمثل نموذجا من نماذج المنطقة بشكل عام.

المحاظر الشنقيطية الميزات والخصائص: تُعرف المدارس الشنقيطية التقليدية بالمحاظر بالظاء، أو المحاضر بالضاد، ولعل الأول مأخوذ من الشكل الذي يأخذه الطلاب بين يدي المُدرس، حيث يشكلون حلقة شبيه بالحظيرة. بالإضافة إلى حضور الحظيرة في الحياة البدوية، فهي وسيلة تأمين الحيوانات، وهي وسيلة من وسائل الدفء في الشتاء، فلعل التسمية بالظاء أخذت من ذلك.

وقد تكون التسمية الأخرى بالضاد مأخوذة من الحضرة، أي الحضور، أو المحاضر أي المنازل، على نحو قول لبيد بن ربيعة العامري في قصيدة له:

أقْوَى وعُرِّيَ واسطٌ فَبَرَامُ مِنْ أهْلِهِ، فَصُوَائِقٌ فَخِرامُ

فالْوادِيانِ فكلُّ مَغْنًى منْهُمُ وعلى المِيَاهِ مَحاضِرٌ وخِيَامُ

فقد أورد لفظ "محاضر" بمعنى منازل. وقد تكون مأخوذة من مزيج يخلط بين التسميتين (الظاء/الضاد)، إذ كلمة "حَضَرَ" بالفصحى تُقابلها كلمة "احْظَر" باللهجة الحسانية، وهو ما يعني أنها إذا استُعمِلَت بمعنى الحضور، فربما يصلح لها اللفظان، بأن يُراعيَ أحدهما الفصحى، ويُراعيَ الآخر اللهجة المحلية.

ولسنا نجزم بشيء من كل ما تقدّم، إذ الأسماء تأخذ في أشكالها بُعدا اعتباطيا في الربط بينها وبين مدلولاتها، وإن قُلنا بأن هذه التسمية (المحظرة/المحضرة) تنحو منحى المصطلح، الذي يمنحها العلاقة المُبرّرة بمفهومها. فمن نظر إلى التسمية كمصطلح نظر في العلاقة المفهومية، ومن نظر إليها في علاقة الاسم بالمُسَمى بشكل عام فليس بحاجة إلى الربط والتبرير.

المحظرة الشنقيطية هي جامعة تقليدية متكاملة، تُدرّس جميع الفنون، وينتسب إليها الطلاب باختلاف مستوياتهم وأعمارهم، ينتقل فيها الطالب من مستوى إلى مستوى آخر بشكل

[1] . محمد المختار ولد اباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان الرباط، ط2/ 1424 .2003/ ص33

مُتدرّج، فلكلّ فنّ متون تشـكل مراحله الأولى وأخرى تشـكل مراحله المتوسـطة وثالثة تشـكل مراحل التخصص والإتقان.

وتمتاز المحاظر بأنها المراكز العلمية الوحيدة التي تلائم و اقع المجتمع، ذلك أنك تجد المجتمع البدوي الرّحل، الذي لا يكاد يقضـي شـهرين في مكان واحد، إذ هو مُجتمع ينتجع الكلأ والخصب، وتجد المحظرة ترحل معه وتحلّ حيثما حلّ، فهي جامعة بمُخرجاتها وبمقرراتها، ثم هي مُستَلة من و اقع المجتمع مواءمة ومُسايرة. ولعل ابن بونه قصد هذا المعنى بقوله:

ونحـنُ ركـبٌ مـنَ الأشْـراف مُـنْـتَـظِـمٌ أجـلُّ ذا الْـعَصْـرِ قَـدْرا دونَ أدْنـانـا

قـدِ اتَّـخـذْنـا ظُهـورَ الْـعـيسِ مَـدرسَـةً بـهـا نُـبَـيِّـنُ دِيـنَ الله تِـبْـيـانـا

هذه السـمة من السـمات التي تُميّز المحظرة عن باقي المراكز العلمية أيا كانت، ثم إن ميزة الحرية في المقررات وفي وقت التدريس وفي حجم الدرس كذلك سـمة من السـمات البارزة التي لا تُوجد في غير المحظرة.

وهنالك سمة الاستيعاب أيضا. فليس للمحظرة عدد مُحدد من الطلبة لا تزيد عليه، بل هي مفتوحة للجميع، وهي مع ذلك مفتوحة في جميع الأزمنة إذ ليسـت لها فترة محدّدة للانتسـاب إليها. ورغم كثرة المنتسبين للمحظرة عادة، فهي لا تعدو في الأغلب أعرشة من الخشـب، أو حظيرة حول شجرة، فهي من جنس البيئة البدوية بامتياز.

ومع ما تُقدّمه المحظرة من علم ومعارف، فقد ظلّت المساهم الأقوى في انسجام المجتمع وتوحيده، وذلك لما يحصـل من ترابط بين منتسـبيها ذوي الانتماءات المختلفة، والمواطن المُتفرقة، وقد صدق الواصف لها بقوله:

تـلامـيـذُ شـتّى ألّـف الـدهـرُ بـيـنـهـم لـهُـمْ هِـمـمٌ عُـلْـيـا أجـلُّ مِـنَ الـدّهْـرِ

يمتاز شـيخُ المحظرة بالموسـوعية العلمية، التي تُوصـفُ عندهم محليا ب "فلانٌ لا يرُدُّ لوحا"، بمعنى أنه لا يرُد طالبا نتيجة جهله هو بالفنّ المُعيّن، فاللوح الخشـبي هو كُرّاس الكتابة، ولا يهتم الشيخ بالفن الذي كتب الطالبُ في اللوح، إذ لا يردّه بسببه، بل الأغلب أنْ يقول الطالب

للشـيخ بالعامية (لاه انْگرّ) أي أريد أن أدْرُسَ، فيجيبه الشـيخُ "مَشِّ" أي ابدأ في تقديم ما تودّ أن يُشرح لك، دون أن يسأل عن موضوعه. ولذلك تستمع الشيخ "وهو يُفسر نصا من مختصر خليل ثم ينتقل مباشـرة إلى باب من ألفية ابن مالك في النحو، وبعده إلى درس في التوحيد من إضـاءة الدجنة للمقري، ثم إلى أبيات من معلقة امرئ القيس ... وهكذا دواليك"[1]، فالمجال مفتوح أمام الطلبة ليأخذ كل منهم المقرر الذي يختاره والقدر الذي يُناسـب مسـتواه من ذلك المُقرر. مع مجانية هذا النشاط العلمي، فلا يتقاضى المدرس أي راتب مُقابل ما يُقدم.

وقد قوى دورَ المحظرة في نشـر العلم، ما اتّسـمت به من جوّ مفتوح على جميع الأصـعدة، على نحو ما تقدم. إذ يسـتطيع الطالب ملء أي فراغ بطلب العلم، إذ الوقت مفتوح، والخيارات متعددة.

وهنا يحق لنا أن نسأل عن منزلة ابن مالك ومؤلفاته اللغوية في هذا الفضاء المفتوح؟

نبذة عن ابن مالك وعن مؤلفاته المقررة في المحاظر الشنقيطية:

انتهت إلى ابن مالك الريادة في اللغة والنحو منذ بزغ نجمه، حتى ارتبط اسـمه في أذهان الطلاب والعلماء بالنحو والصرف واللغة.

ولد ابن مالك بالأندلس بمدينة جيان، وهاجر منها وهو ما يزال شـابا إلى الشـرق، وقد استقر بدمشق وبها تُوفي.

درس ابن مالك على عدد من علماء الأندلس قبل هجرته إلى الشرق، منهم:

. ابن الطيلسان (... 628) ثابت بن خيار الكُلاعي الغرناطي.

. الشّلوبين: (562. 645) محمد بن محمد بن عمر الأزدي، الأشبيلي، النحوي المشهور.

. أبو عبد الله بن مالك المرشاني (... 698)

. أبو العباس، أحمد بن نوار.

[1]. السابق 29

يرجع نسب ابن مالك إلى قبيلة طيّئ "قال ابن حزم: جماع أنساب العرب من جرم بن كهلان، وحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وجرم بطن في طيئ، وهو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن جلهمة، وهو طيئ بن أدد، وإليه ينتسب أبو عبد الله محمد بن مالك النحوي"[1].

ألف ابن مالك في مجالات عدة، وكانت له اليد الطولى في النحو واللغة والصرف، فقد ألف كثيرا من الكتب المنظومة والمنثورة، ووضع قدرا من الشروح على بعض مؤلفاته.

وكان له الفضل في تقديم الوحيَيْن (القرآن والحديث) في الاستشهاد بهما، فقد توسّع في الاستشهاد بالقراءات والأحاديث النبوية، "فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عَدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب"[2]. وهو منهج يكاد ينفرد به إذا ما قُورن بغيره من كبار النحاة.

تُوفي رحمه الله في "الثاني عشر (من) شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة، ورثاه شرف الدين الحصنيّ (بقصيدة يقول في مطلعها):

يا شتاتَ الأسماءِ والأفعالِ بعد موتِ ابن مالك المِفضالِ

وانحراف الحُروف من بعد ضَبْطٍ منه في الانفصال والاتّصالِ[3]

وسنقتصر في هذا المقال على مؤلفاته التي تُعتبر من مقررات المحاظر في مجال النحو واللغة، والتي تُتداول بكثرة، ولا يستغني عنها الطالب.

ولعلّ أشهر هذه المصنفات ما ذكره السيوطي في بداية قصيدة نقلها عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم،[4] وهي قصيدة تجمع قدرا كبيرا من مؤلفات ابن مالك، وسنقتصر على بدايتها التي تضمنت ما نحن بصدد ذكره من مقررات في مجال اللغة والنحو في المحاظر، فرأينا

---

[1]. حسن احمد العثمان، تحقيق إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك، المكتبة المكية، مؤسسة الريان، ط1/ 1425 هـ 2004م/ ص هـ/و

[2]. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1/ 1384هـ 1964م/ ج1/ص134

[3]. السابق 143

[4]. انظر بغية الوعاة، السابق، ج1/ ص131

أن نوردها بشكلها الشعري تسهيلا للحفظ، ومُسايرة لمنهج ابن مالك، الذي سلكه في توظيف الشعر في توثيق الفنون وتعليمها.

وهذه بداية القصيدة تُبيّن الكتب المقررة في المحظرة في النحو واللغة:

سقى اللهُ ربُّ العرشِ قبْرَ ابنِ مالكٍ ... سحائبَ غفرانٍ تغاديه هُطَّلا

فقد ضمّ شملَ النّحو من بعد شتّه ... وبيّنَ أقوالَ النُّحاةِ وفصّلا

بألفيةٍ تُسْمَى الخلاصة قد حوَتْ ... خلاصةَ علم النحو والصّرف مُكْمَلا

وكافيةٍ مشروحَةٍ أصْبحت تَفِي ... لَعَمْري بالعلْمين فيها تسهّلا

ومُختَصَرٍ سمّاهُ عمدةَ لاقِطٍ ... يضُمّ أصولَ النّحوِ لا غير مُجمَلا

وبيّن معناه بشرحٍ مُنقّحٍ ... أفاد به ما كان لولاه مُهمَلا

وآخر سمّاه بإكْمال عمدةٍ ... فزادَ عليها في البُحوثِ وعلّلا

وصنّف للإكمال شرحاً مُبَيّنا ... معانيَه حتى غدتْ ربَّةَ انْجِلا

ولا سيّما التسهيل لو تمّ شرحُه ... لكان كبحرٍ ماج عذباً وسلسلا

ونظّمَ في الأفعال أيضاً قصيدةً ... فسهّل منها كلّ وَعْرٍ وذلّلا

وأُرجوزة تحوي المُثلّث بَيّنا ... مُربّعة المصراع غرّاء تُجتلَى

وصـــنّف في المقصـــورأيضـــاً قصـــيدةً وضـــمّـنهـا المـمـدود أيضـــا فـكـمَّـلا

وأتـبـعـهـا شـــرحـاً لـهـا مـتضـــمّـنـا بـيـانَ مـعـانِـيـهـا بـهـا مُـتـكـفّـلا

وأعـرب تـوضـــيـحـاً أحـاديـث ضُـــمّـنـت صـــحـيـحَ الـبـخـاريّ الإمـامِ وســـهَّـلا

ويـكـفـيـهِ ذا بـيـنَ الـخـلائـقِ رِفْـعـةً وعـنـد الـنّـبيّ المصـــطـفى مـتـوَسَّـــلا

فـيـا ربِّ عـنّـا جـازِهِ الآنَ خـيـرَ مـا جَـزَيْـتَ ولـيّـاً لـم يـزل مُـتـفضِّـــلا

وتُمثّل هذه الكتُب أهمّ القوائم المقررة في مجال اللغة والنحو والصـرف. وقد اهتمّ بها شـيوخ المحاظر اهتماما خاصـا، وإن تفاوت ذلك الاهتمام تبعا لكثرة التداول بين الطلاب، والاحتياج إلى الشرح والتوضيح كذلك.

نماذج من شـروح الشـناقطة لكتب ابن مالك النحوية واللغوية: سـبق أن ذكرنا أن الطالب المحظري يتدرج في عبر سُـلّم مُتعارَف عليه في المحاظر، وهو ما يعني أن كل فن يتضـمن مسـتويات، ابتدائية، ومتوسـطة، وعليا، على نحو ما سـبقت الإشـارة إليه. وبما أن هذه العجالة مقصـورة على النحو واللغة والصـرف، من مؤلفات ابن مالك، فإننا سـنُبيّن تلك المؤلفات وما تُمثّله من مستوى تعليمي في السلم المحظري.

النحو: تُعدّ ألفية ابن مالك المعروفة بالخلاصـة، وكتابه التسـهيل، والكافية، من أشـهر كتبه النحوية، وقد نالت الألفية من الاهتمام والشهرة مالم ينله غيرها.

وتُعدّ الألفية من مقررات المراحل العليا في مجال النحو، إذ تُسبَق عادة بدراسة منظومة آجروم، للشيخ محمد بن ابّ الغلاوي، ثم بمُلحة الإعراب للحريري، لتأتي ألفية ابن مالك كمرحلة التخصص.

ولا تُدرس ألفية ابن مالك في الغالب إلا مع احمرار وطرة المختار بن بونه الجكني(ت 1220هـ/1805م) ، وهو عبارة عن كتاب سماه "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو

والخصـاصـة"، ويتضـمن زيادات التسـهيل التي لم ترد في الألفية، ويتكون من شـقين أحدهما منظوم، أدخله في نظمَ ابن مالك ممزوجا بينهما، ويُكْتَبُ باللون الأحمر تمييزا له عن نص الألفية، ويُسَـمى الاحمرار. أما نص الألفية الأصلي فيُكتب باللون الأسـود، ويُسـمى الأكحلال. وبهذا يكون النص المنظوم عبارة عن اكحلال واحمرار.

أما الشـق الثاني فهو الطرة وتُشـكّل حواشي على هذا النّص، وهي بمثابة المسـائل الواردة في التسـهيل ولم ترد في هذا النص بشـقيه، الأكحلال والاحمرار. وبهذا الجهد العظيم يتسـنى للطالب دراسـة الخلاصة والتسهيل في كتاب واحد، بشكل سهل وسلس. إذ يجد المسائل مُصنفة ومُبوبة بشكل واضح، وبأسلوب يجمع بين النظم والتهميش.

ومن هنا تظهر عناية الشـناقطة بالنظم الذي يرونه ضـروريا لتسـهيل حفظ المتون، وهو مـذهـب طـالمـا تبنَّوه ودافعوا عنـه، وليس قول محمـد بن ابّ (ت1140 هـــ) في مقـدمـة نظمـه للأجرومية إلا دليلا على ذلك:

وبـعـدُ فـالـقصـــدُ بِـذا المـنـظـومِ تســـهـيـلُ مـنـثـورِ ابـنِ آجـرومِ

لِـمَـنْ أرادَ حـفـظَـه وعسُـــــــــرا عليـهِ أنْ يحفظ مـا قـد نُثِـــــــــرا

وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد المامي:

والنثر حفظه من القلائل لا ســـيـمـا إن كـان كـالـدلائـل

والـنـظـم قـهـرا داخـل الألـبـاب بـغـيـر إذنٍ لانـفـتـاح الـبـاب

فكان اهتمام الشناقطة بالنظم من هذا الباب.

الصـرف: من أشـهر كُتب ابن مالك المتداولة في فنّ الصـرف، كتابه لامية الأفعال، وقد فعل معه الحســن بن زين القناني، ما فعل ابنُ بونه مع الألفية، حيثُ مزجها باحمرار، وجعل عليها طرة، وأصـبحت هي المقرر الأسـاسـي في المحظرة، وتُعتبر مرحلة عليا. وقد وضـع مشـايخ

المحاظرفي هذه الطرة قدرا من الأنظام التي تجمع شتات المسائل المتفرقة التي لم يذكرها الحسن بن زين ولا ابن مالك. حتى غدت درة نفيسة، ولا تزال كسابقتها تُدرّس في المحاظرحتى وقتنا الحاضر.

اللغة: لئن كان اهتمام الشناقطة باللغة يعتمد في المقام الأول على الشعر الجاهلي، كالمعلقات مثلا وديوان غيلان وغيرذلك. إلى جانب اهتمامهم بالقاموس المحيط للفيروزآبادي، حتى عُرف عن بعض المشايخ حفظه له. فقد كان اهتماهم أيضا بكتابَيْ ابن مالك: "الإعلام بمثلث الكلام"، "وتحفة المودود بمعرفة المقصوروالممدود" كبيرا، فما زال طلاب المحاضر يَدرُسونهما في وقت مُبكّرمن مراحلهم الدراسية، ذلك أنهما يُمثلان المستوى المتوسّط تقريبا، وقد شرحهما المشايخ واهتموا بهما اهتماما خاصا.

ومن شروح تحفة المودود بمعرفة المقصوروالممدود، "مرقاة الصعود إلى معاني تحفة المودود بمعرفة المقصوروالممدود" لمحمد بن محفوظ بن المختارفال، وقد شرحه مشايخ آخرون، كأحمد الأمين الشنقيطي، فقد طُبع شرحه في كتاب يضم الإعلام بمثلث الكلام وتحفة المودود معا. وهكذا اعتنى الشناقطة بمؤلفات ابن مالك عناية خاصة، جعلتها في صدارة المقررات المحظرية.

ترسيخ الدرس المحظري: تعتمد المحاظرفي ترسيخ الدرس في ذهن الطالب على مسائل منها:

- نظم المسائل الصعبة وإخراجها على شكل ألغاز. والغالب أن تُنظم حلول لتلك الألغاز.
- الاختبار: ويُسمى محليا ب "الزَّرْگْ"، وهو عبارة عن اختبار يُقدّمه الشيخ لطلابه فرادى، ليرى مدى استيعابهم للفن المدروس، ومن رسب فيه يُقال عنه فلانٌ "طَاحْ". ويكون في ليلة الاثنين وليلة الأربعاء غالبا، وأحيانا يكون في ليلة الأربعاء وحدها. أما القسم الثاني منه أي (الزَّرْگْ)، فهو عبارة عن سَمَرٍيكون بين الطلاب، يتبارون فيه، ويختبربعضهم بعضا. وهذا السمر مُستَمرٌزمن الدراسة، كل ليلة. والأغلب فيه أن يكون مفتوحا، حيثُ يشمل النحووالصرف وأشعارالعرب و أيامها، والأصول والأنساب والقراءات ... إلخ.
- شرح الطالب لنفسه، وذلك بعد شرح شيخه، حيثُ يجلس وحيدا ويجعل من نفسه شيخا وطالبا في نفس الوقت. فيقول مُخاطبا نفسه وكأنه الشيخ ابدأ، فيبدأ بشخصية الطالب في سرد الدرس، ثم يردّ عليها بشخصية الشيخ، معنى كذا كذا، وكذا كذا، هل

فهمت، يُجيب بشخصية الطالب نعم، ثم يردّ بشخصية الشيخ، طيب واصل، وهكذا حتى يُنهي الدرس، بعد أن جعل من نفسه شيخا وطالبا متخيَّلَيْن. وهذه الطريقة تتكرر كل يوم بعد كلّ درس.

خاتمة

رأينا في هذا البحث كيف كانت منطقة المغرب الإسلامي تزخر بالعلم والعلماء، وقد تناولنا في هذه العجالة نموذجا منها، يُمثّل جزءها الصحراوي البدوي. فلئن ذكرنا بعض مراكز العلم في هذه المنطقة مع اختلاف الحِقَب، كقرطبة، وفاس، ومراكش، وغيرها، فقد لا يستغرب القارئ ذلك. لارتباط العلم في أذهان الناس بالمدينة والحضر، فكان اختيارنا لهذا النموذج البدوي عن قصد، لأجل إعطاء صورة عن المنطقة ككل. إذْ "من الصعب على من لم ير المحاظر أن يتصوّرها. وذلك أن البداوة تقترن في الذهن بالغباوة والجهل، فالثقافة جزء من الحضارة.

ومراكز العلم والتدريس تقترن غالبا بالمعاهد والجامعات المشيدة، التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها، غير أن المحاظر فريدة في نوعها، فهي أحياء البدو الذين يتبعون المراعي منتقلين من ضفاف نهر السنغال إلى وادي الساقية الحمراء، تُصادف شيخا كسائر البداة، متقشفا في ملبسه ومظهره، ولا يمتاز بشيء عن سكان الحي، سوى ان ترى أمام بيته مجموعة من الشبان يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة، تسكن تحت الشجر وفي عريش من خشب وثمام، وتُعيد بناءه كلما ارتحل آل الشيخ"[1].

فكان تركيزنا على هذا النّموذج من جانب غرابته هذه، كما كان تركيزنا على ببعض مؤلفات ابن مالك داخلَ هذه المؤسسات التعليمية البدوية، عن قصدٍ، وذلك ليكون البحث كله داخل هذا الحيّز الإسلامي الشاسع.

مصادر البحث:

ـ الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987

[1]. الشعر والشعراء، سابق ص29/28

ـــ السـيوطي جلال الدين عبد الرحمن، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1/ 1384هـ 1964م/ ج1

ـــ حسـن احمد العثمان، تحقيق إيجاز التعريف في علم التصـريف، لابن مالك، المكتبة المكية، مؤسسة الريان، ط1/ 1425 هـ 2004م

. محمد المختار ولد اباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان الرباط، ط2/ 1424 . 2003

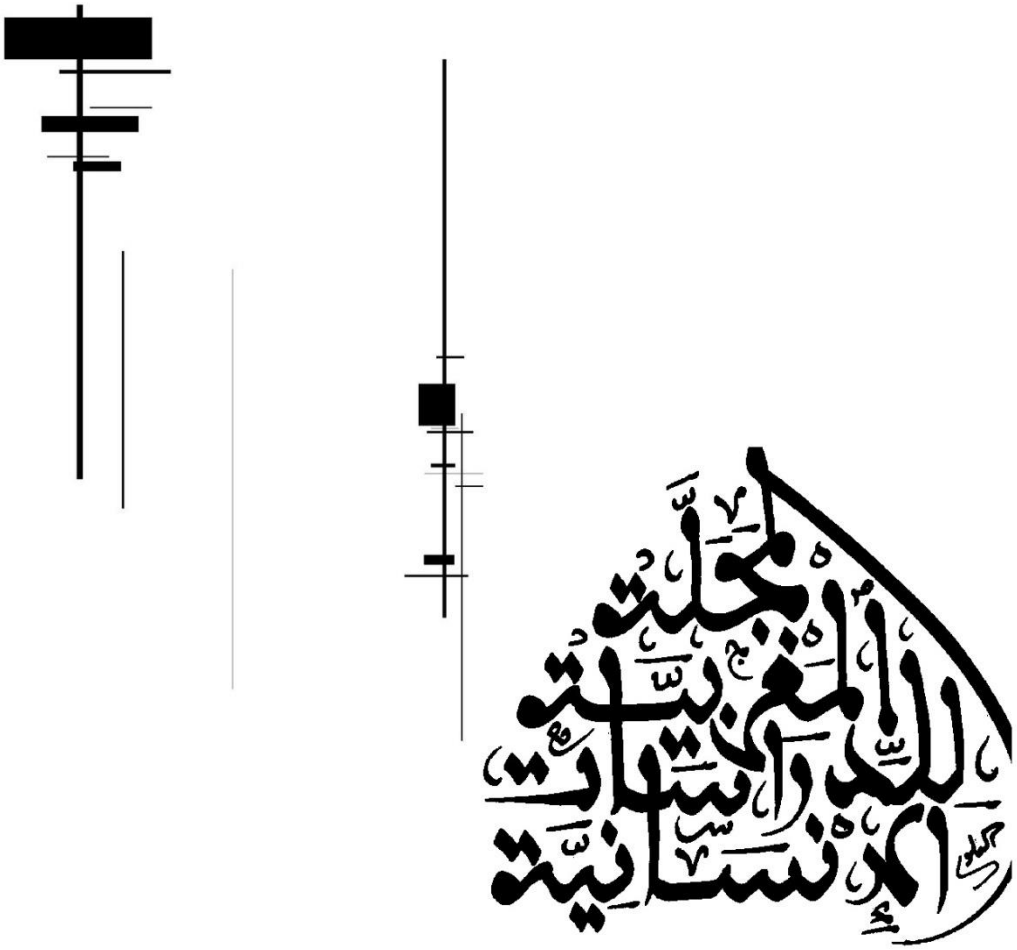

علوم اللغة العربية جسر التواصل العلمي بمنطقة الغرب الاسلامي: الأندلس وفاس نموذجا

نعيمة شهبون، باحثة في الدكتواره،

مقدمة

انتشرت اللغة العربية انتشارا كبيرا بفضل الفتوحات الإسلامية، و اتسعت رقعة الوطن العربي، وتكونت له حضارة لغتها عربية، وأدبها عربي، وثقافتها عربية، حتى إن أبا تمام قال:

بالشام أهلي وبغداد الهوى و أنا
بالرقمتين وفي الفسطاط إخو اني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تبلغني أقصى خراسان

ولقد مكن الله اللغة العربية ما لم يمكن لغيرها من اللغات. وصـــدقها الســـعي، وعقد آمالها بالفوز، فجعل منها لغة الدين، ومد بحبلها أسباب العلم، وبسط بعها ذرعة الفكرووصلته في بقاع شاسعة واسعة ، وصارت بفضل كتاب الله الذي حمل رسالة الإسلام لغة إنسانية، باقية ما بقي هذا الدين و«أن أمما كثيرة تركت لغتها تتطوروتتفرع إلى لغات كثيرة دون أن تعنى بضبطها والوقوف في ســـبيل تطورها، ولكن علماء الإســـلام عنوا بضـــبط لغتهم من أجل المحافظة على القرآن الكريم.

لذلك كانت علوم العربية ومعرفتها ضرورية لعلوم الشريعة لأهل الشريعة، اذ أن الأحكام الشـــرعية مأخوذة من الكتاب والســـنة ، وهي بلغة العرب ، فلابد لمن أراد علم الشـــريعة معرفة العلوم المتعلقة بالسان العربي أولا[1].

[1] محمد المنوني، العلوم والفنون والآداب، ص 56.

كما تعتبر اللغة العربية من اللغات السامية، و هي اللغة التي تحدث بها سكان شبه الجزيرة العربية، وإليها تنسب، لذلك كانت أقرب اللغات السامية إلى أصلها، لأن العرب لم تخالط غيرها كثيرا، ولم تخضع لحكم دولة أجنبية مدة طويلة[1].

وقد أنزل الله القرآن بلسان عربي فصيح ، وهو ما شرف العرب واللغة العربية وهو ما جعلها جزءا من الدين الاسلامي وهو ما ساهم في انتشارها بانتشاره،وقدر لها الخلود لارتباطها بكتابه المنزل.

وقد أدى تدوين العلوم إلى تعدد فروع اللغة العربية ، وصار علم اللغة: وهو العلم الذي يبحث عن مدلولات الألفاظ والمفردات، وعليه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب ومنفعته: طلاقة العبارة وجزالتها، والتمكن من التفنن في الكلام و ايضاح المعاني بالبيانات الفصيحة [2]، ونظرا لارتباط الاندلس بالمغرب لفترات سياسية طويلة أو ما يعرف بالغرب الاسلامي ، فقد قام العلماء الاندلسيون في مدينة فاس بجهودكبيرة وملحوظة في ميدان اللغة العربية، وشرح مؤلفاتها، الأمر الذي ساعد على تطور اللغة العربية وعلومها ، وكافة فنونها، وهذا ما سنوضحه من خلال هذه المقالة، ونذكر من العلوم:

1 . علم اللغة العربية.

يقوم هذا العلم كما يذكره ابن خلدون ببيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي، في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى ادى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم[3].

ولقد كانت جامع القرويين وباقي مدارس فاس الأخرى مركز استقطاب العديد من علماء اللغة العربية الذين اثروا في نهضة هدا العلم [4].

ومن بين أشهر علماء اللغة الاندلسيين بفاس الذين قاموا بتعليم اللغة العربية نذكر:

---

[1] احمد الاسكندري و مصطفى عنان، الوسيط في الادب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر، ب ت ، ص 5.

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 467، علي بن محمد بن سعيد الزهراني ، الحياة العلمية في صقلية الاسلامية، ص 368.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 481.

[4] جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،285.

ـ محمد بن أغلب بن موسى المرسي (ات 511هـ/ 1117م)[1].

ـ محمد بن حكم بن أحمد بن باق السرقسطي (ت 538هـ/ 1143م)، كان اماما في اللغة، أخد عنه الكثير من فنون اللغة حيث قام بتدريسها في فاس[2]،

- احمد بن عبد الجليل التدميري (ت 555هـ/1160م)، من أعماله في مجال اللغة كتاب : نظم القرطين وضم أشعار السمطين، جمع فيه أشعار" الكامل" للمبرد، و" النوادر" لأبي علي البغدادي وكتاب " التوصية في اللغة العربية، وشرح على كتاب " الفصيح"، وله شرح في أبيات الجمل أسماه "ضفاء الصدور"[3].

ـ وبرز من علماء فاس في اللغة:

ـ احمد بن محمد بن سعيد بن معاد اللخمي (592هـ/ 1195م)[4]،

ـــــ محمد بن يحي العبدري الفاسي (ت 651هـ/ 1253م)، وكان امام في العربية ، ذاكرا للغات والآداب، اخد علم العربية و الآداب عن النحوي أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي در الخشني، و أكثر عنهما، و أكمل الكتاب على ابن خروف تفقها وتقييد وضبطا[5].

2 ـ علم النحو.

انتقلت العلوم وبالأخص الدراسات النحوية إلى فاس التي كانت سبب الوحدة الفكرية بين الأندلس و المغرب ابتداء من القرن الرابع الهجري، فدخل الغرب الإسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري ، وهو ما جعل مساجد قرطبة بصفة خاصة تعج بأعلام العلماء ، وتزخر

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج1، صص 412 .413، ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1،ص 254، المراكشي الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات ،ج2، ص 351.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 369، ابن فرحون، الديباج المذهب،ج1،صص 264.263، السيوطي، بغية الوعاة، ج1،ص 69.

[3] ابن الابار، التكملة، ج1، ص65، المعجم ، ص 41، ابن القاضي، جدوة الاقتباس ، ج 1،ص 138، السيوطي، بغية الوعاة، ص 138، ابن عبدالملك ، الديل والتكملة، ج1، ص 65.

[4] ابن الابار، التكملة، ج1، ص 89، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 323، ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، صص 143.142.

[5] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج 3، صص 156.154، السيوطي ، بغية الوعاة، ج1، ص 266، ابن القاضي ، جدوة الاقتباس،ج1، ص 221.

مكتباتها بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والأدبية ، أيام عبد الرحمن الناصـــر و ابنه الحكم المستنصر.

وتأكدت أهمية هذه المنطقة في عهد المرابطين والموحدين ، الذين تمكنوا طوال قرنين ونيف من إقامة إمبراطورية مترامية الأطراف ضـــمت أقطار شـــمال إفريقيا و الأندلس، وهو ما شـجع العلماء على الانتقال بين بين إرجائها الواســعة من أجل طلب العلم والمعرفة، فكانوا يملون ويؤلفون ، وينالون من ضروب الإكرام والتشجيع ألوانا..

فنالت الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية أوفى نصيب خلال هذه الفترة، مما ساهم في رواج كتاب "ســيبويه" أعظم رواج، وقد احتضــنت مدينة فاس التي كانت عاصــمة المرينيين العديد من العلماء خاصة بعد سقوط غرناطة ، وقد عرف الغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري مجموعة من الأزمات والمحن كادت تعصف بثقافته، لولا جهود المرينيين الضخمة فيما بعد، والمتمثلة في تشييد المساجد والمدارس الفخمة ، وتشجيع المعلمين والمتعلمين في كل جهات المغرب ، وفي تقديم العون المادي والمعنوي لمملكة غرناطة ، فكان ذلك الأثر المحمود في إحياء العلم بالعدوتين وأعطى الدراســات النحوية و اللغوية فيهما ، وبخاصــة كتب ســيبويه نفســا جديدا[1].

كما احتضــنت فاس مهاجري الأندلس بعد ســقوط غرناطة الين حملوا معهم علومهم " ولما حم القضاء، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين في الأندلس في نهاية القرن التاسع ضمت العدوة الجنوبية مختلف المقومات الحضـارية مع آخر المهاجرين الاندلسـين، وأصـبحت مدينة فاس دار مقام لعديد من الأسر النبيلة، وفي مقدمتها أبي عبد الله النصري أخر ملوك بني الأحمر.، وبذلك امتزجت الحضــارة الأندلســية بالحضــارة المغربية امتزاجا تاما، ولم تنطفئ ذبالة تلك الثقافة الأصلية، ومعها الدراسات النحوية ، وكتاب سبيويه[2].

وعليه يمكن القول أن علم النحو الذي كان بفاس إنما جذوره أندلســية ، وهذا ما أكده ابن خلدون في زمانه ، حيث قال (لم يتصــدر من الفاســين من يقرئء " الكتاب" كما هو متناول

[1] محمد مختار ولد اباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1422هـ/2001م، ص 269.

[2] محمد مختار ولد اباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، صص 269.270.

بين أهل الأندلس ، مثل ابن أبي الربيع و الشلوبين وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق[1].

ومن أشهر العلماء في فاس الدين تصدروا تدريس علم النحو:

.خلف بن يوسف بن قرمون النحوي (من القرن 6ه /12م)، كان من أئمة النحاة الأدباء الثقات الأخيار، أخد عنه كثير من الناس علم الأدب والنحو بالأندلس والمغرب، و انتقل إلى فاس ودرس فيها علم النحو[2]،

.أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت 519ه/1125م)، كان بارزا في علم النحو، حافظا للغات[3]،

.أبو جعفر بن باق (ت 538ه/1143) حيث عمل على تدريس (كتاب سليويه) فيها[4]،

-عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى ، أبو القاسم الأموي الاشبيلي النحوي المعروف ياين الرماك (ت 541ه/1146م)، كان أستاذا في العربية، مدققا بكتاب سبيويه، وقام بتدريسه بفاس[5]،

- محمد بن أحمد لن طاهر الحدث الإشبيلي (ت 580ه/1184م)، أخد العربية عن ابي القاسم ابن الرماك وغيره وساد أهل زمانه في العربية ودرس في بلاد مختلفة وكان قائما على كتاب سيبويه ودرسه بفاس ، وله عليه تعليقة سماها " الطرر" لم يسلق لمثلها أحد وكان يتعاطى التجارة، أخد عنه أبو در الخشني و أبو الحسن ابن خروف[6]،

.إبراهيم بن إبراهيم لن محمد الأنصاري المقرئ المعروف بالعشاب (ت 583ه/1187م) من علماء لشبونة واستوطن مدينة فاس ، وكان عالما بالنحو[7]،

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج 1، ص 244.

[2] القاضي عياض، فهرس شيوخ القاضي عياض،، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب،، تونس، 1978، ص 211.

[3] ابن عبد الملك ، الديل والتكملة، السفر الأول ، القسم الأول، ص 185.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 369، ابن فرحون ، الديباج المدهب، ، ج 2، صص 263.264،، السيوطي ، بغية الوعاة، ج1، ص 69..

[5] السيوطي، بغية الوعاة، ج 2، ص 18.

[6] السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 28، ابن الاباؤ ، التكملة، ص 249، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 197.

[7] ابن القاضي، جدوة الاقتباس،، د1، ص 89.90، ابن الابار، التكملة، ج1، ص 158..

- مصعب بن محمد بن مسعود أبو ذر الخشني (ت 604هـ/1207م)، ويعرف كبيه بابن الركب ، والخشني نسبة إلى خشين قرية بالأندلس ، وهو قاض ومن العلماء بالحديث والسير والنحو ، ومن كتبه في اللغة شرح الإيضاح ، وشرح الجمل، واستقر بمدينة فاس ، و أقام بها يدرس العربية حتى وفاته [1]،

ـ علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي (ت 609هـ/1212م) تعلم العربية باشبيلية وبفاس له شرح على كتاب سيبويه أسماه " تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وله "شرح" على كتاب "الجمل" ، كما أن له رد في العربية على أبي يزيد و ابن مضي[2]،

. محمد بن علي بن أحمد الخولاني (ت 754هـ/1353م)، بابن الفخار و بالإيبيري وسيبويه العصر، وأخر الطبقة من أهل هذا الفن، كان فاضلا ، تقيا عاكفا على العلم، ملازما للتدريس، جدد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب ، من لدن وفاة أبي علي الشلوبين ، كما وظف في أعمال السفارة إلى العدوة مع مثله من الفقهاء، وهو ما منحه الشهرة والإقبال على دروس علمه[3].

ومن أعيان علماء النحو الفاسيين:

ـ علي بن حسن أبو الحسن الصديني (توفي بعد 600هـ/1203م) من أهل فاس أخذ كتاب سيبويه عن أبي بكر بن طاهر الخذب، ولى قضاء غرناطة و أقرأ بها العربية والاصول وغير ذلك، كان بارعا في معارفه، جليلا في علومه[4]،

. ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف المغيلي (ت 619هـ/1221م)، من أهل فاس وبها نشأ تم سكن غرناطة، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن السراج، كان على معرفة بالقراءات والعربية ومشاركة في الأدب[5]،

---

[1] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص 49، ابن الابار، التكملة، ص 358،، الحميري، الروض المعطار صص 7271.، المقري، نفح الطيب، ج4، ص 1037.

[2] ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج2، ص 284، ابن الابار، التكملة، ج3، ص 226.

[3] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 23، السيوطي ، بغية الوعاة، ج1، ص 131.

[4] ابن الزبير، صلة الصلة، ص 149.

[5] ابن القاضي، جدوة الاقتباس،ج2، ص 397، ابن الابار، التكملة،ج 3،ص 55، محمد المنوني، العلوم والفنون والادآب، ص 63.

ـ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت 807هـ/1404م)، إمام النحاة في فاس، وهو آخر من درس كتاب " سيبويه" بها وبعده صار العمل على "ألفية ابن مالك"، ومن مصنفاته "شرح مقدمة "ابن أجروم"،و" ابسط في التعريف بعلم التصريف"، و" شرح المقصود و الممدود لابن مالك" و "نظم المعرب من الألفاظ"، و" شرح ألفية ابن مالك" و" المقصورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم [1]،

-محمد بن يحيى العبدوسي الصدفي (ت 651هـ/1253م)، أخد العربية عن ابن خروف و أبي ذر الخشيني ، وكان ذاكرا للغة حسن الإقراء جيد العبارة [2]،

- أبو عبد الله محمد بن محمد لن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم (ت 723هـ/1323م)، ولد بفاس وتوفي بها ، وكان من أشهر علماء عصره في علم النحو، صاحب مقدمة النحو، تصدر للتعليم في جامع الأندلس، درس على يديه الكثير من علماء النحو، أوردهم الكتاني في كتابه حينما ترجم له[3]،

. النحوي أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الصنهاجي، ويعرف بالقصار[4].

وفيما يخص أهم المؤلفات العلمية النحوية التي كانت تدرس في فاس نجد: كتاب سيبويه، وكتاب الإيضاح، وقام بتدريسها في فاس رئيسا النحويين في المغرب وهما أبو القاسم بن الرماك ومحمد بن طاهر الخدب[5]، وألف محمد بن احمد الخدب الأنصاري كتاب " الطرر" وهو تعاليق على كناب سبويه[6]، وكان يدرس ايضا في فاس مصنف العلامة اللغوي النحوي أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشيني،ومصنفه هو "شرح كتاب سيبويه" و "شرح الايضاح"، و

---

[1] ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ص 259.

[2] ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص 221.

[3] ابن الأحمر،، أعلام المغرب والاندلس، ض 419.416،، ابن القاضي، جدوة الاقتباس،، ج1،صص 223.221، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، صص 239.238، الكتاني، سلوة الانفاس، ،ج 3،ص 112، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ، ص 61، عبد الله كنون، مشاهير المغرب، صص129.

[4] ابن الأحمر، اعلام المغرب والاندلس،، ص 427.

[5]ابن ذحية الكلبي،، المطرب في أشعار أهل المغرب،ص 43،ابن عبد الملك، الذيل والتكملة،، ج5،صص 649.648،، ابن الابار،التكملة،ج2،ص532.

[6]ابن القاضي، جدوة الاقتباس،ج1، ص 281.

"شـــرح الجمل"[1]، وكتابي " الرد على النحاة" و " المشـــرق في النحو" لأبن مضـــاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حارث اللخمي[2].

3. علم الأدب.

ويقصـــد به الإجادة في فني المنظور والمنثور على الأســـاليب والمناحي العربية، جامعا من خلاله مســـائل قي اللغة والنحو ، تســـتخلص منها بعض قوانين اللغة العربية، كذلك ذكر بعض أيام العرب و المهم من أنســـابهم الشـــهيرة وأخبارهم العـامـة[3]، وكان ميـدان الأدب التراســـل والمراسلات الرسمية، وقد تأثر الأندلسيون بالمشارقة في تفضيل البلاغة في الرسائل السلطانية، والميل المتزايد للسجع وغيره من المحسنات اللفظية فحدوا حدوهم[4] .

و اشـتهر أهل فاس بالذكاء كما وصـفهم بعض المؤرخين ، كما وصـفوا مدينتهم بأنها قلعة لرجال الأدب و المثقفين أكثر من أي مدينة أخرى ، حيث تعد مركزا عظيما ، يجتمع فيه عدد كبير من الحكماء والعاملين بالأدب والشعر[5].

ومن العلماء الأندلسين الذين تابعوا نشاطهم العلمي بفاس:

ـــ أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس (ت 511هـ/1117م)، كان عالما بالعربية والآداب مشاركا في غير ذلك، ومن أحســـن الناس حظا وأصـحهم نقلا وضـبطا، وكان من المعلمين المتجولين، كما عمل على تعليم أبناء المعتمد محمد بن عباد الراضـي (يزبد والمامون) وسـكن ألمرية وأجاز البحر الى المغرب فنزل مدينة فاس، وكانت وفاته بمراكش[6].

في حين تولى البعض منهم الكتابة للحكام منهم:

---

[1] الذهبي، ير أعلام النبلاء،، ج21، ص 481.

[2] الظبيبي، بعية الملتمس،ص193، ابن الابار التكملة ، ج1، ص 89، ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1،،ص 142.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج 2،ص 357.

[4] مونتغمري واث، في تاريخ اسبانياالإسلامية ، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،لبنان، الكبعة الأولى، 1994، ص 87.

[5] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 36،الجزناتي، زهرة الآس، ص 39، ابن القاضي، حدوة الاقتباس، ج1، ص 143.

[6] ابن الابار، التكملة، ج 1، ص 413،412، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 254، ابن الخطيب، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج2، ص 351.

ـ عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (ت 540هـ/1145م)، الذي تولى الكتابة بفاس و مراكش في عصر المرابطين، لأنه كان أديبا حافلا ، كاتبا بليغا فصيحا[1]،

ــ لسان الدين الخطيب الذي تولى كتابة المراسلات والسفارات الى دولة بني مرين، وقد حفظ لنا الكثير من هذه المراسلات وسجلها في كتابه " كناسة الدكان بعد انتقال السكان" ، و"ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب" مما كان له أكبر الأثر في إثراء هذه الفترة التي عاصرها بالكثير من المعلومات المتعلقة بالمراسلات والسفارات بين مملكة غرناطة و دولة بني مرين[2]،

ـ ابو القاسم عبد الله بن يوسف المالقي (ت 783هـ/ 1381) صاحب القلم الأعلى بالمغرب، ارتسم بفاس على كتاب الإنشاء بالباب السلطاني لما عرف عنه في إجادته في فقه الوثائق والبلاغة والترسل عن السلطان ، وإجادته في كتابة الشعر،إلا أنه عاد بعد دلك إلى الأندلس، وكاتب السلطان الذي استدعاه للاستقرار في فاس لما عرف عنه من إتقانه لجميع العلوم[3].

ومن الفنون الأدبية النثر، فقد تعددت فنون النثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفا في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها بعض ما أملتهم ظروف حياتهم وبيئتهم، وقد شاع فيهم تصنيف كتب برامج العلماء، التي تضمنت ذكر شيوخهم ومروياتهم وإجازتهم، وكان للكتاب مزية الجمع بين الشعر والنثر والإجادة فيهما.

ومن فنونه فن الكتابة الإخوانية وممن اشتهر بهذا الفن من الأندلسيين الذين استقروا في المدينة من أهل غرناطة عبد الرحمن بن أحمد الأزدي(ت 576هـ/1180م)[4]،

وظهر فن المقالة على يد:

[1] ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص540، السيوطي، بغية الوعاة، ص 104.105، الضبيني، بغية الملتمس، ص 121، حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 716، البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 89.

[2] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ، دار المنصور للطباعة، الرباط،1972، ص 142.143.

[3] المقري ، نفح الطيب، ج 6، صص 106.112.

[4] الن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج3، صص 482.483، ابن فرحون ،الديباج المدهب، ج1، صص 429.430، المقري، أزهار االرياض،، ج3، صص63.15.

. محمد بن أحمد بن جبير الذي استوطن فاس في عصر الموحدين، وكانت له أسفار كثيرة في فضل مناسك الحج منها مقالة سماها " رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكثيرة و المناسك"، كتبها إلى وليه أبي الحسن بن مقصر من فاس بعد عودته من المشرق سنة 593هـ/1197م[1]،

ـــ لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) من أهم مؤلفاته في الأدب " كناسة الدكان بعد انتقال السكان" الذي ألفه أيام لجوئه لسلطان المغرب ما بين (760هـ/1358م) و (763هـ/1361م) "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"، وغلب عليه في كتابته أسلوب الرسائل الديوانية والأدبية في الأندلس جمع فيه رسائل في شتى الأغراض السياسية و الدينية والاجتماعية لسلاطين المغرب ، وصاغها بأسلوب من أقوى الأساليب وأجزلها، دلت كتابته على النفس الطويل ، والإنتاج الأدبي الغزير القادر على التنويع ، في لغة عدبة رغم الزجالة والقوة الظاهرة في كتابته[2]

ونضيف نوع من الرسائل التي أوردها ابن الخطيب في كتابه، وهي الرسائل السلطانية، وهي الرسائل التي كان يكتبها ابن الخطيب للجهات السلطانية المختلفة، والتي زادت من توثيق العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى، وهذا ما تميزت به المكاتبات الأندلسية وما تميز به ابن الخطيب من إبداع خاص في هذا الشأن[3].

وقد ساعدت هذه الرسائل التي أوردها ابن الخطيب في كتابه " ريحانة الكتاب"، والتي تولى هو كتابتها، إلى التواصل الدبلوماسي بين المغرب و الأندلس ، وحرص أغلب الكتاب من بعده على العناية بظاهرة الزينة اللفظية، وإن كان بعضهم قد تصدوا لظاهرة سيطرة البديع على النثر، كما فعل ابن خلدون (ت 808هـ/1405م)، فحين تولى ديوان الإنشاء أيام أبي سالم المريني (ت 762هـ/1360م)، فضل الكلام المرسل على انتحال الأسجاع في الكتابات الرسمية.

ومن أهل فاس الذين اشتهروا في فن الكتابة أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد الانصاري الخزرجي الشهير بالدباغ، وفيه يقول ابن الأحمر" هو فارس هذا الميدان و إنسان عين

---

[1] ابن عبد الملك، الديل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص 595.

[2] المغراوي، التواصل الدبلوماسي بين الاندلس النصرية والمغرب المريني من خلال رسائل ابن الخطيب الاندلسي صص 73،76،82.

[3] المغراوي، التواصل الدبلوماسي بين الاندلس النصرية والمغرب المريني، ص 95.

الزمان، له نظم رائع جمع فيه بين الجزالة والحلاوة ، ونثر فائق عليه رداء الطلاوة ، وباع عظيم في نقد الادب ومشاركة في فنون شتى من الطلب .."[1]

4. الشعر

نظم الأندلسيون الشعر في الأغراض التقليدية كالغزل والزهد والتصوف والمدح والرثاء، وقد طوروا موضوع الرثاء فأوجدوا رثاء المدن، والممالك الزائلة والشخصيات ، وتأثروا بأوضاع العصر السياسية فنظموا شعر الاستغاثة، وتوسعوا في وصف البيئة، ولاسيما الأندلسية واستحدثوا فن الموشحات وهو من فنون النظم الخارجة عن بنية القصيدة[2] و الأزجال وهو نوع من أنواع الأدب الشعبي وسمي كذلك لأنه يلتزم به ويفهم مقاطيع أوزانه[3].

وقد عرف فن الموشحات استحسانا كبيرا لدى أهل فاس إذ " ولعوا به، ونظموا على طريقته، وكثر شياعه بينهم، واستفحل كثير منهم.."[4]

ومن أغراض الشعر التقليدية عند الأندلسين بفاس : الشوق والحنين إلى الوطن ، واشتهر خاصة في العهد المريني حينما لجأ بعض رجال الأندلس إلى مدينة فاس لظروف سياسية أبعدتهم عن بلادهم ومن بينهم ابن الخطيب[5]، وإسماعيل بن الأحمر الذي أخرج هو وأهله من الأندلس و أقاموا في فاس في حضرة بني مرين[6].

كما تغنى الشعراء بوصف الطبيعة سواء في مدينة فاس أو بالأندلس، وممن وصف فاس في شعره المغيلي الفاسي (ت 619هـ/1221م) في قصيدة يقول فيها:

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى ٍوسقاك من صوب الغمام المسبل[7]

---

[1] ابن الأحمر، أعلام المغرب والاندلس، صص 399.401.

[2] السيد احمد الهاشمي، ميزان الدهب في صناعة شعر العرب،مكتبة عباس الباز، مكة،1399هـ، ص 144.

[3] محمد زغلول سلام زغلول،الأدب في العصر المملوكي،، منشأة المعارف، الاسكندرية، ب ت،ج 3،ص 415.

[4] عبد الإله بنمليح، مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس والأربعون، الرباط، 1429هـ/2008م، ص 279.

[5] ابن الحطيب، اللمحة البدرية، ص 82.

[6] ابن الأحمر ،أعلام المغرب والاندلس، ص 25.

[7] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص 727. ج 7،

ومن الشـــعراء الأندلســـين الذين تغنوا بجمال فاس خلال إقامتهم بها ابن الخطيب إذ يقول:

وبلد إعارتها الحمامة طوقها && وكساه حسن جناحه الطاووس[1]

ومن أغراض الشـــعر شـــعر الاســـتغاثة، ويقوم على اســـتنهاض عزائم ملوك المغرب والمســـلمين، لنجدة إخوانهم في الأندلس ، ولقد برزهدا في عصـــر بني الأحمر، حينما أرســـل ابن الأحمر سـلطان غرناطة إلى السـلطان يعقوب بن عبد الحق يسـتعطفه على لسـان شـاعره أبي عمرو بن المرابط، بقصيدة يقول في مطلعها:

هذا الهوى ذاع فهل من مسعف && بإجابة و إنابة أو مسعد

وأصدر السلطان المريني جوابه بنظم شاعره عبد العزيز الملزوري يقول في مطلعه : لبيك لا تخشى اعتداء المعتدي [2]

وقد ادخل الأندلســـيون للشـــعر فن التوشـــيح ، والســـبب في ذلك هو وفود العديد من الوشـــاحين للمغرب[3]، كما أدخلوا إليه الزجل الأندلســـي وفي هدا الصـــدد يقول ابن خلدون عن نشـأة هذا الفن بالأندلس وسـهولة انتشـاره بين أهلها " ولما شـاع فن التوشـيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموه في طريقتهم بلغتهم الحضـرية من غير أن يلتزموا إعرابا ، واسـتحدثوا فنا سـموه بالزجل.[4]

ويوجد صـنف ثالث من الموشـح وهو ما يسـمى بعروض البلد[5]، ويبين ابن خلدون دخوله إلى فاس فيقول:"...تم اســـتحدث أهل الأمصـــار بالمغرب فنا آخر من الشـــعر في أعارض مزدوجة كالموشـح، نظموا فيه بلغتهم الحضـرية أيضـا، وسـموه عروض البلد ، وكان أول من اسـتخدمهم

[1] ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 273.

[2] ابن خلدون، ديوان المبتدأ..، ج7، صص 199.200.

[3] محمد زروق، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (6هـ/17م)، افريقا الشرق، 1998، ص 38.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ج 3، ص 404.

[5] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، صص 129.130.

فيه رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح، ...فاستحسنه أهل فاس ، وولعوا به ونظموه على طريقته..."[1].

ومن فنون الشعر الأندلسي المتطورة في فاس الشعر التعليمي، ويراد به الأراجيز والمنظومات التاريخية والعلمية ، وهو لا يلتقي مع الشعر الفني الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة إلا في صفة النظم و يستقل في الرجز كل شطر بقافية.

ولمع في البلاط المريني عدد كبير من الشعراء الأندلسين الذين وفدوا إلى فاس ، وذلك بفضل تشجيعهم للأدباء والشعراء ، وإجزالهم العطاء لهم، ومن هؤلاء الشعراء نذكر:

ـــ محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (757هـ/1356م) من أهل مالقة وسكن غرناطة وتردد إليها، عمل بالعدوة طبيبا ، وتولى النظر على المارستان بفاس[2]

ـ ابن الحاج النميري الغرناطي (ت 768هـ/1366م)[3]، الذي غدى البيئة الأدبية في المدينة بكثير من ألوان الشعر، روى عنها المقري في كتابه نفح الطيب.

ـ ولسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م)، الذي عاش فترة طويلة بفاس، وكانت قريحته تتجاوب مع الإحداث والمناسبات التي تمر بها الدولة المرينية في الفترة التي أقام بها بفاس، وقد وصفه ابن خلدون بأنه شاعر الأندلس والمغرب بقوله:" صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره"[4]

ومن أشهر الشعراء الفاسين نذكر:

ـ أبو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي (ت 570هـ/1174م)، قال فيه المراكشي " كانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانئ الأندلسي في قصد الألفاظ الرائعة ، والقعاقع المهولة .. إلا أن محمد بن هانئ كان أجود منه طبعا، وأحلى مهيعا. [5]

---

[1] المقري، نفع الطيب، ج3، ص 606، ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 317.

[2] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص367.

[3] ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج1، ص 350.

[4] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 586.

[5] المراكشي ، المعجب، ص 60.

ـ ابو فارس عبد العزيز الملزوزي، له أرجوزة رائعة سماها " نظم السلوك في أخبار من نزل المغرب من الملوك"[1]

ـــ ابو العباس احمد بن شعيب الجزناتي الفاسي (ت 749هـ/1348م)، وقد كان متطلعا في فنون الأدب حافظا للجيد من الشـــعر، ذكر أنه كان يحفظ عشـــرين ألف بيت للمحدثين[2]، واشـــتهر بشـــعره في الرثاء، وخاصـــة لجاريته (صـــبح) التي أدبها وعلمها العربية، إذ كانت رومية الأصـــل، و ذات جمال ، فأخذت بجمالها لب عقله فهام بها عشقا، فما لبثت أن ماتت فأسف أسفا شديدا على وفاتها وصارينظم فيها الرثاء ، وكان بينه وبين الشيخ جعفربن صفوان في الأندلس صداقة ، فكانوا يتشـوفون إلى اجتماعهم في ضـيعة خارجة مالقة. ينضـاف إلى ذلك أن سـلاطين بنو مرين كان من بينهم شـــعراء هو ما أغنى الســـاحة الأدبية في مختلف فروعها نتيجة التشـجيع والتقدير الذي منحه السلاطين لكل هؤلاء .

خاتمة

تعددت جسور التواصل بين الأندلس وفاس وشكلت الرحلة من أجل طلب لعلم أحد أبرز وجوه هذا التواصـــل، وهكذا وجدنا علماء من فاس رحلوا إلى الأندلس من أجل طلب العلم، في المقابل كان هناك حضـــور قوي لطلاب العلم من الأندلس بفاس ، وقد نشـــطت هذه الرحالات خصـوصـا في القرن السـادس الهجري ، وهو ما سـهل عملية التوظيف الدينية من تعليم وتدريس التي لم تكن تحتاج إلى أذن من الســـلطات خلافا للمهام الأخرى كالقضـــاء والحســـبة التي كانت تحتاج إلى إذن من السلطات.

لقد كانت فاس محطة جدب للعلماء الأندلســـيين، فلم يخل زمان إلا وقد نزلها عـالم أندلســـي ، ونشـــر علمه فيها ، ومن هؤلاء من كان مقرئا ومنهم من كان محدثا ، وكثير منهم من الفقهاء وعلماء اللغة ، ومنهم الطبيب والعشـاب ومن كان من أهل السـياسـة والحكم وغيرذلك، وكل هذا وغيره يصـــب في متانة التواصـــل العلمي بين مدينة فاس والأندلس، ويعود دلك إلى دور الحكام المرابطين والموحدين ومن بعدهم بني مرين في نشـــر الأمن في بلادهم ومنها مدينة فاس، يضـــاف إلى ذلك ازدهار النهضـــة العلمية بفاس، باعتبارها عاصـــمة بني مرين، والذين اشـــتهروا

[1] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1،ص 226.

[2] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص 228.

بحيهم للعلم والعلماء ومجالستهم ، بحيث لم يضعوا أمام العلماء المهاجرين إلى فاس سواء من المغرب أو الأندلس أي عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية ، والتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها أمثالهم من علماء المغرب ، بالإضافة إلى ذلك تشجيع سلاطين بني مرين لحركة التأليف بتقديم الهبات والعطايا للعلماء على مؤلفاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل ، حيث كان العلماء يعرضون عليهم إنتاجهم العلمي والأدبي.

-المصادر والمراجع:

ـــ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة ، لبنان، 1415هـ/1995م.

ـــ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحديثهم وفقهائهم وأدبائهم، مكتبة الحاجي، القاهرة ، الطبعة الثانية ،1414هـ/1994م.

. ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة ، الرباط، 1972.

ـــ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط، 1972،

ـــ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د: يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى،1424هـ/2003م.

ـ ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة جسن محمود، دار الكتب العربي، مصر، د ت.

ـ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة ، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1400هـ/1980.

ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ، 1399هـ/1979م.

. ابن خلدون، المقدمة، دار القلم ، بيروت، الطبعة الثانية ،1981.

ـ ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الأخير من كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، تحقيق ليفي بروفانسال، الرباط ، الطبعة الاقتصادية ، 1973م.

ـــ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974،

.الجزناتي أبو الحسن علي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، مطبعة جوردان ، الجزائر،1922/.

ـــ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1965م.

ـ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى،1423ه/2003م.

حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،دار الفكر، 1402ه/1982م.

ـ السيوطي عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، د ت.

ـ القاضي عياض، فهرس شيوخ القاضي عياض، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1978م.

ـــ الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، 1424ه/2003م.

ـــ الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

ـــ الكلبي ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1978.

ـــ المراكشي العباس بن إبراهيم، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الملكية، الرباط، 1393ه/1984م.

ـــ الصـفدي صـلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار النشر فرانزشتايز، بفسبادن، الطبعة الثانية، 1394هـ.

ـــ الضـي أحمد بن يحيى بن أحمد ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي،1967.

ـــ المقري شـهاب الدين أحمد بن محمد التلمسـاني ، أزهار الرياض في أخبار القاضـي عياض ، تحقيق مصـطفى السـقا و إبراهيم الأيباري وعبد الحفيظ شـلبي، مطبعة لجنة التأليف والنشر،1361هـ/1942م.

ـ المقري شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسـان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسـان عباس، دار صـادر،بيروت، الطبعة الأولى ، 1968.

. أحمد الأسكندري ومصطفى عنان، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر، د ت.

ـ أحمد جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448ـ 668هـ/1056ـ1269م، دار الوفاء الإسكندرية.

.أحمد سعيد ، أدب الرحالات وتطوره في الأدب العربي، بيروت، دار الشرق الجديدة.

ـ علي محمد بن سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212هـ ـ 484هـ/826. 1091م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة 1417هـ/1990م.

، محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، طبعة دار المغرب، الرباط، الطبعة الثانية،1397هـ/1977م.

ـ مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 1994م.

.عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، 1380هـ/1960م.

ـ عبد الله كنون، موسـوعة مشـاهير المغرب، دار الكتاب المصـري، القاهرة، الطبعة الثانية، 1414هـ.

ـــ السـيد أحمد الهاشـمي، ميزان الذهب في صـناعة شـعر العرب ، مكتبة عباس الباز، مكة، 1399هـ.

ـــ عبد الإله بن مليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسـة الانتشـار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.

ـــ محمـد زروق، الأنـدلسـيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (6هـ/17م)، إفريقيـا الشرق،1998م.

محمد زغلول سلام زغلول،، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب ت.

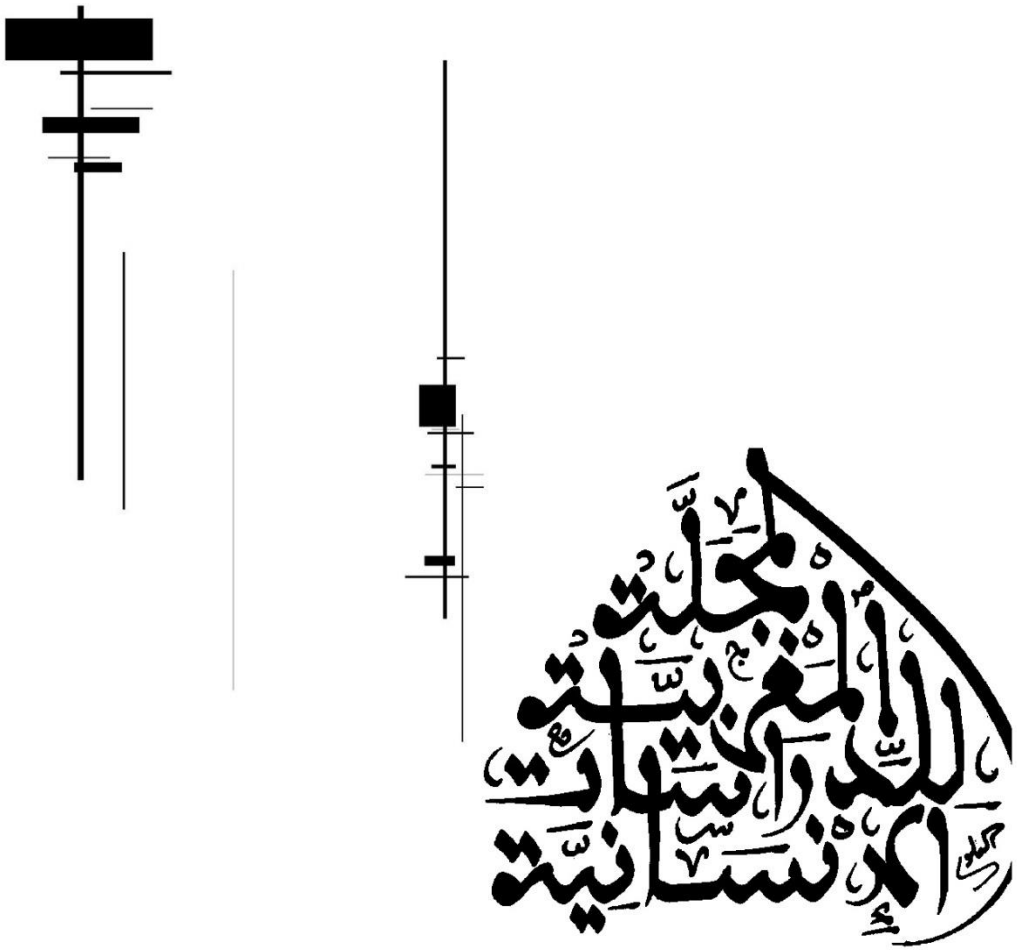
مجلة الدراسات الإنسانية

التحديات التي تواجه دراسة اللغة العربية
كما يراها طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني في كلية اللغة العربية

د. إدريس محمد صقر جرادات

مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي-فلسطين

د.مليكه ناعيم

أستاذة اللغة العربية – كلية اللغة العربية-مراكش

ملخص:

تحاول هذه الدراسة مقاربة معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني في كلية اللغة العربية، فرع جامعة القرويين في مراكش، وتسليط الضوء على أهم القضايا التي تهم تدريس اللغة العربية ، بغية اقتراح بعض الحلول للتغلب على التحديات القائمة.

استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وطوّرا استبانة لجمع البيانات، وتم التحقق من صدقها وثباتها بالطرق التربوية والإحصائية المناسبة وتكوّن مجتمع الدراسة من طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني في كلية اللغة العربية بمراكش فرع جامعة القرويين والبالغ عددهم (30) طالبا.

من اهم النتائج: أن أكبر تحد يواجهه الطالب ترتبط بالاسرة والمجتمع المحلي، و أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين الطلاب في تحديات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني بكلية اللغة العربية تعزى إلى

متغيرالجنس و العمرو مكان السكن، متغيرمعرفة باللغات الأجنبية، تخصص البكالوريا، لغة الأم. وبعد عرض النتائج توصي الدراسة بمجموعة من المقترحات والتوصيات منها: إجراء دراسات أخرى مقارنة على معوقات تدريس اللغة العربية في الجامعات الأخرى ، وفي العالم العربي .

This study attempts to approach the obstacles of studying the Arabic language as seen by the students of Master in linguistics Lesson and Quranic discourse in the Faculty of Arabic Language , Qarawiyyin University Branch in Marrakech, and highlight the most important issues of concern to the teaching of the Arabic language, in order to propose some solutions to overcome existing challenges . The researchers used the descriptive approach,and have developed a questionnaire to collect data , were verified sincerity and persistence means of educational and appropriate statistical and study population consisted of students from the Master Lesson linguistic and Quranic discourse in the Faculty of Arabic Language, Qarawiyyin University Branch in Marrakech, they were (30) students

Of the most important findings : that the biggest challenge faced by the student linked to the family and the community , and scheduled programs , and that there were no statistically significant differences at the level of ($\alpha \geq 0.05$) among students in the challenges of the study of the Arabic language as seen by the students of Master Lesson linguistic and Quranic discourse Faculty Arabic attributable to the variable of sex,age, place of residence, variable knowledge of foreign languages, baccalaureate specialization and the mother tongue

After presenting the results , the study recommends a set of proposals and recommendations including: conducting studies on the obstacles to teaching Arabic at other universities , and in the Arab world .

مقدمة:

تعتبر اللغة العربية آخر اللغات السامية خروجا من الجزيرة العربية لتمتد على نطاق واسع بانتشار الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، ويجري الحديث بلهجاتها اليوم في كثير من بلدان الشرق الأوسط وشمال افريقية ، الموسي ص.55، وتأتي اللغة العربية في المرتبة من الخامسة حتى السابعة في اللغات الأكثر انتشاراً في العالم . كما تعتبر اللغة الرسمية للدولة المغربية في مختلف الدساتير منذ دخلت المغرب، ثم صارت اللغة الاولى في الدستور الاخير بعد ان اقر الامازيغية لغة رسمية ثانية للمغرب "

و قد أكد الميثاق الوطني للتربية والتكوين بالمغرب مثلا على أن "اللغة العربية، بمقتضى دستور المملكة، هي اللغة الرسمية للبلاد... وأن تعزيزها واستعمالها في مختلف مجالات العلم والحياة كان ولا يزال وسيبقى طموحا وطنيا "(المادة 110)، كما قرر أيضا أن "يتم تجديد تعليم اللغة العربية وتقويته، مع جعله إلزامي ا لكل الأطفال المغاربة، في كل المؤسسات التربوية العاملة بالمغرب." (المادة 111). ولا شك أن تطوير اللغة العربية في هذه المرحلة التاريخية من الضروريات الحضارية التي يفرضها الحفاظ على الهوية الوطنية والقومية والرفع من المستوى العلمي والتعليمي للمواطن.

وعلى الرغم من هذه القيمة العالمية والدينية والوطنية للغة العربية، فقد لوحظ في السنوات الاخيرة تراجع مستوى الاهتمام باللغة العربية ونسبة المهتمين بها وتدني مستوى المتخصصين والمقبلين عليها. وشاعت مجموعة من الافكار السلبية والاقوال المغرضة التي تغرس في أذهان الطلاب أن اللغة العربية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح أداة للعلم ولا وسيلة للبحث العلمي

لقد صار التخصص في اللغة العربية والتسجيل في احدى الكليات المتخصصة في نهاية الطريق وعلامة على ضعف مستوى الطالب وامارة خيبة الامل وسوء الطالع، وقل ما يقبل عليها ذوي المعدلات العالية، وكثيرا ما يستهزأ بهذا التخصص بعبارات تحقيرية من مثل (إلا ما كان والو نتسجلو فكلية اللغة/ الغالب الله نمشو لكلية اللغة). والاشكال الاكبر هو ان المتخصص لا يتمكن بعد سنوات التخصص من اتقان اللغة العربية بل يظل دائما اسير التعثرات والاخطاء

نطقا وكتابة وقراءة، بل يصدق قول الدكتور شكري فيصل متحدثا عن تدريس اللغة العربية في الوطن العربي : "من المؤسف أن يكون و اقع شبابنا الذي يتخرج من الثانويات- وهل علي من حرج أن أقول : والذي يتخرج من الجامعات ــ أنه لا يتقن لغة ما ــ حتى العربية أحيانا- لقراءتها قراءة تدبر.. ولذلك فهو لا يقرأ... وإذا قرأ فهو لا يفهم، وإذا فهم فهو لا يعقل، وإذا عقل فهو لا يتفاعل.. لأن الشرط الأول في تحقيق التفاعل هو امتلاك اللغة" (فيصل: 1986، 402).

وعبر عن ذلك بصورة أخرى لغوي كبير هو د. نهاد الموسى حيث قال : "إن الطالب العربي المتخرج في المدرسة بل المتخرج في الجامعة لا يقرأ كما ينبغي أن يقرأ(...) ولا يكتب كما ينبغي أن يكتب، فهو كثير الخطأ في الإملاء، كثير الخطأ في النحو (...) وهو كذلك لا يسمع كما ينبغي له أن يستمع... (الموسى، 1983: 152). وقد يلاحظ الضعف أيضا على طلاب الدراسة العليا، وهم متميزون وإلا ما كانوا هناك أصلاً إذ قل أن تجد بينهم من رقيت قدرته إلى حد كتابة أُطروحته بلغة سليمة من الاخطاء، كما تبين مناقشة الأُطروحة أمام لجنة الامتحان حيث تختبر مهارة الإلقاء باللغة الفصحى فتكون غالبا مثاراً للتعليقات التي يشوبها التندر.

أمام هذا الوضع واحساسا بالخطر الذي بات يهدد لغة الذكر الحكيم وأمام الزحف الاعلامي الذي يروج لفكرة أن التطور العلمي والتعليمي رهين بلغة ولا يتلاءم مع لغة ، ارتات هذه الدراسة مقاربة الموضوع ميدانيا و اقتراح بعض الحلول الكفيلة بتغيير مفاهيم مجتمعنا أولا عن لغته وأهميتها حتى نقنع طلبتنا ودارسي اللغة بأهميتها من جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والتراثية والقومية والإنسانية ....ومن هنا كان البحث والتنقيب عن هذه التحديات وما أكثرها أهمية بالنسبة للطلبة، إيمانا بأنه لم تعد أدوار الطالب تلقي المعارف، وحفظها، واسترجاعها عند الحاجة إليها، بل أصبح يقوم إلى جانب ما سبق بدور المقوِّم للأداء التدريسي للمدرس، والمناقش، والباحث عن المعارف،...إلخ (Chalmers, Fuller, 1996, pp 49 - 50).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

اكتسبت الباحثة د.مليكه ناعيم خبرات من الحياة الاجتماعية والبحثية والاكاديمية والإدارية من خلال مدة تكوينها في تخصص اللغة العربية عبر مختلف اسلاك الدراسة الجامعية بكلية اللغة العربية بمراكش، وعبر تتبعها بالحضور والنقاش للعديد من الندوات واللقاءات العلمية في الموضوع، ومن خلال كونها عضوا ضمن مجموعتي البحث في اللغة والادب ومجموعة

البحث في مناهج اللغة والادب لسنوات، وتتبعها لمناقشة العديد من الرسائل والاطاريح الجامعية لطلبة التخصص، ثم بتدريسها لمادة المدخل إلى دراسة اللغة العربية واللغة العربية واللغات السامية اللغة العربية، ملاحظات جمة وطرحت لديها أسئلة كبرى بخصوص و اقع تدريس اللغة العربية و افاق تطويرها في الجامعة المغربية. كما اكتسب الباحث د.جرادات من خلال محاضراته في مجموعة من الجامعات الفلسطينية ومشاركته في العديد من الندوات والمؤتمرات وتحريره لمجلة السنابل التراثية وإدارة مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير علاقات وثيقة مع مؤسسات المجتمع المحلي والمراكز البحثية والملاحظات والمقدمات والتغذية الراجعة ومن خلال دراسته المشتركة مع د.عطا أبو جبين معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليل-الأمر الذي مهد السبيل لمتابعة سير العمل لدراسة معوقات دراسة اللغة العربية وكذلك الملاحظات التي كان يحس بها أو يسجلها عند وجود مشكلة ما.

1-تصور إدارة الجامعة –الكلية- لآلية حل مشاكلهم ومعاناتهم الحقيقة التي تتسم أحيانا بالايجابية وأخرى بالسلبية.

2-شكوى المدرسين من مستويات الطلاب وعدم تفاعلهم ايجابا مع العديد من المواد.

3-تذمر العديد من ذوي الطلبة الذين يتخصصون في اللغة العربية من جدوى دراستهم في ظل سوق العمل الحالي.

4-على الرغم من الجهود التي تبذلها الجامعات من أجل الارتقاء وتطوير الأداء , وجهود المؤسسات المدنية والقومية ومؤسسات المجتمع المدني الا انه سجل قصور يتجلى في:

*النفور الكبير من التخصص حتى بالنسبة للطلبة الذين "تورطوا فيه" لسبب ما".

*الضغط النفسي نتيجة التبرم والشكوى من قبل الطلبة الذين يدرسون التخصص.

*ضعف المردودية في المجال وقلة الأفاق مقارنة مع التخصص في اللغات الأجنبية التي صارت مفتاحا رئيسا لولوج العديد من مجالات الشغل وطنيا ودوليا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها:

1-تساعد أعضاء هيئة التدريس ورؤساء الأقسام وعمداء الكليات في التعرف على معوقات دراسة اللغة العربية في كل مجال من مجالات الدراسة.

2-قد تفيد المختصين في التعرف على معوقات دراسة هذه المواد وفي وضع الحلول الملائمة للتغلب على بعضها، أو إيجاد البدائل التي تحد من البعض الآخر والعمل على تحسين تدريس ودراسة هذه المواد.

3-قد تفيد القائمين على وضع وتطوير المناهج والمقررات في الجامعات والتي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم العالي في تخطيط وتطوير المقررات الدراسية، وفي وضع الاستراتيجيات التي تساعد على النهوض بتدريس هذه المواد.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي الجامعي 2014/2013م.

الحدود البشرية: تم تطبيق الدراسة على 30 طالبا من طلبة تخصص الماستر- في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة القرويين.

الحدود المكانية: كلية اللغة العربية بمراكش وهي تابعة لجامعة القرويين بفاس.

مصطلحات الدراسة:

الاستبانة: اصطلاحا هي سلسلة من الأسئلة تتعلق بموضوعات تربوية ترسل إلى مجموعة من الأفراد أو تعطى لهم بغرض معرفة ارائهم بشأن هذه الموضوعات وتقدم الاستبانة في نمطين مفتوح يتضمن عددا من الأسئلة ويترك للفرد الحرية الكاملة في اختيار الاجابة التي يراها دون قيود ومغلق يتضمن عددا من الأسئلة وتوجد لكل سؤال عدة إجابات محتملة يقود الفرد باختيار احداها(الزكري، 50.49)).

*جامعة القرويين:

هي أقدم جامعة أنشئت في تاريخ العالم، و أقدمها على الإطلاق. بنيت الجامعة كمؤسسة تعليمية لجامع القرويين الذي قامت ببنائه السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرو اني نسبة لمدينة القيروان عام 245 هـ859/م، في مدينة فاس المغربية. وحسب موسوعة جينيس للأرقام القياسية فإن هذه الجامعة هي أقدم واحدة في العالم ولا زالت تُدرس حتى اليوم. وقد كانت محل توسيع وتحميل منذ عهد الادارسة إلى العلويين في الوقت الحاضر، اذ بنيت فروعا لها في مختلف المدن المغربية، ومن اقدمها كلية اللغة العربية بمراكش وكلية اصول الدين بتطوان وتستمر الاسرة العلوية حاليا في توسيعها عبر مجموعة من الفروع من مثل كلية الشريعة بالسمارة التي فتحت ابوابها لاول مرة خلال الموسم الجامعي 2012 و2013.

*البيداغوجيا: لغة مصطلح معرب عن اليونانية يعني علم التربية, اصطلاحا: يستخدمه البعض للتعبير عن المعتقدات التربوية والوسائل المتنوعة التي يشيع استخدامها بين المربين لبلوغ أهداف المجتمع في بناء مواطنيه وتشكيل سماتهم العقلية والخلقية وغيرها، ويستخدم هذا المصطلح الى اليوم في اللغة الفرنسية للتعبير عن مختلف العناصر التي تقوم عليها عملية التربية وعلى هذا لا يكون المقصود بالمصطلح هو علم بعينه و انما مجموعة العلوم التي تتكامل فيما بينها لتوفر للمربين فهما سليما لطبيعة ابنائهم واداء افضل لعملهم واستخداما ارشد للوسائل المتاحة ثم تقويمها موضوعيا لما يتم تحقيقه من عمل" (الزكري: 69).

مجتمع محلي: اصطلاحا: هو ذلك الاطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الافراد الذين يعيشون داخل نطاقه في شكل وحدات أو جماعات... هو مجموعة من الافراد يعيشون في منطقة أو بيئة طبيعية محددة النطاق كمجموعة أهل القرية أو القبيلة أو أحد أحياء المدينة ... والصفة المميزة لهذا المجتمع وضوح طبيعة العلاقات الاجتماعية فيه ويشترط في تكوينه تو افر مكان محدود النطاق والمعالم والاشتراك الفعلي في جميع أوجه النشاط الجمعي التي تتم عادة وجها لوجه وتكوين اجتماعي مميز يتمثل في قواعد منظمة لسلوك أفراده والعلاقات المتبادلة بينهم كما يشير إلى بناء اجتماعي يتسم بعلاقات ونظم لها طابع خاص..."الزكري، 210ـــ211).

وبكل بساطة نقصد به في هذه الدراسة الوسط الذي ينتمي إليه الطالب وموقفه من تخصص اللغة العربية ونظرته إليه.

محفزات: " هي اشكال مادية أو معنوية تقوم باثارة المرء وحثه على القيام بالعمل. وفي مجال التربية عموما، قد تكون المكافات المادية أو المعنوية شكلا من اشكال التحفيز، والتشجيع والترحيب بالنجاح، والكلام اللطيف قد تكون كلها من الامور التي تثير المرء، وتحفزه الى القيام بعمله بشكل جدي، من دون انقطاع، وعلى تحسين نوعية العمل الذي يقوم به" جرجيس، 2005: 424) معجم مصطلحات التربية والتعليم عربي فرنسي انجليزي، جرجس ميشال جرجس، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط,1). وداخل الدراسة نقصد به الوسائل التشجيعية التي تعتمدها الكلية لحث الطلاب على الاجتهاد والبحث من مثل الشواهد التقديرية والجوائز الممنوحة للمتفوقين.

إجراءات الدراسة:

1. منهج الدراسة:

تحقيقا لأهداف الدراسة استخدم الباحثان المنهج الوصفي لتحديد معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة الماستر، نظرا لملاءمة هذا المنهج لطبيعة الدراسة، حيث أن المنهج الوصفي يهدف إلى دراسة الواقع ويهتم بوصفه وصفا دقيقا ويعبر عنه تعبيرا كميا أو كيفيا، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، في حين أن التعبير الكمي يعطي وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى المختلفة، ذلك كله للوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره، الأمر الذي يجعل هذا المنهج أكثر استخداما في الدراسات الإنسانية.

. مجتمع الدراسة وعينتها:

ـــ تكون مجتمع الدراسة من طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني، والبالغ عددهم (30) طالباوهذه تعتبر عينة الدراسة.

. عينة الدراسة تشمل جميع افراد مجتمع الدراسة

3. أداة الدراسة: بناؤها وصدقها وثباتها:

لتحقيق أهداف الدراسة أعد الباحثان استبانة، تم بناؤها وتطويرها بالاستعانة بالأدب التربوي، والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة، وكذلك تم الاستفادة من آراء بعض العاملين في الحقل التربوي بالاستناد الى استبانة دراسة معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليل والتي أعدها الباحث د.ادريس جرادات ود.عطا ابو جبين ودراسة معوقات اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة ذي قار في العراق –دراسة مشتركة مع د.ضياء العبودي ،مجلة جامعة ذي قار،2013م.

وتكونت الاستبانة من (80) فقرات موزعة على كالآتي:

المجال الأول: تحديات متعلقة بالطالب ويتكون من (13) فقرة.

المجال الثاني: تحديات متعلقة بعضو هيئة التدريس والبرنامج ويتكون من (13) فقرة.

المجال الثالث: تحديات متعلقة بالمر افق والمكتبة ويتكون من (13) فقرة.

المجال الر ابع: تحديات متعلقة بالبيداغوجيا ويتكون من (14) فقرة.

المجال الخامس: تحديات متعلقة بطرق التدريس ويتكون من (13) فقرة.

المجال السادس: تحديات متعلقة بالمجتمع المحلي وسوق العمل ويتكون من (14) فقرة.

وتم التأكد من ثبات الاستبانة بإيجاد معامل الثبات كرونباخ الفا (Cronbach-Alpha)، حيث بلغت قيمته للدرجة الكلية (0.89). في حين بلغت قيم معامل الثبات للمجالات الفرعية للاستبانة

بالنسبة لعضو هيأة التدريس 960.

بالنسبة للطالب: 722

للمر افق والمكتبة: 743

للبيداغوجيا: 898.

لطرق التدريس: 838.

المجتمع المحلي: 821.

صـــدق الاداة: تم عرض الاســـتبانة على مجموعـة محكمين من الخبراء واســـاتذة اللغة واللسانيا وجميعهم أقروا بأن الاستبانة وضعت لقاس ما تقسيه.

4. متغيرات الدراسة:

تضمنت الدراسة المتغيرات المستقلة التالية: العمروالجنس ومكان السكن ومستوى الطالب في اللغات الاجنبية ولغة الأم وتخصـــص الطالب في الثانوية (البكالوريا) ، كما تنوعت المعايير المعتمدة في التقييم بين عال ومتوســـط ومنخفض بالنســـبة لبعض المحاور التي تنســـجم معها، ومحفزقوي أو ضعيف أو متوسط بالنسبة لغيرها .

5. المعالجة الإحصائية:

لتصحيح الاستبانة وزعت العلامات من 1 - 3 على النحو الآتي:

- **تعطى القيمة الرقمية (3) للاستجابة (عالية).**
- **تعطى القيمة الرقمية (2) للاستجابة (متوسطة).**
- **تعطى القيمة الرقمية (1) للاستجابة (منخفضة).**

ولأغراض التحليل الإحصائي، تم استخدام الوسط الحسابي والانحراف المعياري، وتم تفسير المتوسطات الحسابية لمعوقات تدريس الإدارة والاقتصاد حسب المقياس الوزني الآتي:

المفتاح	الدرجه
"5-3.67"	عالي
"3.66-2.33"	متوسط
"2.33-1"	منخفض

الأدب التربوي والدراسات السابقة

لقد لفت و اقع اللغة العربية انظار الساحة الثقافية العربية بل العالمية في السنوات الاخيرة بشكل ينبئ بخطر ما يهدد هذه اللغة كما طرحت مسألة تدريسها وو اقعه و افاقه بشكل لافت للانتباه على أرضية النقاش، عبر مجموعة من الندوات واللقاءات والايام الدراسية والورشات بل استأثر ببعض جلسات البرلمان ومجالس الحكومات، كما شكل محور العديد من الأبحاث والدراسات الاكاديمية. ولأن المجال لا يسعنا لعرض كل ما كتب بهذا الشأن وكما في المثال: بالمثال يتضح المقال، فإننا سنعرض لنماذج توضح حدود البث في الموضوع خاصة في المغرب لتبين الجديد الذي تروم هذه الدراسة اضافته في مجالها.

من اهم ما قدم في هذا المجال أطروحة تحت عنوان "تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها" للمصطفى بوشوك وقد انطلق فيها من داع يجمع بين كل الدراسات التي كتبت في الموضوع وهو التجهور الذي يعرفه مستوى اكتساب اللغة العربية وثقافتها، في تكوين المتعلمين بالتعليم الإعدادي والثانوي، وقد استنتج من نسب التكرار في مراحل دراستهم، ومن خلال تعابير التلاميذ و انتاجاتهم اللغوية، وما يعتريها من اختلالات واخطاء، وغايته هو السعي الى اصلاح المستوى التعليمي للفصحى وتحسينه والرفع من مردوديته، واستند على دراسة ميدانية تعتمد الاستقراء والتصنيف والتحليل، مركزا على عينتين تم اختيارهما عشو ائيا حسب المعايير العلمية في مجال الدراسات الميدانية للمستويين التعليميين السالفي الذكر، قصد القيام بتحليل الاخطاء اللغوية ورصد اهم الصعوبات التعبيرية اعتمادا على انتاجات التلاميذ الكتابية وبحث قدراتهم على الشكل، ولم يقف عند هذا الحد و انما تعداه الى تجربة شبكة خاصة بتقويم نمو المهارات الانتاجية والقدرات التراكمية لكل فرد من افراد العينتين خلال دورة دراسية، وقسم بحثه على ثلاثة اقسام، وختمه بنتائج وتوصيات عملية,

وللباحث نفسه دراسة تحت عنوان "التقويم التربوي وتدريس مواد اللغة العربية"، وهو عمل غير منشور، بخز انة كلية علوم التربية، بجامعة محمد الخامس بالرباط.

ومن هذه الدراسات ايضا دراسة لليونسكو بالمغرب تحت عنوان:

Sobhi Tawil et Sophie Cerbelle et ,Education au Maroc Analyse du Secteur Amapola Alama ; © UNESCO, Bureau multipays pour le Maghreb, 2010.http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Langue_arabe/p14.htm

حاول من خلالها الدارسون تسليط الضوء على الكثير من التحديات التي تواجه التعليم في المغرب ومنها مشاكل نابع من الوسط الذي ينتمي إليه التلميذ ومنها مشاكل مرتبطة بلغة الأم وأخرى ترتبط بالمناهج والمقررات، ومنها ما يتعلق بتكوين المعلمين في اللغة العربية، وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات منها: إعادة النظر في تكوين معلمي اللغة العربية وتقليص عدد التلاميذ داخل الفصل ومراجعة سنوات التكوين في المدرسة، وتشجيع المدرسين على تحيين المقررات.

ومما كتب في المجال مقال تحت عنوان ملاحظات حول تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية د. عبد الجليل هنوش وموضوعه واضح من عنوانه فهو يركز على التعثرات اللغوية للتلاميذ ويقدم بعض الحلول لتجاوزها.

وندوة "تدريس اللغة العربية بالمدرسة المغربية: مقاربة تشخيصية واستشرافية" نظمتها الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية/ فرع فاس ندوة علمية تربوية في موضوع يوم الجمعة 20 رجب 1434 31 ماي 2013، بقاعة مندوبية وزارة الثقافة. وقد انتهت بمجموعة من التوصيات .

ومنها أيضا اليوم الدراسي الذي نظم برحاب كلية اللغة العربية التابعة لجامعة القرويين بمراكش يوم الخميس 18 ابريل2013 تحت عنوان: "التعثر اللغوي بالمدرسة المغربية المنشأ وآليات المعالجة، المنجز اللغوي لتلميذ المستوى السادس بجهة مراكش تانسيفت الحوز أنموذجا" بمدرج أحمد الشرقاوي إقبال، وشارك فيه أساتذة من جامعات مختلفة ومؤطرين بالمراكز الجهوية للتربية والتكوين وطلبة من كلية اللغة العربية. وقد أسفرت الندوة عن نتائج وتوصيات منها: تشكيل خلية بحث من جميع المهتمين لمواكبة كل ما هو مرتبط باللغة العربية وتخصيص يوم دراسي للتعثرات اللغوية في اللغة العربية بسلكي الثانوي الإعدادي والتأهيلي وتوسيع مشاركة ذوي الاختصاص في تأليف الكتب المدرسية وضرورة مراعاتها لبيئة ومحيط المتعلم.

ولعل أقرب هذه الدراســات إلى مشــروعنا هذا معوقات تدريس اللغة العربية معوقات دراســة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصــص في جامعة الخليل إعداد د.عطا أبو جبينود. إدريس جرادات نشــرت بالعدد الاول من مجلة جيل الدراســات الادبية والفكرية يوم 18 جنبر 2013، اســتهدفت تحديد معوقات دراســة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصــص في جامعة الخليل لطلبة الســنة الثانية والثالثة والرابعة بالإجابة عن الســؤال الرئيس الآتي: ما أهم معوقات دراســة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصــص من فئة البكالوريوس ؟ وقد انتهت الى نتائج مهمة في المجال كما خرجت بتوصــية مفادها ضــرورة إعداد دراســات مماثلة في الدول العربية، في أفق إعداد دراسة شاملة عن اللغة العربية في الجامعة العربية.

يرى الباحثان ان الدراسات السابقة باستثناء دراسة الاستاذ جرادات و أبو جبين، فإن الدراسات تركز من جهة على المستويات ما قبل التعليم العالي سواء منها الاساسية أو الاعدادية والثانوية، ومن جهة ثانية فإنها تركز اهتمامها وتنطلق في معظمها من منجزات الطلاب في تصوير و اقع اللغة العربية، وتتمحور على المدرس، وتغفل المواجهة المباشرة مع محور العملية التعليمية التعلمية وهدفها وهو الطالب، صحيح أن المنجز يعكس مستوى صاحبه في اللغة العربية لكنه لا يكفي لدراسة الوضع واستخلاص اسبابه قصد اقتراح الحلول الكفيلة بتجاوزه.

إن ما تســعى هذه الدراســة اذن لاضــافته في المجال هو الاقتراب اكثر من الطالب عبر اســتبانة تتضــمن معظم العناصــر المتفاعلة في تشــكيل البيئة التعليمية على مســتوى التعليم العالي من المدرس والبرنامج والنظام البيداغوجي ومجال او فضــاء الكلية ومر افقها خاصــة المكتبة والمجتمع المحلي ودوره في تشكيل الوضع وفي علاجه وتقديم الحلول.

صحيح ان دراسة الاستاذين تطرقت لمعظم هذه النقاط وفق استبانة موجهة لطلاب التخصص، لكن الرؤية تختلف باختلاف اوضاع الطالب المغربي عن الطالب الفلسطيني الذي يعاني الى جانب الاوضاع الداخلية خصوصيات يفرضها المحتل، واختلاف الانظمة والقو انين المتبعة في كل بلد وفق الخصوصيات. كما ان ثمة محاور اعتمدها الاستاذان نرى ان الصواب ان تطرح على الاســتاذ لا على الطالب في حين اغفلا عناصــر اســاس لها علاقة مباشــرة بالطالب وخاصة المكتبة والمر افق والنظام البيداغوجي للجامعة او التعليم العالي بصفة عامة.

الاطار النظري

1/ اللغة العربية في مواجهة التحديات[1]:

استطاعت اللغة العربية أن تتبوأ مكانة عالية بين لغات الأمم في أزمنة غابرة، حيث استطاعت ابتلاع الكثير من لغات فصيلتها الحامية والسامية في مناطق تداولها خاصة الارامية والعبرية والسريانية، كما أنها نحت كثيرا من اللغات عن الاستعمال في مناطق نفوذها لتحل محلها لغة رسمية، لقد" أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث حلت تماما محل اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية ... وقد عربت أهم المصنفات اليونانية في عهد العباسيين و انتشرت العربية في أنحاء آسيا، كما ذكر بأن العربية ظلت أداة للثقافة والفكر في إسبانيا حتى عام 1570م . (أبو جبين : 2011 : 5) واللغة العربية في الشعر الفارسي تمثل أكثر من ربوع مواده اللغوية كما أن اللغة التركية العثمانية أخذت من ألفاظ اللغة العربية كثيرا، وقد اثبتت دراسات كثيرة أن اللغة الانجليزية تتضمن اكثر من الف مفردة عربية وأن اللغة الاسبانية أكثر لغات اوربا نصيبا من الالفاظ العربية.(عزام، 1958) مقال مكانة اللغة العربية)، وبفضل فتوح آسيا و أفريقيا تغلبت لغة العرب على كثير من اللغات السامية الأخرى وبعض اللغات الحامية ، فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، وفي مصر وشمال إفريقيا، وفي جزء كبير من قسمها الشرقي المتاخم لبلاد الحبشة، مع أن الجالية العربية في هذه البلاد كان عددها أقل كثيرًا من عدد السكان الأصليين .

ومما يجدر ذكره أن الحروف العربية كانت تكتب بها كل من اللغات التركية ، والفارسية ، والماليزية والأندونيسية ، وأجزاء كثيرة من الحبشة وجنوب إفريقيا وبلاد الأندلس ، والهند والأفغان وبلاد آسيا الوسطى والبلقان . (خيري ركوة ، 2005) . وهذا من أكبر الأدلة على عالمية هذه اللغة وبقائها حية نابضة ، وهي تحتل اليوم اللغة الخامسة في المجامع الدولية إلى جانب اللغات الحية الأخرى .

ان ما سبق ذكره ليؤكد علاقة اللغة بالفكر والحضارة بمختلف مقوماتها. إن اللغة وعاء الفكر، وأداة التفكير. ومع أن الفكر ينطلق فطرياً من العقل كما يقول برْكلي، فإن تسلسله وتحليلاته ومقرراته تتم باستعمال اللغة وألفاظها وتراكيبها ومنطقها وكأنما يحادث الإنسان

[1] . اعتمد هذا المحور كثيرا على دراسة الاستاذين ابو جبين وجرادات نظرا للتقارب الكبير بين الدراستين في الاهداف والمنهج والموضوع.

نفســـه وهو في حال التفكير، كما نبه كولردج وبياجيه وجمهور علماء النفس، وهو ما اكده ابن حزم بالقول: إذ برقي الامم ترقى اللغة وبضعفها تموت اللغة وتضعف. حين حظيت اللغة العربية"من أبنائها بالرعاية والعزم والاخلاص استطاعت أن تستوعب ما قل وما ترجم، واستطاعت أن تضطلع بعبء المصطلحات العلمية والفنية وتثبت في عالم العلم لغة علم وتأليف وتدريس". (مازن، 1981: 17)، ولما اهملها اهلها واحسوا بقصورها وعدم مسايرتها لروح العصروالتقدم ضاعت وتردت وضاع اهلها اذ من اللغة يبدأ الاستعمارونجاح الاخر في استلاب الذات ونحن نؤمن ايمانا جازما ونقول مع مازن المبارك" إن الامة التي تهمل لغتها، أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية وحاشا أن نريد ذلك أو نقبل به. إننا نؤمن أن تعلم اللغة وتعليمها ليس مهنة أو قضية تعليمية و انما هو قضية وطنية ورسالة قومية" (مازن، 1981: 21).

إن هذه العلاقة بين اللغة والحضارة من جهة، وبين اللغة والفكر من جهة ثانية، تثبتها السياسة الاستعمارية الاوربية للمناطق العربية، مما يبين أن تراجع الاهتمام باللغة العربية سياسة استعمارية لكسب الشعوب وفرض القوى عليها عن طريق التفرقة وكسر الوحدة التي تمثلها اللغة الى جانب العقيدة وذلك عن طريق عزل اللغة عن العلم و ابعادها عن الحياة، "لقد كانت اولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف الى الجزائر: "علموا لغتنا و انشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائرفقد حكمناها حقيقة" (مازن، 1981: 11)، وليست هذه الوصية الا ترجمة لتوصية سلفه المستعمر الفرنسي نابليون بونابرت الذي قال لبعثته الو افدة إلى مصر: "علموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن".

لقد وضحت هذه الدعوات لزعماء القوى العظمى في وقتها أن اللغة رمز للقوة ومعيار للوحدة والالفة، ومصدر العزة، وأمارة للمستوى الفكري للأمة، لذلك كان استعمار الفكر عبر اللغة وسيلة اساس لتيسير استعمار الاوطان العربية, وقد ادركت بعض الشعوب المستعمرة هذه الدلالات القوية للغة في علاقتها بالشعوب الناطقة بها وبفكرهم وحضارتهم، فاتخذت كسلاح للوحدة والتضامن ورمز للقوة في الدفاع عن نفسها إحياءَ اللغة والحرص على وحدتها كمثبت قوي لوحدتها ورمزا للتحرير، "إن نابليون غزا بلاد الالمان وجزأها ومزق وحدتها فقام رجال الفكر فهم يبعثون اللغة ويحيون وحدتها معلنين أن الوطن مهما يتجزأ.وطن اللغة الواحدة. إن أمما كثيرة مزقها الاستعمار فاعتصمت بوحدة اللغة و اتخذت من ذلك سلاحا ضد التفرقة ورمزا للتحرير" (مازن، 1981: 10). وقد بالغ من عناية العرب بلغاتهم وتقديسهم لها في

ما مضى من الزمن أن المرء إذا وجد في الطريق كلاما مكتوبا بالعربية رفعه ليضعه في مكان مناسب احتراما، وهو في الحقيقة احترام للفكر وللنطق وكذا كان الصينيون يفعلون (اليافي، 1979).

إن علاقة اللغة بالفكر كما يرى علماء النفس ظاهرتان ملتحمتان، ولا يمكن التفريق بينهما، وذلك لأن الكلام الذي لا يعكس أفكارا مصدرها الأشخاص المتكلمون يمكن اعتماده لقياس مدى نمو وتقدم الفكر (بوشوك، 1994م: 119). ويرى بعض اللسانيين أن العلاقة بين اللغة والفكر، يمكن مقارنتها بالورقة؛ فإحدى صفحاتها هي الفكر، والصفحة الأخرى هي اللغة، وكما أننا لا نستطيع أن نعزل وجهي الورقة فإننا لا نستطيع أن نعزل بين اللغة والفكر، و إنما نرى نوعا من التجريد البحت للعنصرين النفسي والصوتي. (فضل، 1985م: 43)، وهي علاقة عضوية انتبه اليها الكثير من العلماء فقد عرفها ابن خلدون بأنها ملكة في اللسان للعبارة عن المعاني. ويرى مالنيوفسكي أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل فحسب؛ بل هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وهي جزء من السلوك الإنساني. (أبو جبين، 1994م: 7).

ويعد التفكير أحد الوسائل الأساسية في التحصيل المعرفي، كما أن عملية ارتقاء اللغة تؤدي إلى مهارات التفكير. وقد اعتبر واطسون زعيم المدرسة السلوكية أن الفكر هو اللغة (الزراد، 1990م: 75). ونحن نرى أن اللغة العربية هي الوعاء الحقيقي لفكرنا وتفكيرنا وثقافتنا وتعكس مدى رقينا أو انحطاطنا وكما يقول اهل النسبية اللغوية بان لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي، وما من صراع سياسي إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا(أبو جبين وجرادات، 2014).

وهنا يطرح السؤال: لماذا تراجع الاهتمام باللغة العربية في المغرب؟ وما هي تحديات تدريس اللغة العربية في المغرب بعد الاستقلال[1]؟

[1]. الجواب في مقال للدكتورة مليكة ناعيم بعنوان أسباب تراجع الاهتمام باللغة العربية في المغرب، سيصدر ضمن العدد الثالث من مجلة التعليمية.

تحليل النتائج وعرضها ومناقشتها: يتضمن هذا التحليل عرضاً كاملاً ومفصلاً لنتائج الدراسة، وذلك للإجابة على تساؤلات الدراسة وأهدافها وللتحقق من صحة فرضياتها باستخدام التقنيات الإحصائية المناسبة.

للإجابة على سؤال الدراسة الأول: ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالطالب كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (1)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالطالب كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، في فقرات الدراسة كما وردت في المرتبة الاولى.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	اعتبار الحصول على نقطة الامتحان هدفا قائما بذاته يدفع الطلبة إلى الاقتصار على حفظ المعلومات بحثا عن النجاح دو الحاجة إلى البحث والإطلاع	2.43	0.83
.2	طبيعة اللغة المعتمدة في الوسط العائلي أو الأمازيغية	2.43	0.83
.3	شخصية الطالب و أثرها على مستوى الثقة بالنفس	2.39	0.78
.4	طبيعة الاستقرار	2.18	0.72
.5	عدم إدراك الطلبة للأهداف التعليمية التي عليهم تحقيقها	2.18	0.77
.6	ضرورة التواصل باللغة العربية الفصيحة و أثرها على حضور الطالب الفعلي داخل الصف	2.18	0.86
.7	تدني دافعية الطلبة للتعلم وعدم الاهتمام بالتحضير المسبق للحصة	2.14	0.75
.8	مستوى قدرة الطلبة على المشاركة في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالجانب التطبيقي	1.96	0.69
.9	ضعف مستوى الطلبة في فهم مواد اللغة العربية	1.89	0.73
.10	طرق توظيف الطلاب للوسائل التعليمية الحديثة في دعم تخصصهم العلمي	1.86	0.75
.11	المستوى المادي للطالب ووضعه الاجتماعي	1.86	0.73
.12	التربية الأسرية و أثرها في تعلمه	1.86	0.75
	الدرجة الكلية	2.11	0.37

يوضح لنا الجدول أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالطالب كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

اعتبار الحصول على نقطة الامتحان هدفا قائما بذاته يدفع الطلبة إلى الاقتصار على حفظ المعلومات بحثا عن النجاح دون الحاجة إلى البحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.43)، طبيعة اللغة المعتمدة في الوسط العائلي أو الأمازيغية بمتوسط حسابي (2.43)، شخصية الطالب و أثرها على مستوى الثقة بالنفس بمتوسط حسابي (2.39)، طبيعة الاستقرار بمتوسط حسابي (2.18)، عدم إدراك الطلبة للأهداف التعليمية التي عليهم تحقيقها بمتوسط حسابي (2.18)، ضرورة التواصل باللغة العربية الفصيحة و أثرها على حضور الطالب الفعلي داخل الصف بمتوسط حسابي (2.18)، تدني دافعية الطلبة للتعلم وعدم الاهتمام بالتحضير المسبق للحصة بمتوسط حسابي (2.14)، مستوى قدرة الطلبة على المشاركة في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالجانب التطبيقي بمتوسط حسابي (1.96)، ضعف مستوى الطلبة في فهم مواد اللغة العربية بمتوسط حسابي (1.89)، طرق توظيف الطلاب للوسائل التعليمية الحديثة في دعم تخصصهم العلمي بمتوسط حسابي (1.86)، المستوى المادي للطالب ووضعه الاجتماعي بمتوسط حسابي (1.86)، التربية الأسرية و أثرها في تعلمه بمتوسط حسابي (1.86).

يتضح اذن ان المسألة تتعلق بعدم ادراك الطالب للغاية التعليمية والهدف الاساس الذي هو التكوين وحرصه فقط على النجاح مما يجعله يقتصر على مجرد الحفظ دون الضبط والاستيعاب وهذا يؤدي الى سرعة نسيان المعلومات بمجرد اجتيار المباراة. وتجاوز هذا المعيق يقتضي اعداد ايام دراسية ولقاءات توجيهية لتوعية الطالب بأن التعليم لا يعني فقط نقطة الامتحان و انما هو تحسين المستوى الفكري واللغوي للطالب و اكتساب المهارات واليات البحث، كما ينبغي ايضا الاهتمام في مختلف اسلاك التعليم بالتكوين في المجال النفسي والاجتماعي المغيبين وللاسف في البرامج الدراسية ما عدا التخصص.

للإجابة على سؤال الدراسة الثاني: ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بعضو هيئة التدريس والبرنامج كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (2)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	التركيز على المصادر العربية القديمة	2.68	0.67
.2	التركيز على المادة النظرية	2.68	0.61
.3	تحديد أهداف المواد والحرص على تحقيقها	2.68	0.54
.4	تفعيل نظام الحو افز لزيادة الاهتمام بالبحث والإطلاع	2.64	0.62
.5	الحرص على إنهاء المقرر في الوقت المحدد	2.64	0.62
.6	إشراك الطالب في تحديد البرنامج الدراسي	2.54	0.74
.7	إشراك الطالب في إنتاج المعرفة وبناء الدرس	2.46	0.88
.8	التغذية الراجعة والربط بين المحاضرات والمحاور	2.39	0.83
.9	معايير تقيم الطلبة والامتحانات	1.96	0.79
.10	الانفتاح على المناهج والدراسات الحديثة	1.93	0.81
.11	التركيز على الفهم والتمرين	1.86	0.75
	الدرجة الكلية	2.61	0.30

يوضح الجدول رقم (2) أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بعضو هيئة التدريس والبرنامج كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

التركيز على المصادر العربية القديمة بمتوسط حسابي (2.68)، التركيز على المادة النظرية تحديد أهداف المواد والحرص على تحقيقها بمتوسط حسابي (2.68)، تفعيل نظام الحو افز لزيادة الاهتمام بالبحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.68)، تفعيل نظام الحو افز لزيادة الاهتمام بالبحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.64)، الحرص على إنهاء المقرر في الوقت المحدد بمتوسط حسابي (2.64)، إشراك الطالب في تحديد البرنامج الدراسي بمتوسط حسابي (2.54)،

إشراك الطالب في إنتاج المعرفة وبناء الدرس بمتوسط حسابي (2.46)، التغذية الراجعة والربط بين المحاضرات والمحاور بمتوسط حسابي (2.39)، معايير تقيم الطلبة والامتحانات بمتوسط حسابي (1.96)، الانفتاح على المناهج والدراسات الحديثة بمتوسط حسابي (1.93)، التركيز على الفهم والتمرين بمتوسط حسابي (1.86).

يتضح من هذا الجدول ان اهم محفز بالنسبة للطالب يتمثل أولا في وضوح أهداف المجزوءات والحرص على تحققها وهذا يرتبط أيضا وبنفس النسبة بمحفز اخر هو التركيز على المصادر القديمة باعتبارها لبنة اللغة العربة وبتفعيل نظام الحو افز التي تشجع الطلاب على التنافس في البحث والاجتهاد. وهنا نرى أهمية أغناء المكتبات بالمصادر التراثية والحرص على تنظيم ايام للاحتفاء بالمبدعين والمتفوقين.

للإجابة على سؤال الدراسة الثالث: ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالمرافق والمكتبة كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (3)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	اكتظاظ الفصل بالطلبة و أثر ذلك في تعاملهم	2.39	0.78
.2	غياب مستلزمات التدريس	2.39	0.83
.3	لغة المدرس و أثره في الفهم	2.32	0.77
.4	المدة الزمنية المخصصة لإعارة كتب التخصص	2.29	0.76
.5	عدد المصادر المسموح باستعارتها	2.21	0.73
.6	طبيعة الفهرسة والتصنيف	2.14	0.70
.7	التوقيت المحدد للاستفادة من الخزانة في علاقتها بأوقات الدراسة	2.04	0.69
.8	غياب مختبر اللغات ومراكز البحث	1.93	0.69
.9	المعايير المعتمدة في تحديد مواعيد الإعارة	1.86	0.66
.10	فضاء المكتبة	1.79	0.80
.11	الفترة الزمنية المتاح فيها للطالب لوج فضاء الكلية	1.71	0.78
.12	طبيعة الفضاء وعلاقته بالتخصص	1.69	0.76
	الدرجة الكلية	2.03	0.39

يوضح الجدول رقم (3) أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بعضو بالمر افق والمكتبة كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القر آني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

اكتظاظ الفصل بالطلبة و أثر ذلك في تعاملهم بمتوسط حسابي (2.39)، غياب مستلزمات التدريس بمتوسط حسابي (2.39)، لغة المدرس و أثره في الفهم بمتوسط حسابي (2.32)، المدة

الزمنية المخصصة لإعارة كتب التخصص بمتوسط حسابي (2.29)، عدد المصادر المسموح باستعارتها بمتوسط حسابي (2.21)، طبيعة الفهرسة والتصنيف بمتوسط حسابي (2.14)، التوقيت المحدد للاستفادة من الخزانة في علاقتها بأوقات الدراسة بمتوسط حسابي (2.04)، غياب مختبر اللغات ومراكز البحث بمتوسط حسابي (1.93)، المعايير المعتمدة في تحديد مواعيد الإعارة بمتوسط حسابي (1.86)، فضاء المكتبة بمتوسط حسابي (1.79)، الفترة الزمنية المتاح فيها للطالب لوج فضاء الكلية بمتوسط حسابي (1.71)، طبيعة الفضاء وعلاقته بالتخصص بمتوسط حسابي (1.69).

بالنظر الى هذا الجدول يلاحظ ان اكبر معيق للتكوين هو الاكتظاظ داخل الفصل وهو اكراه تعيشه الجامعة المغربية بشكل عام خاصة خلال السنوات الاخيرة ويرتبط به وبنفس النسبة غياب مستلزمات التدريس خاصة الحديثة منها لان المدرجات المكتظة تقتضي ارفع الانواع حتى تتحقق الغاية من استعمالها, وما دمنا بكلية اللغة العربية فان لغة المدرس تلعب دورا أساسا فينبغي أن تكون مثالا وقدوة ولذلك ارى ضرورة اعتماد العربية الفصحى والتفكير في تفويج يحد من الاكتظاظ بتقليل عدد الطلاب داخل الفصل واشعار الجهات المسؤول بضرورة الزيادة في عدد الاطر التربوية ورفع الميزانية لبناء المدرجات وفتح كليات أخرى متخصصة في اللغة العربية لأن كلية وحيدة في المغرب لا تكفي لاستقبال عدد الوافدين دون مشكل الاكتظاظ.

للإجابة على سؤال الدراسة الرابع:

ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالبيداغوجيا كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (4)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	الانفتاح على اللغات وتوعية الطالب بأهميتها في دراسة اللغة العربية	2.50	0.74
.2	توزيع المواد على مدة الدراسة	2.18	0.90
.3	الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور	2.11	0.73
.4	المرافق ضرورية	2.11	0.73
.5	تنظيم أيام دراسية للتوعية بأهمية التخصص والاجابة على اسئلة الطلبة	2.04	0.83
.6	المدة الزمنية المحددة لتدريس كل مجزوء ومقروء	2	0.86
.7	كثرة مواد الحفظ مقارنة بالفهم	1.96	0.88
.8	تحسين المواد المقررة وفق حاجيات سوق الشغل	1.93	0.76
.9	إشراك الطلبة في صياغة البرنامج	1.93	0.90
.10	تخصيص حصص للجانب التطبيقي (النحو والصرف)	1.93	0.90
.11	التدبير الزمني للحصص بحسب أهمية المواد	1.89	0.87
.12	خطة الجامعة في تشجيع البحث	1.79	0.83
	تنظيم ايام ثقافية للتعريف باهمية التخصص وتشجيع سوق العمل	1.75	0.84
	الدرجة الكلية	2.41	0.50

يوضح الجدول رقم (4) أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالبيداغوجيا كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

الانفتاح على اللغات وتوعية الطالب بأهميتها في دراسة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.50)، توزيع المواد على مدة الدراسة بمتوسط حسابي (2.18)، الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة

ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور بمتوسط حسابي (2.11)، المرافق ضرورية بمتوسط حسابي (2.11)، تنظيم أيام دراسية للتوعية بأهمية التخصص والاجابة على اسئلة الطلبة بمتوسط حسابي (2.04)، المدة الزمنية المحددة لتدريس كل مجزوء ومقروء بمتوسط حسابي (2)، كثرة مواد الحفظ مقارنة بالفهم بمتوسط حسابي (1.96)، تحسين المواد المقررة وفق حاجيات سوق الشغل بمتوسط حسابي (1.93)، إشراك الطلبة في صياغة البرنامج بمتوسط حسابي (1.93)، تخصيص حصص للجانب التطبيقي (النحو والصرف) بمتوسط حسابي (1.93)، التدبير الزمني للحصص بحسب أهمية المواد بمتوسط حسابي (1.89)، خطة الجامعة في تشجيع البحث بمتوسط حسابي (1.79)، تنظيم ايام ثقافية للتعريف باهمية التخصص وتشجيع سوق العمل بمتوسط حسابي (1.75).

نرى ان هذا الجدول يؤكد رغبة الطالب في الانفتاح على اللغات خاصة ذات الصلة باللغة العربة كاللغات السامية واعتماد المنهج المقارن في تقريب قضايا العربية، كما ان الطلبة يرون ضرورة اعادة النظر في توزيع المواد على مدة الدراسة وذلك بمراعاة الاولوية والاهمية بالنسبة للتخصص مع الاهتمام بالطالب وطريقة تفكيره باشراكه في وضع البرامج وتوزيع الحصص وتوفير المرافق الضرورية التي تحقق الراحة للطالب داخل الكلية. انا هذا الجدول اذن يؤكد رغبة الطالب في الانفتاح على المناهج الحديثة وتحيين المواد والبرامج وفق تطورها.

للإجابة على سؤال الدراسة الخامس:

ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بطرق التدريس كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (5)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	التغير في طرق التدريس بين المدرسين	2.61	0.68
.2	اعتماد الدراسات الميسرة في اللغة العربية	2.61	0.68
.3	كثرة الطلبة داخل الفصل يحول دون تمكين كل الطلاب من المشاركة	2.61	0.73
.4	استحضار اهمية المنهج المقارن في تيسير تدريس اللغة العربية	2.57	0.69
.5	التجديد في طرق التدريس	2.54	0.69
.6	اعتماد التقنيات الحديثة في التدريس والتواصل	2.43	0.79
.7	كثرة الطلبة و آثره في التقييم	2.36	0.87
.8	التواصل بين المدارس والطلبة	2.21	0.78
.9	استحضار أهمية المنهج المقارن في تيسير تدريس اللغة العربية	2.07	0.76
.10	الاستفادة من أساليب واستراتيجيات التدريس الحديثة	1.82	0.81
.11	الاهتمام بالاستراتجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة	1.75	0.70
	الدرجة الكلية	2.28	0.30

يوضح الجدول رقم (5) أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بطرق التدريس كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

التغير في طرق التدريس بين المدرسين بمتوسط حسابي (2.61)، الاعتماد الدراسات الميسرة في اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.61)، كثرة الطلبة داخل الفصل يحول دون تمكين كل الطلاب من المشاركة بمتوسط حسابي (2.61)، استحضار اهمية المنهج المقارن في تيسير تدريس اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.57)، التجديد في طرق التدريس بمتوسط حسابي (2.54)، اعتماد التقنيات الحديثة في التدريس والتواصل بمتوسط حسابي (2.43)، كثرة الطلبة

و آثره في التقييم بمتوسط حسابي (2.36)، التواصل بين المدارس والطلبة بمتوسط حسابي (2.21)، استحضار أهمية المنهج المقارن في تيسير تدريس اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.07)، الاستفادة من أساليب واستراتيجيات التدريس الحديثة بمتوسط حسابي (1.82)، الاهتمام بالاستراتجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة بمتوسط حسابي (1.75).

إن اكبر تحد غير محفز للطالب يتمثل في عدم الانفتاح على الدراسات الحديثة وبالتالي غياب الاستفادة منها في فهم الاستراتجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة، هذا بجانب اثر العدد في التقييم والذي يرتبط بالضرورة بغياب التواصل اللازم بين المدرس والطالب الناتج دائما عن كثرة العدد خاصة في الفصول الاولى، واما المناهج والبرامج وطرق التدريس فتبدو محفزة ومهمة ولهذا نهئ اعضاء التدريس بالكلية على حسن تسطير المقررات وطريقة تدريسها التي تعتبر بالنسبة للطالب اكبر محفز على الرغم من دعوة الطالب وحسب جددول سابق الى تحيين البرامج وفق حاجيات سوق الشغل وهو امر لا يتعلق بالمدرس و انما بالنظام العام.

للإجابة على سؤال الدراسة السادس:

ما مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالمجتمع المحلي وسوق العمل كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية؟

جدول رقم (6)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.1	تخويف الأهل للطالب من مادة اللغة العربية	2.79	0.56
.2	انتشار العاميات وهبوط الأداء اللغوي في المجتمع	2.75	0.58
.3	النظرة الشائعة بين الطلبة حول صعوبة اللغة العربية	2.64	0.73
.4	اهتمام الجامعة بتدريس لغات اخرى	2.57	0.74
.5	اعتبار المجتمع مادة اللغة العربية غير مجدية اقتصادية	2.54	0.63
.6	تأثير الأهل على الطلبة من خلال نظرتهم السلبية لمواد اللغات التي لا تجد موضعا في سوق العمل	2.54	0.74
.7	وصف اللغة العربية بالجمود والثبات	2.43	0.83
.8	ضعف سوق العمل شرط إتقان اللغات الاجنبية في الداخل والخارج	2.39	0.78
.9	اعتبار من يتخصص في لغة اجنبية أكثر أهمية للمجتمع المحلي	2.36	0.82
.10	اهتمام الجامعة بتدريس اللغات الأخرى أكثر من اهتمامها باللغة العربية	2.18	0.90
.11	مستوى التوعية بأهمية اللغة العربية في الداخل والخارج	2.14	0.80
.12	وضع سوق العمل شرط اتقان اللغات الاجنبية اساسا لاختيار المؤهلين	2.11	0.91
.13	اهتمام الجامعة بتدريس لغات الأخرى أكثر من اهتمامها باللغة العربية	1.96	0.92
الدرجة الكلية		2.41	0.43

يوضح الجدول رقم (6) أهم الفقرات التي توضح مظاهر تحديات دراسة اللغة العربية التي تتعلق بالمجتمع المحلي وسوق العمل كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية، حيث جاء في مقدمتها:

تخويف الأهل للطالب من مادة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.79)، انتشار العاميات وهبوط الأداء اللغوي في المجتمع بمتوسط حسابي (2.75)، النظرة الشائعة بين

الطلبة حول صعوبة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.64)، اهتمام الجامعة بتدريس لغات اخرى بمتوسط حسابي (2.57)، اعتبار المجتمع مادة اللغة العربية غير مجدية اقتصادية بمتوسط حسابي (2.54)، تأثير الأهل على الطلبة من خلال نظرتهم السلبية لمواد اللغات التي لا تجد موضعا في سوق العمل بمتوسط حسابي (2.54)، وصف اللغة العربية بالجمود والثبات بمتوسط حسابي (2.43)، ضعف سوق العمل شرط إتقان اللغات الاجنبية في الداخل والخارج بمتوسط حسابي (2.39)، اعتبار من يتخصص في لغة اجنبية أكثر أهمية للمجتمع المحلي بمتوسط حسابي (2.36)، اهتمام الجامعة بتدريس اللغات الأخرى أكثر من اهتمامهم باللغة العربية بمتوسط حسابي (2.18)، مستوى التوعية بأهمية اللغة العربية في الداخل والخارج بمتوسط حسابي (2.14)، وضع سوق العمل شرط اتقان اللغات الاجنبية اساسا لاختيار المؤهلين بمتوسط حسابي (2.11)، اهتمام الجامعة بتدريس اللغات الأجنبية أكثر من اهتمامها باللغة العربية بمتوسط حسابي (1.96) .

يتضح أن للمجتمع المحلي أثر كبير في تدني مستوى الطالب وتراجع الاهتمام بتخصص اللغة العربية، فالاسرة تأتي في مقدمة التحديات المرتبطة بالوسط لأن الاسرة هي الموجه الاساس للطالب ويرتبط بهذا المعيق معيقا اخر ربما هو سببه يتمثل في لغة التداول اليومي سواء كانت العربية الدارجة أو الامازيغية بلهجاتها المختلفة، هذا الى جانب الاخذ بالاحكام الجاهزة والسائدة في الوسط والنظرة السائدة بين الطلاب والتي تحد من رغبة الطالب في الاجتهاد. وهنا نرى ضرورة توعية المجتمع باهمية اللغة العربية وذلك عن طريق الندوات واللقاءات العلمية واشراك وسائل الاعلام السمعية والبصرية في اظهار أهمية هذه اللغة العالمية التي لا يعرف معظم من يحسب عليها اهميتها اما جهلا واما تكبرا.

للإجابة على الأسئلة المتعلقة بمتغيرات الجنس والعمر ومكان السكن، متغير معرفة الطالب باللغات الأجنبية، تخصص البكالوريا، لغة الأم، أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين الطلاب في تحديات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني بكلية اللغة العربية تعزى إلى متغير الجنس والعمر ومكان السكن، متغير معرفة الطالب باللغات الأجنبية، تخصص البكالوريا، لغة الأم، وهذا يؤكد ان الامر لا يتعلق بالطالب في ذاته و انما بالمنظومة التربوية وعلاقتها بالمجتمع المحلي وسوق الشغل.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

***نقطة الامتحان هدفا قائما بذاته يدفع الطلبة إلى الاقتصار على حفظ المعلومات بحثا عن النجاح دون الحاجة إلى البحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.43)، وطبيعة اللغة المعتمدة في الوسط العائلي أو الأمازيغية بمتوسط حسابي (2.43)، وشخصية الطالب و أثرها على مستوى الثقة بالنفس بمتوسط حسابي (2.39).**

*** التركيز على المصادر العربية القديمة بمتوسط حسابي (2.68)، والتركيز على المادة النظرية تحديد أهداف المواد والحرص على تحقيقها بمتوسط حسابي (2.68)، تفعيل نظام الحو افز لزيادة الاهتمام بالبحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.68)، تفعيل نظام الحو افز لزيادة الاهتمام بالبحث والإطلاع بمتوسط حسابي (2.64**

*** اكتظاظ الفصل بالطلبة و أثر ذلك في تعاملهم بمتوسط حسابي (2.39)، غياب مستلزمات التدريس بمتوسط حسابي (2.39)، لغة المدرس و أثره في الفهم بمتوسط حسابي (2.32)، المدة الزمنية المخصصة لإعارة كتب التخصص بمتوسط حسابي (2.29)، عدد المصادر المسموح باستعارتها بمتوسط حسابي (2.21)، طبيعة الفهرسة**

*** الانفتاح على اللغات وتوعية الطالب بأهميتها في دراسة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.50)، توزيع المواد على مدة الدراسة بمتوسط حسابي (2.18)، الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور بمتوسط حسابي (2.61)، الاعتماد 2.11)، المر افق ضرورية بمتوسط حسابي (2.11)، تنظيم أيام دراسية للتوعية بأهمية التخصص والإجابة على أسئلة الطلبة بمتوسط حسابي (2.04.**

*** التغير في طرق التدريس بين المدرسين بمتوسط حسابي ()الدراسات الميسرة في اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.61)، كثرة الطلبة داخل الفصل يحول دون تمكين كل الطلاب من المشاركة بمتوسط حسابي (2.61)،**

*** تخويف الأهل للطالب من مادة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.79)، انتشار العاميات وهبوط الأداء اللغوي في المجتمع بمتوسط حسابي (2.75)، النظرة الشائعة بين الطلبة حول**

صعوبة اللغة العربية بمتوسط حسابي (2.64)، اهتمام الجامعة بتدريس لغات اخرى بمتوسط حسابي (2.57).

*لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين الطلاب في تحديات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني) بكلية اللغة العربية تعزى إلى متغير الجنس والعمر ومكان السكن، متغير معرفة الطالب باللغات الأجنبية، تخصص البكالوريا، لغة الأم.

بعد عرض النتائج توصي الدراسة بمجموعة من المقترحات والتوصيات أهمها:

1- توجيه طلبة الدراسات العليا لإجراء دراسات فيما يتعلق بمعوقات تدريس هذه اللغة،دراسات تحليلية نوعية.
2- إجراء دراسات أخرى مقارنة على معوقات تدريس اللغة العربية في الجامعات الأخرى ، وفي العالم العربي .
3- توجيه الباحثين والأكاديميين وتشجيعهم على القيام بالبحوث الإجرائية لأهميتها في هذا المجال .
4- توعية أولياء الأمور والمجتمع المحلي بأهمية اللغة القومية والوطنية وكذلك بث التوعية والندوات المخططة في مختلف أسلاك التعليم.

5-تحيين طرق تدريس اللغة العربية والبرامج الدراسية مع ضرورة التنسيق بين الوحدات والشعب وذلك للحيلولة دون الفروق الجهورية التي تشتت ذهن الطالب وتعسر اندماجه في المجال المعرفي.

ولا يسعنا في الختام الا أن نوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى دلية اللغة العربية التي أتاحت لنا فرصة إنجاز الدراسة، وأخص بالذكر السيد العميد ونائبيه ومنسق ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني وطلبة الماستر الذين تفاعلوا بجدية مع الاستبانة والتي كانت عمدة الدراسة.

المراجع والمصادر:

- أنيس، منصور، الأهرام الأربعاء 25 / 5 / 1994 "

- بوشـــوك، المصـــطفى بن عبدالله. (1994م). تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافاتها. ط(2). الرباط:
  أطلال العربية للطباعة والنشر.
- أبو جبين، عطا محمد. (1994م) دراسة تحليلية تقويمية لكتاب التطبيقات اللغوية للصف التاسع الأساسي في الأردن. رسالة ماجستير (غير منشورة) الجامعة الأردنية :عّمان.
- أبو جبين، عطا محمد. (2011). اســـتراتيجيات ومهارات التفكير الإبداعي في اللغة العربية. مكتبة الفلاح . الإمارات : العين.
- أبو جبين، عطا محمد وجرادات وإدريس (2012/2013): معوقات دراســة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليلد،
- جرجس ميشــال: معجم مصــطلحات التربية والتعليم عربي فرنســي انجليزي، ، دار النهضــة العربية، بيروت لبنان، ط,1).
- الحربي، شيرين بنت غازي سليمان (2008)، معوقات إبداع معلمة اللغة الانجليزية بالمرحلة الثانوية في تدريس المادة من وجهة نظر المشـــرفات ومعلمات اللغة الانجليزية بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- خاقاني، محمد. (2005م). العربية المعاصـــرة في خضـــم التطورات. الجمعية الدولية للمترجمين العرب.
- الزراد، فيصـــل محمد خير. (1990م). اللغة واضـــطرابات النطق والكلام. الســـعودية: دار المريخ.
- الزكري احمد عبد الفتاح: معجم مصـــطلحات التربية لفظا واصـــطلاحا، الاســـكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر،
- شـــكري فيصـــل : تحســـين وســـائل خدمة اللغة العربية في الوطن العربي، في : اللغة العربية والوعي القومي، ط 2، بيروت، 1986، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 402.
- فضل، صلاح. (1985م). ط(3). نظرية البنائية في النقد الأدبي. دار الأفاق الجديدة: بيروت.
- بن عفيف، صـــالح بن أحمد (2010)، معوقات تدريس مواد التربية الإســـلامية بالمرحلة الثانوية

- عزام عبد الوهاب، 1958 مقال مكانة اللغة العربية)، في مجلة دعوة الحق، العدد الثامن، ص ص 15.14,
- فريحات حيدر. (2007) قانون اللغة العربية والتقنية الحديثة .
- مازن، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي- مؤسسة الرسالة ودار النفائس- بيروت
- نهاد الموسى (2007). قيم الثبوت وقوى التحول. دار الشروق ، الأردن .
- نهاد الموسى 1983: مقدمة في علم تعليم العربية، في: أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، نشر: الجامعة التونسية، سلسلة اللسانيات، عدد 5.
- اليافي، يناير 1979، من أسرار الابجدية العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد الرابع والعشرون، ج1.
- Freeman, J. (1995). Comflicts in Creativity. European Journal of High Ability, 6, 188-200.
- Gardener, H. (1983). Frames of Mind, New York: Basic Books Ch 2

Merritt, J. (1972) The Reading Curriculum, London University of London

الملاحق

الاستبانة:

معوقات دراسة اللغة العربية ، كما يراها طلبة التخصص بكلية اللغة العربية (ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني)

حضرة الطالب/ة المحترم/ة:

يقوم الباحثان د.مليكة ناعيم ود. إدريس جرادات بتعاون مع الدكتور هشام فتح بإعداد دراسة حول تحديات دراسة اللغة العربية - كما يراها طلبة التخصص وذلك لإجراء دراسة أكاديمية. ستجد مجموعة من المحاور، وعلى كل محور مجموعة من الأسئلة ،لكل سؤال عدة بدائل، نرجو أن تختار البديل الأفضل بوضع إشارة × تحت المؤشر المناسب.

- الجنس : ☐ ذكر ☐ أنثى
- العمر: ☐21 -24 سنة ☐25-30 سنة ☐ 31.
- مكان السكن: ☐ مدينة☐ قرية
- معرفتك باللغات الاجنبية : ☐عالية ☐ متوســطة ☐ منخفضة
- تخصص البكالوريا: ☐ علوم ☐ لغة عربية ☐أدب عربي ☐ تعليم أصيل
- لغة الام: ☐ العربية الدارجة ☐امازيغية ☐ أجنبية

المعوقات المتعلقة بالطالب:

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخ فضة
.1	المستوى المادي للطالب ووضعه الاجتماعي			
.2	طبيعة الاستقرار			
.3	التربية الأسرية و أثرها في تعلمه .			
.4	طبيعة اللغة المعتمدة في الوسط العائلي: الدارجة أو الامازيغية			
.5	شخصية الطالب و أثرها على مستواه: الثقة في النفس			
.6	ضرورة التواصل باللغة العربية الفصحى و أثره على حضور الطالب الفعلي داخل الفصل			
.7	طرق توظيف الطلاب للوسائل المعلوماتية الحديثة في دعم تخصصهم العلمي			
.8	ضعف مستوى الطلبة في فهم مواد اللغة العربية.			
.9	اعتبار الحصول على نقطة الامتحان هدفا قائما بذاته يدفع الطلبة إلى الاقتصار على حفظ المعلومات بحثا عن النجاح دون الحاجة للبحث والاطلاع			
.10	تدني دافعية الطلبة للتعلم وعدم الاهتمام بالتحضير المسبق للحصة.			
.11	عدم إدراك الطلبة للأهداف التعليمية التي عليهم تحقيقها.			
.12	مستوى دربة الطلبة على المشاركة في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالجانب التطبيقي			
.13	غير ذلك: أذكرها			

ثانيا : التحديات المتعلقة بعضو هيئة التدريس والبرنامج :

الرقم	الفقرة	محفز قوي	محفز ضعيف	غير محفز
.14	تحديد أهدافالمواد والحرص على تحقيقها			
.15	تفعيل نظام الحو افزلزيادة الاهتمام بالبحث والاطلاع.			
.16	التركيز على الفهم والتمرين			
.17	التركيز على المادة النظرية			
.18	الانفتاح على المناهج والدراسات الحديثة			
.19	معايير تقييم الطلبة. الامتحانات			
.20	الحرص على إنهاء المقررفي الوقت المحدد.			
.21	التركيز على المصادر العربية القديمة			
.22	إشراك الطالب في إنتاج المعرفة وبناء الدرس			
.23	إشراك الطالب في تحديد البرنامج الدراسي			
.24	التغذية الراجعة والربط بين المحاضرات والمحاور			
.25	لغة المدرس و أثرها في الفهم			
.26	غير ذلك: أذكرها			

ثالثا : التحديات المتعلقة بالمرافق والمكتبة:

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
.27	اكتظاظ الفصل بالطلبة و أثر ذلك في تعلمهم	.		
.28	غياب مستلزمات التدريس الحديثة			
.29	غياب مختبر اللغات ومراكز البحث			
.30	طبيعة الفضاء في علاقته بالتخصص			
.31	فضاء المكتبة			
.32	عدد المصادر المسموح باستعارتها			
.33	المدة الزمنية المخصصة لإعارة كتب التخصص			
.34	التوقيت المحدد للاستفادة من الخزانة في علاقته بأوقات الدراسة			
.35	الفترة الزمنية المتاح فيها للطالب ولوج فضاء الكلية (أيام العمل)			
.36	المعايير المعتمدة في تحديد نوعية الإعارة			
.37	طبيعة الفهرسة والتصنيف			
.38	المرافق الضرورية			
.39	غير ذلك: أذكرها			

رابعا : التحديات المتعلقة بالبيداغوجيا:

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
.40	المدة الزمنية المحددة لتدريس كل مجزوءة والمراجع المقررة			
.41	تخصيص حصص للجانب التطبيقي (النحو والصرف)			
.42	الانفتاح على اللغات وتوعية الطالب بأهميتها في دراسة اللغة العربية			
.43	الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور.			
.44	إشراك الطلبة في صياغة البرنامج			
.45	كثرة مواد الحفظ مقارنة بالفهم .			
.46	توزيع المواد على مدة الدراسة			
.47	تنظيم أيام دراسية للتوعية بأهمية التخصص والإجابة عن أسئلة الطلبة			
.48	تحيين المواد المقررة وفق حاجيات سوق الشغل			
.49	خطة الجامعة في تشجيع البحث والتكوين: تشجيع الأنشطة الموازية والاحتفاء بأبحاث المتفوقين			
.50	التدبير الزمني للحصص بحسب أهمية المواد			
.51	الغلاف الزمني المخصص للإجازة			
.52	تنظيم أيام ثقافية للتعريف بأهمية التخصص وتشجيع سوق الشغل			
.53	غير ذلك: أذكرها			

خامسا : التحديات المتعلقة بطرق التدريس:

رق	الفقرة	محفزقوي	محفزمتوسط	محفزضعيف
.54	التجديد في طرق التدريس.			
.55	اعتماد التقنيات الحديثة في التدريس والتواصل			
.56	الاستفادة من أساليب واستراتيجيات التدريس الحديثة			
.57	الاهتمام بالاستراتيجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة.			
.58	استحضار أهمية المنهج المقارن في تيسير تدريس اللغة العربية			
.59	التواصل بين المدرس والطلبة و أثره في اهتمام المدرس بمشاكل الطلبة والفروق الفردية.			
.60	كثرة أعداد الطلبة و أثره في التقييم			
.61	كثرة الطلبة داخل الفصل يحول دون تمكين كل الطلاب من المشاركة			
.62	التركيز على المتون اللغوية و أثره في التدريس			
.63	اعتماد الدراسات الميسرة للغة العربية			
.64	التغاير في طرق التدريس بين المدرسين			
.65	الاعتماد على التطبيقات في دعم الفهم			
.66	غير ذلك: أذكرها			

سادسا : التحديات المتعلقة بالمجتمع المحلي وسوق العمل :

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
.67	تخويف الأهل للطالب من مادة اللغة العربية.			
.68	انتشار العاميات وهبوط الأداء اللغوي في المجتمع			
.69	تأثير الأهل على الطلبة من خلال نظرتهم السلبية لمواد اللغات التي لا تجد موضعا في سوق العمل			
.70	غياب المواد المعالجة لأهمية اللغة كفلسفة اللغة مثلا			
.71	اعتبار المجتمع مادة اللغة العربية غير مجدية اقتصاديا.			
.72	ضعف تواصل المجتمع المحلي وسوق العمل مع الجامعة.			
.73	وضع سوق العمل شرط إتقان اللغات الأجنبية أساسا لاختيار المؤهلين			
.74	مستوى التوعية بأهمية اللغة العربية في الداخل والخارج .			
.75	اعتبار من يتخصص في لغة أجنبية أكثر أهمية للمجتمع المحلي .			
.76	تدريس بعض المواد التطبيقية الحديثة باللغة الفرنسية يقلل من أهمية اللغة العربية في نظر المجتمع			
.77	اهتمام الجامعة بتدريس اللغات الأخرى أكثر من اهتمامها باللغة العربية			
.78	وصف اللغة العربية بالجمود والثبات			
.79	النظرة الشائعة بين الطلبة حول صعوبة اللغة العربية			
.80	غير ذلك: أذكرها			

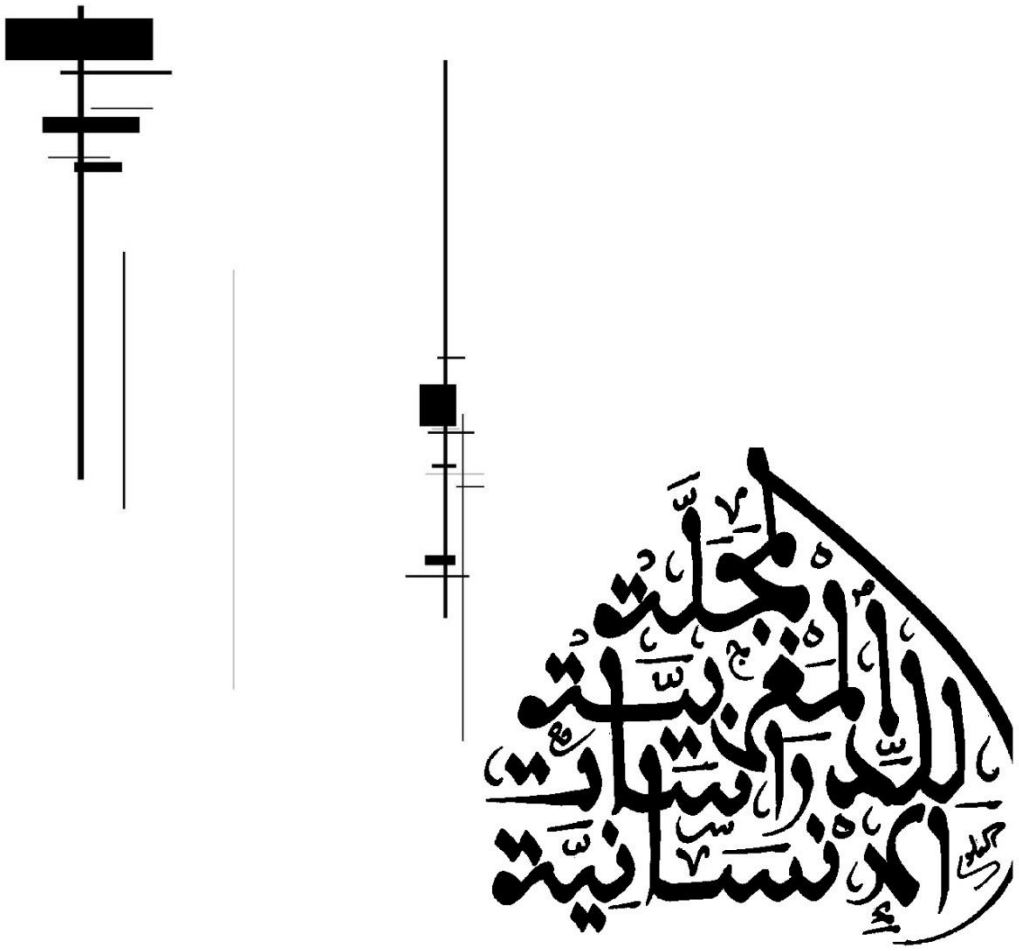

اللغة العربية ومنظومة التعليم بالمغرب الأقصى خلال العهد الموحدي

بنيونس عليوي، باحث بسلك الدكتوراه

ملخص البحث

تروم الورقة البحث في مدخل من مداخل النهضة الحضارية التي عرفها العصر الموحدي في المغرب الأقصى، ونقصد ها هنا الحركة اللغوية في علاقتهابمنظومة التعليم التي ميزت هذه الحقبة التاريخية المهمة في تاريخ الأمة المغربية والتي كان لها انعكاس بين على النهضة الحضارية في بلاد المغرب الأقصى إبان فترة حكم الموحدين، وذلك من خلال التركيزعلى بعض البوارق من إسهامات الحركة اللغوية من جهة ومن جهة ثانيةكشف الحجب عن مناهج التعليم التي عرفتها هذه المرحلة، وكذلك نتائجها -التي لا شك- أنها انعكست انعكاسا إيجابيا على ترشيد الحقل اللغوي في الدولة الموحدية المترامية الأطراف وفي المغرب الأقصى على وجه الخصوص الذي كان يشكل محورا مهما من محاور الدولة الموحدة.

مقدمة

نال تاريخ المغرب اهتماما كبيرا من طرف الباحثين في مختلف مراحله التاريخية، إلا أنه مازال في حاجة لجهود كثيرة، خاصة أن كثيرا من القضايا مازالت تحتاج للبحث من طرف المهتمين والباحثين، من هذا المنطلق تحاول هذه الورقة البحث في قضايا التعالق والمشاكلة بين ثالوث الحركة اللغوية، والنظام التعليمي والنهضة الحضارية على عهد الموحدين، من جهة ومن جهة ثانية تدرس سيرورة تمكن اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأمازيغية في المجتمع الموحدي الذي احتضن عوامل عديدة ساهمت في تقرير المصير اللغوي في منطقة المغرب الأقصى في هذا العصر.

إن دراسة هذه الحركة اللغوية ودورها الريادي من أهم القضايا التي يحسن التعرف عليها، والوقوف على ملابساتها المختلفة، لاسيما أنها تكاد تكون من أبرز سمات تاريخ المغرب

الأقصى الموحدي. ولا يختلف اثنان فيما للجانب اللغوي من أهمية بالغة في حياة المجتمعات والأمم، فهو الركيزة الأساسية لبناء حضارتها والمحافظة على مقومات شخصيتها، لهذا أولى الجانب اللغويبالاهتمام الفائق، بل يعتبر دليل وعي الأمم، وترجمان تطلعاتها إلى مستقبل أفضل للتأسيس الحضاري.

من منطلق أن للنهضة اللغوية أهمية كبيرة لا يمكننا إنكارها، لا سيما في بناء الحضارة، ولا شك في أنها ضرورية من أجل دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والنهوض بالمجتمع وتحسين مستوى ثقافته، إذ إن الأمم والحضارات مقياس تقدمها وعلوها هو حظها من الإنتاج اللغوي خاصة مع بروز مباحث لسانية في العصر الحديث لها امتداداتها في باقي الحقول المعرفية الأخرى ليست الإنسانية فقط، بل إن امتدادها بلغ العلوم الدقيقة كعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي وغيرها، وكلما كانت الأمة متعلمة وأهل العلم فيها هم أهل المراتب العالية كلما كانت أمة متقدمة، فإذا ما نظرنا إلى بلدان العالم المتقدم نجد أن البلدان التي في الطليعة هي من تولي العلم والتعلم كامل العناية والاهتمام.

وإذا كان أغلب المشتغلين بالبحث في الجانب العلمي والمعرفي واللغوي، في تاريخ المغرب الأقصى يتفقون على أن فترة الأوج العلمي والازدهار اللغوي والفكري بصفة عامة هي الفترة الموحدية (يمكن الرجوع إلى كتابات مالك بن نبي، عبد الله كنون، محمد المنوني، محمد بنشريفة، عباس الجراري...)، فإن السؤال الذي نطرحه ههنا هو، ما علاقة النهضة الحضارية في العهد الموحدي بالنظام التعليمي ومناهجه وأساليه؟ وما هي انعكاسات النظام التعليمي على الحركة العلمية على وجه العموم؟ والحركة اللغوية في هذا العصر بشكل خاص؟ وكيف ساهمت هذه الحركة العلمية اللغوية في ترشيد حركة التعريب بالمنطقة؟

المحور الأول: النظام التعليمي على عهد الموحدين مناهجه وأساليه

- ✓ الحياة العلمية في عصر الموحدين

شهد المغرب والأندلس أزهى عصوره الحضارية مع دولة الموحدين حيث نشط فيها الفكر بصفة عامة، وتهيأت ظروف الازدهار التعليمي والتأليفي في العدوتين، سهر عليه علماء مغاربة و أندلسيون، نظرا للانصهار والتمازج السياسي الثقافي والاجتماعي الذي كان بين المغرب والأندلس، فالازدهار العلمي الذي شهده المغرب والأندلس لم يولد من فراغ، بل هو ثمرة لبذرة

غرست قبل هذا العهد، إذ المعروف أن الحركة العلمية ما هي إلا سلسلة متعددة الحلقات، كل حلقة تعتمد على الحلقة السابقة وتؤسس للتي تليها؛ فالمرابطون استطاعوا الحفاظ على الحركة العلمية التي كانت سائدة آنذاك وأضافوا إليها الكثير سواء في المغرب أو الأندلس، وعند تسلم الموحدين الحكم بزغت إلى الوجود ثمرة جهود المرابطين في تشجيع العلم وتحفيز العلماء من مختلف المشارب والمدارك إبان عهدهم الزاهر، فبذرت بذور النهضة العلمية الكبرى التي نمت وترعرعت على عهد الدولة الموحدية العظيمة، وهذا الازدهار العلمي الذي شهده هذا العصر يرجع بالأساس إلى النظام التعليمي المتميز الذي ساهمت فيه الدولة والمجتمع معا.

كما كان هناك تبادل ثقافي بين المغرب والمشرق في العصر الموحدي أكثر مما كان عليه في العصر المرابطي، حيث كان هناك علماء يأتون من الشرق إلى المغرب من أجل التدريس، أو الأخذ عن علمائه والتضلع في ثقافتهم، وفي نفس الوقت كان هناك من العلماء المغاربة من شَدُّوا الرحال إلى المشرق للاستزادة من العلم أو للتدريس في معاهده التالدة.[1] وهنا يتبين دور الرحلة العلمية كآلية للبناء الحضاري، فقد شهد العصر رحلات علمية تذكر كتب الرحلات جزءا منها، مما ساهم في توسيع وإذكاء الروح المعرفية وازدهار الحياة العلمية في هذا العصر.

وقد أسس الموحدون المدارس، وعمروا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، و اقترحوا تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات والامتحانات، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة، وأسسوا خزائن الكتب، وسبقوا إلى التعليم الاجباري، و ابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم، وإنهم لرغبتهم في نشر العلم علموا حتى باللسان البربري وكذا أحيوا سنة اهتمام عظماء المسلمين بالترجمة، فأمروا بترجمة كثير من الكتب المهمة.[2] وسنبسط القول بالتفصيل في الآتي من الأسطر عن المعاهد العلمية في هذا العصر وأهم المميزات التي ميزتها.

والملاحظ أن العصر الموحدي امتاز بوفرة في دراسة علوم الدين والفقه والأدب والعلوم العقلية، ومن تم زخر بجمهرة كبيرة من العلماء على اختلاف مشاربهم ومسالكهم، و أنتج علماء وفقهاء امتازوا بالجمع بين العلوم الشرعية كالفقه والأصول والحديث والتفسير، والعلوم الأدبية وعلوم اللغة، والعلوم العقلية، مما سيُسهم في بروز التيار العقلاني في الحركة العلمية، ويتجلى ذلك في اعتناء ابن تومرت المؤسس الأول لدولة الموحدين بإحلال التوحيد الكلامي القائم

[1] انظر: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، 300/1، ط:1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء: 1984م.

[2] محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.ط 1، 1989، ص، 14.

على التأويل محل توحيد السلف القائم على التسليم بظاهر الآيات القرآنية، حيث أخذ يدرس التوحيد الكلامي جهرا بعد أن كان يذيعه بين تلاميذه سرا في بداية ظهوره، مما ساهم في بروز التيار العقلاني، والفكر الذي يعتمد على العقل المجرد؛ وكان ابن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية قد وضع مذهبا توحيديا كلاميا وليس مذهبا فقهيا، وهاجم علماء المالكية لوقوفهم حجر عثرة في سبيل مذهبه التوحيدي الكلامي.[1]

إن البحث العلمي في تاريخ الدولة الموحدية يظهر الجهود الجبارة التي قامت بها من أجل ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها، والمُضي بها إلى الأمام على صعيد العدوتين المغرب والأندلس، ويتجلى ذلك في الزخم الهائل من العالمات والعلماء الذين تذكرهم كتب التراجم، والذين حفل بهم هذا العصر الذهبي، وغزارة الإنتاج العلمي في كثرة المصنفات في جميع فروع المعرفة، مما سيسهم في إثراء الحياة العلمية بالغرب الإسلامي بل بالعالم الإسلامي كله، ويمكن القول إن مما ساعد على إذكاء الحركة العلمية بالغرب الإسلامي خلال هذه الحقبة التاريخية الزاهرة، تقاطر ووفود العلماء على اختلاف مداركهم ومشاربهم ومسالكهم من الأندلس إلى المغرب، واستقرار الكثير منهم بمراكش عاصمة الدولة الموحدية أو بغيرها من المدن المغربية، وعبور العلماء والطلبة المغاربة من جهة أخرى إلى الأندلس الرطيب لطلب العلم، والنهل من منابعه الأصلية، ومعاهده التالدة "كقرطبة" و"إشبيلية" و"غرناطة" و"مرسية" و"بلنسية".. بالإضافة إلى ما كان يجلبه الخلفاء الموحدون من علماء على اختلاف طوائفهم ومعارفهم.[2]

وما يمكن الجزم به هو أن العصر الموحدي يمثل الذِّروة في النشاط الفكري المتميز في مختلف فروع العلم والمعرفة من عقلية ونقلية؛ لأن شعار الدولة كان هدفه الرئيسي تجديد الدين، وهذا يقتضي التوسع في العلم على جميع النواحي وليس الاقتصار على العلوم الشرعية فقط.

صفوة القول إن الحركة العلمية في عهد الدولة الموحدية نشطت نشاطا منقطع النظير في مختلف الميادين الفقهية والعلمية والأدبية والفنية، حيث كانت الدولة تنعم بجمهرة هامة

---

[1] يمكن العودة لكتاب عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ص:307-308، ط:1، دار المعارف، مصر:1971، وقد توسع صاحبه في تفصيل القول حول التيار العقلاني في هذا العصر.

[2] انظر: عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، 647/2، ط:2، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1990م.

من الفقهاء والفلاسفة والأطباء والمهندسين والموسيقيين.[1] كما ازدهرت علوم اللغة ازدهارا منقطع النظير برزت فيه جهود علماء كبار خطوا مناهج جديدة في التأليف اللغوي من جهة، ومن جهة أخرى أبدعوا في طرق تدريسها، وسنخصص حيزا للدراسات اللغوي في هذا العهد فيما سيأتي من الصفحات.

1 . معاهد التعليم في العهد الموحدي

كان للموحدين مناهج مختلفة في التعليم حسب تنوع مراكز التعليم بالمغرب، فكان هناك منهاج للمدارس التي توسعوا في بنائها في المغرب والأندلس، ومنهاج للجوامع التي كانت تحف بها مملكتهم الشاسعة، وآخر للتعليم الإجباري الذي ابتكره الخليفة عبد المؤمن، وسنذكر بعض ما ميز مناهج التعليم على عهد الموحدين لما رأينا فيها من مثارات الفرادة والسبق والإبداع.

يذكر أن الدولة الموحدية التي استطاعت توحيد بلاد المغرب و جزء من الأندلس لأول مرة في التاريخ لمدة تزيد عن قرن و نصف قرن من الزمن، لم يكن لها قصب السبق والانفراد في ذلك، لولا وعيها الكبير واهتمامها بالتربية و التعليم، و قد كان المغرب في العصر الموحدي متصلا بالأندلس، وتربطهما وشائج ثقافية قوية، والمتتبع للحركة الثقافية فيه يجد أن الخصائص العامة لثقافة المغرب تكاد تكون هي نفسها الخصائص العامة للثقافة الأندلسية والمشرقية معا، ذلك أن اللغة العربية عرفت كيف تصهر المظاهر الحضارية والعمرانية للأمة الإسلامية في خصائص مشتركة دون أن تقف أمامها حدود جغرافية و سياسية.

وتحفظ المصادر التاريخية أن الخلفاء الموحدون تفردوا في إبداع مناهج تعليمية متميزة خاصة في الحواضر الكبرى مثل مراكش وفاس وباقي مدن الدولة الموحدية حرصا منهم على التعليم والتثقيف لكل شرائح المجتمع، وبسَّطوا المساطر لكل من أراد ولوج هذه المعاهد والمؤسسات التعليمية للنهل منها والجلوس إلى علمائها الراسخين في العلم المبرَّزين في التعليم والتربية، ولقد حرص الموحدون على استجلاب العلماء إلى حضرتهم وحشدهم، سواء في بلاطهم أو في المعاهد من أهل كل فن من فنون المعرفة وخاصة أهل علم النظر منهم؛ حيث كانوا يدققون في اختيار العلماء المدرسين واختبار كفاءتهم ومدى تمكنهم وتوسع مداركهم ومشاربهم.

[1] ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، ص:49-50، ط:3، دار الغرب الإسلامي، بيروت:1987م. وانظر: يوسف العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبعة الملك عبد العزيز، الرياض: 1995م.

وقد كانت الجوامع والكتاتيب والرباطات مشـــهورة في العهد الموحدي وكانت تلقى بها الدروس ويتلقى فيها العلم، فكانت هناك جامع القرويين العتيدة بمدينة فاس، وجامع مدينة سبتة السليبة، وجامع مدينة مكناس، وجامع مراكش المدينة التي أصبحت عاصمة علم ثانية، مما دفع البعض بتســميتها بغداد المغرب في ذلك العهد؛ بالإضــافة إلى مدينة فاس العاصــمة العلمية الأولى التي اجتمع فيها علم القيروان، وعلم قرطبة على حد تعبير المراكشي صاحب كتاب "المعجب".[1]

كما كانت من العادة المترسخة عند الموحدين أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار إلا من انتهت إليه المهارة والرســوخ في العلم والدين في وقته، فيلقون دروســهم ويجيزون الطلبة المتفوقين بإجازات ما زالت بطون الأمهات من الكتب والمصــادر المختلفة تشــهد بها على عظمة العصر الموحدي الزاخر بالعلم والعلماء، وكانت الدراسة مزدهرة بجامع القرويين مفخرة المغرب و أيقونته المضــيئة، ومن مظاهر جامعة فاس الموحدية ارتفاع عدد الرحالين إليها لأخذ العلم بها عما كان عليه الحال في العهد المرابطي، ونذكر من الأندلسيين الراحلين للدراسة بفاس الموحدية على ســبيل المثال عبد الحق بن خليل الســكوني، وعبد الرحمن بن عفير الأموي الإشــبيلي (ت580هـ)؛ ولقد كان لهذه الرحلات العلمية المتبادلة بين المغرب والأندلس أثرا واضحا في توسيع الحياة العلمية والفكرية و إثرائها، ولعل من أبرز مظاهر ذلك تلك الأعداد الهائلة من العلماء الذين حفل بهم هذا العصر الذهبي من تاريخ الغرب الإسلامي مقارنة بالعصور السالفة.

وقد تنوعت المعاهد وطرق التدريس بها في هذا العصــر حيث إن الموحدين قد أســســوا مجموعة من المدارس والمعاهد والرباطات والجوامع لترسيخ ثقافة العلم والمعرفة.

1 . المدارس العامة ومناهج التدريس بها

رغم ندرة المادة المصــدرية التي توثق لمناهج التعليم بالمدارس التي كانت منتشــرة في بقاع الدولة الموحدية، إلا أنه من حسـن الحظ أن صـاحب الحلل الموشـية أفادنا ببع المعلومات - وإن كانت غير كافية - فهي قيمة وفريدة عن منهاج المدرســة العامة لتخريج الموظفين بمراكش، قال : وربى - عبد المومن - الحفاظ - صـغار الطلبة - بحفظ كتاب الموطأ؛ وهو كتاب أعز ما يطلب، وغير

[1] أشار صاحب كتاب المعجب إلى مجموعة من القضايا المرتبطة بمناهج التعليمي في العصر الموحدي، سيأتي في باقي الصفحات ذكر جزء مها.

ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فيأخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانة مربعة؛ طول تربيعة نحو ثلاثمائة باع، ويوما يأخذهم بأن يحدقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعطاء، وتارة بالأدب.[1]

وقد كان لأمراء الدولة الموحدية دور كبير في تشييد مجموعة من المدارس، ولم تكن مداس ذات تخصص واحد في التدريس بل إن المصادر التاريخية تؤكد أن بعها اختص في العلوم خاصة الفقهية واللغوية، كما منها ما اختص بالملاحة وغيرها.

ويقترن اسم عبد المومن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في هذا العصر، فقد أسس عبد المومن مدارس بمراكش واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها. ولا شك أن في مقدمة هذه المدارس: المدرسة العامة لخريج الموظفين، المذكورة في الحلال الموشية، المدرسة الملكية وتعليم الأمراء الموحدين ... كذلك أسس عبد المومن بالرباط مدرسة تعليم فن الملاحة.[2]

ويعقوب المنصور هو الآخر أسس مدارس لا في المغرب فحسب، بل وفي أفريقية والأندلس، ومن المدارس التي حافظ التاريخ على اسمها مما أسسه بالمغرب: المدرسة التي أنشأها بالمدينة التي اختطها خارج مراكش، ذكرها في مسالك الأبصار. وصفها بأنها مكان جليل به خزائن الكتب. ومدرسة المسجد الأعظم بطالعة المدرسة التي سلمها المنصور للإمام أبي العباس السبتي. وقد ذكر سيدي محمد المنوني في كتاباته[3] بعض هذه المدارس كما استقاها من المصادر التاريخية التي كتبت في هذا العصر، أشرنا إلى بعضها لأن المقام لا يتسع للتفصيل فيها.

[1] أنظر، محمد المنوني، في حضارة الموحدين، وكذلك العلوم والأدب والفنون في العصر الموحدي.

[2] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 17.

[3] ينظر، محمد المنوني، في حضارة الموحدين، وكذلك العلوم والأدب والفنون في العصر الموحدي.

علاوة على ذلك أسس يعقوب المنصور مدارس أخرى بمراكش وسلا و أفريقية والأندلس، كما اعتنوا بالكتب والخزانات وتوفيرها للدارسين، وكانت ليوسف خزانة تضاهي خزانة الحكم المستنصر بالأندلس.[1]

ولم يكن الأمراء والمسؤولون في الدولة الموحدين وحدهم من أخذوا على عاتقهم مهمة تشييد المدارس، بل إن المسألة كانت قضية دولة ومجتمع في الآن ذاته.

إذ إن بعض الأفراد ساهموا كذلك في إنشاء المدارس، ونقصد بهذا البعض أبا الحسن الشاري الغافقي السبتي، ابتنى المدرسة المنسوبة إليه ببلده سبتة.[2]

وإذا كانت هذه بعض المدارس التي استقيناها من المصادر التاريخية والمراجع التي انكبت على هذا العصر بالدراسة والبحث، فلابد من الإشارة إلى أن هذه المدارس كان لها منهجها الخاص في التدريس، وإن كنا نعدم في كثير من الكتب معلومات مستفيضة عن الموضوع، فسنكتفي بما أشار إليه صاحب الحلل الموشية، يقول: "وربى - عبد المومن - الحفاظ - صغار الطلبة - بحفظ كتاب الموطأ، وهو كتاب أعز ما يطلب، وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فيأخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانة مربعة؛ طول تربيعة نحو ثلاثمائة باع، ويوما يأخذهم بأن يحدقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعطاء، وتارة بالأدب.

وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده، وخيلهم وعددهم كذلك، ولما كمل له هذا المراد فيهم عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم فسلموا لهم."[3]

---

[1] أنظر الحسن السايح دفاعا عن الثقافة المغربية، دار الكتاب، البيضاء، 1968. ص 136، و عبد الله علي العلام، الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف، 1968، ص، 281 إلى 381.

[2] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 17.

[3] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 19.

وهنا لا بد من التوضيح أن هذه المدراس كانت مخصصة لتخريج موظفين علماء، على أن المساجد كانت مخصصة لتخريج العلماء الآخرين.

1 . الجوامع الموحدية مؤسسات دينية ذات وظائف تعليمية

اضطلعت الجوامع في العصر الموحدي بدور التثقيف والتعليم، فعلاوة على كونها بيوت الله التي يحج إليها المصلون لإقامة الصلاة، فهي أيضا مؤسسة للتثقيف ونشر المعرفة وهذا ما تسجله المصادر التاريخية التي أرَّخَت لدور المسجد الريادي في التعليم.

والجوامع كانت كبارا مثل القرويين وجامع سبتة، وكذا جامعا مراكش ومكناس، وجامع كبريات المدن المغربية الأخرى، كما كانت ـ طبعا -جوامع صغار.

ويذكر البكري أبو عبيد في كتابه "المغرب" مجموعة من المساجد التي كانت منتشرة في ربوع الدولة الموحدية، بكل من طنجة [1] والبصرة[2] وأصيلا [3] وسجلماسة [4] وسوق كتامة[5]وجراوة [6]، وغيرها من المساجد التي كانت تضطلع بدور التثقيف والتعليم وكانت قبلة للمناظرات العلمية والدروس في شتى العلوم الدينية والدنيوية.

هذه بعض من المساجد التي كانت منتشرة في بقاع الدولة الموحدية، ولا بد من الإشارة إلى أن الوظائف التي كانت تضطلع بها المساجد متفاوتة بين مسجد وآخر، نظرا لأن بعضها كان بالمراكز الحضارية الكبرى فكان بذلك منارة يحج إليها الطلاب والأساتذة والعلماء، الذين عقدوا فيها الدروس والمناظرات، وبعضها الآخر كان يقتصر فيه على الصلاة.

وكانت العادة أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، وكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة، وكان أسلوب التدريس عندهم ممتازا، وكان يقوم على التدريج بالمتعلمين في مدارج التعليم، ومن أمثلة هذا ما جاء عن الأستاذ أبي علي الشلوبين أنه دخل مراكش فوجد الشيخ الجزولي النحوي يدرس في مسجده علم العربية، فلما

---

[1] البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلان، باريس 1911، ص، 109.

[2] المرجع نفسه، ص 110.

[3] المرجع نفسه، ص، 111.

[4] المرجع نفسه، ص، 148.

[5] لمرجع نفسه، ص، 110.

[6] لمرجع نفسه، ص، 142.

قعد إليه إذا بين يديه حلقة من المتبدئين يقرئهم على قدر أفهامهم، فألقى عليه سؤالا فأجابه بجواب متوسط على قدرهم، ثم ارتفعوا فجأة حلقة أخرى للنجباء الشادين، فكان يلقى حينئذ الأسئلة فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق.[1]

وإذا كانت المساجد لا يأخذ منها المتلقي إلا ما يفيد في التحصيل الضروري من اللغة والعلوم الدينية، فإن المساجد الجامعة ستقوم بأدوار طلائعية في نشر اللغة العربية لم كانت تشهده من حركة علمية ذائعة، يجد في الطالب فرصة لاستكمال، ثقافته الدينية، وتعميق معلوماته، خصوصا ان مدة الدراسة بها مفتوحة، ويشرف على التدريس بها هيئة من كبار العلماء، والفقهاء، وللطالب أن بختار شيوخه، ويلتحق بأي حلقة شاء، يسأل ويناقش وينهل من علوم التفسيروالقراءات والفقه، وهي علوم تتجسد فيها اللغة العربية بكل مستوياتها، إضافة إلى العلوم المتصلة باللغة العربية كاللغة والنحو التي كانت تطلب كوسيلة لفهم النصوص الدينية، لذلك كانت تحتل مرتبة مهمة في قائمة البرامج المعمول بها، كما ينضاف إلى كل هذا حفظ التصانيف والنصوص، لأن الحفظ عملية تعليمية لا مناص منها عند المغاربة لاستئناسهم بالثقافة المروية المتو اترة.[2]

وخلاصة القول إن أبرز ما يمكن استنتاجه هو أن الجوامع كانت وعاء للغة والثقافة العربيةش\[3]. وبذلك يمكن القول إن المسجد كانت ذات مشروع علمي ومعرفي مميز، ساهم في بناء ثقافة عالمة في صفوف سكان المغرب الأقصى، على أن من أهم الأبعاد التي يغفل عنها مجموعة من الباحثين في هذا السياق، هو أن المساجد كانت تيسِّر عملية التعرب، لأن مجال الدولة الموحدة -خاصة المغرب الأقصى- كان ناطقا باللسان الأمازيغي، فكانت الجوامع بذلك قبلة لفئات المجتمع التي أحبت اللغة العربية فتعلمتها وساهمت في تعليمها بدورها.

1 . التعليم الإجباري مشروع مجتمعي بأبعاد حضارية كبرى

[1] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 18.

[2] إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم في المغرب المسلم حتى القرن 15/9، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثية، ج1، ص،108.

[3] عباس الجراري، الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، المحمدية، مطبعة فضالة، 1989، ص 165.

تحدثنا في المباحث السـابقة عن بعض مثارات الفرادة في معاهد التعليم ومناهجه على عهد الموحدين، التي يقف أمامها الباحث معتزا بانتمائه لهذه الأمة التي كانت ذات سبق حضاري يفي مجموعة من المناهج التعليمية في هذه الحقب النيرة.

وفي هذا السـياق لا بد من الحديث عن تجربة متميزة في مجال التعليم، بل يمكن القول عنها أنها تجربة تعكس السـبق الحضـاري الذي طبع العصـر الموحدي في مجموعة من المجالات، تجربة أطلق عليها الباحثون تجربة التعليم الإجباري، وقد وضعه عبد المومن الموحدي.

ويقر هـذا المنهـاج على أنـه يجـب على كل من انضـوى تحـت رايـة الموحـدين أن يتعلم الضـروري من العقائد وما يتعلق بالصـلاة. وقد بالغ عدد المومن في هذا الأمر، فجعله حتما لازما على كل مكلف -الرجال والنسـاء الأحرار والعبيد-ورخص لمن يفهم اللسـان البربري دون العربي أن يقرأ بلسـانهم عقيدة ابن تومرت البربرية -التوحيد-أما الذين يفهمون العربية؛ فكان لزاما أن يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية -المرشـدة- وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره، وملازمة قراءته وتعاهده، كما أكد على العوام ومن في الديار في حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن.[1]

بل إن من الأمراء الموحدين من أشـرف بنفسـه على تتبع هذا المشـروع التعليمي الحضـاري وذلك زيادة في الاهتمام بهذا الأمر، بحيث نرى عبد المومن يشـرف بنفسـه مباشـرة على هذا النوع من التعليم الاجباري بمراكش وناحيتها ويكتب إلى نواحي المملكة الأخرى يقص عليها عمله هذا، ويأمرها بأن تحتذي حذوه، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج.

ويلحق بكتابي المهدي المقررين في التعليم الإجباري مجموع أحاديث الجهاد، الذي أمر يوسـف العلماء بتدوينه ليملي على الموحدين ليدرسـوه، فكان يمليه على الناس بنفسـه، وكان كل واحد من الموحدين والسـادة يجيء بلوح يكتب فيه الإملاء[2]. وكذا مجموع أحاديث الصـلاة وما يتعلق بها الذي جمعه بأمر يعقوب طائفة من العلماء، فكان يمليه بنفسـه على الناس ويأمرهم بحفظه، و انتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسا والأموال.[3]

---

[1] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 21.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، المكتبة العصرية ط/1، سنة 1426 هـ - 2006 م، ص، 184.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص، 184.

وذكر الأستاذ محمد المنوني[1] إشارة مميزة في هذا السياق تتعلق بأن هذا النمط من التعليم لم يكن مقتصرا على الرجال فقط، بل إن المرأة أيضا كانت معنية، وفي هذا السياق يقول -تعليقا على إدخالهم النساء في التعليم الإجباري- : إنهم -الموحدون- لم يقفوا بالمرأة عند هذا الحد من التثقيف، بل وسعوا نطاق تعليمها، وضربوا بناتهم مثالا لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المغربية، ومن بنات الخلفاء المثقفات التي حافظ عليها التاريخ (زينب بنت يوسف بن عبد المومن) حرم الأمير عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن، أخذت عن أبي عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة معروفة بالشفوف على نساء زمانها، وترجمتها في التكملة وزوائدها عدد 2122.

بناء على المعطيات السابقة يتضح أن التعليم في العهد الموحدي كان ذا شأن كبير في اهتمامات الدولة الموحدية، التي عملت على بناء مشروع حضاري يرتكز العلم والمعرفة إضافة إلى المقومات الأخرى التي تحتاجها الدولة والتي لا يتسع المجال لذكرها، تجدر الإشارة إلى ان هناك معاهد أخرى لم نتطرق نظرا لضيق المقام هنا تبق الإشارة إليها عرضا لتأكيد على وجودها ومن بينها الكتاتيب والرباطات.

وقد عرف المغرب الأقصى كثير من الرباطات، بعضها منتشر على السواحل، وبعضها متوغل في المناطق الداخلية.[2] ومن أشهر الرباطات التي تذكرها المصادر التاريخية، رباط شاكر. وهو المعروف اليوم بسيدي شيكر.[3] وكذلك رباط أكوز، ورباط ماسة، ورباط تيطنفطر، ورباط أكو بسوس، ورباط القاسم بن إدريس الأزهري، ورباط أصيلا، وغيرها من الرباطات التي كانت منتشرة في المغرب الموحدي.[4]

أما فيما يخص الكتاب، فتبرز من خلال الكتب التاريخية كمؤسسة تعليمية كان يقصدها الأطفال لحفظ القرآن الكريم، وتلقين المبادئ الأولية في القراءة والكتابة.

---

[1] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 25.

[2] Camps, G, « comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe » P, 13

[3] أحمد التوفيق، "من رباط شاكر إلى رباط أسفي" ضمن: أبو محمد صالح، المناقب والتاريخ، الرباط، النشر العربي الأفريقي، 1990، ص 47_53.

[4] أنظر رحمة تويراس، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، ط 1، الدار البيضاء 2015، مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، ص 120 وما بعدها.

وقبل أن نختم هذا المبحث لابد من التعليق على النظام التعليمي في هذه المرحلة ومناهجه وأساليه، ويذكر محمد المنوني[1] أن هذه المناهج قد تأثر بالغزالي شيخ مؤسس الدولة الموحدية ابن تومرت في غير ما مسالة. ومن ذلك نذكر:[2]

إدماج الرياضة في مناهج التعليم، هذه المسألة التي أهملت بأوروبا في القرون الوسطى، وأحياها الموحدون تبعا للغزالي الذي يقول في الأحياء: «ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل... وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا.

كما تأثروا بالغزالي أيضا في مزج الأدب بالعطاء، وفي هذا يقول في الأحياء: ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل. وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازي عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، فإن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه... ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه.

وتأثروا به أيضا في مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ من رتبة إلى رتبة، وهذا كلام الأحياء في الموضوع وفيه يقرر أن يطلب من المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر نهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله... و أنه ينبغي أن يلقى إلى المتعلم القاصر الجلي اللائق به، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيق وهو يدخره عنه...

وإن الموحدين لم يقفوا عند تقليد الغزالي، فقد ابتكروا التعليم الاجباري الذي لم يفكر فيه بأوربا إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وجروا على منهاج التعليم بأكثر من لغة.

---

[1] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 24.

[2] انظر محمد المنوني، حضارة الموحدين، والعلوم والأدب والفنون في العصر الموحدي.

سـنوا التعليم المجاني بأوسـع معانيه، فإن عبد المومن -كان زيادة على قيامه بنفقات التعليم- يقوم إلى جانب ذلك بنفقة التلاميذ ومؤونتهم وخيلهم وعددهم كما تقدم لنا.

وكانوا يراعون وحدة السـن في التلاميذ الذين كانوا في مدرسـة عبد المومن ثلاثة ألاف كأنهم أبناء ليلة واحدة.

كذا اهتموا بالحفظ في هذه المدرسـة اهتماما ظهر أثره في نبوغ حفاظ كبار في العهد الموحدي في مختلف العلوم، وسوف يمر بنا ذكر زمرة كريمة من هؤلاء في تضاعيف الحديث عن العلوم والآداب.

كما ضـربوا ذلك المثل الملكي لتعليم المرأة، كذلك نراهم يولون النسـاء المثقفات على عهدهم التفاتا خاصا يفتحون أبوابهم في وجوههن، ويصلونهن، ويزيحون ظلامتهن، ويستمعون -هم وبعض أمرائهم- لأدبهن، بل لقد وظفوا بعضهن معلمات بقصر الخلافة. وعلى سبيل المثال نذكر الأديبة الشاعرة حفصة بنت الحاج الكونية الغرناطية، كانت أستاذة وقتها، و انتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور، وتوفيت بمراكش آخر سنة 386.

المحور الثاني: ازدهار علوم اللغة العربية خلال عهد الموحدين

تبين من خلال المبحث السـابق أن أساليب التعليم ومناهجه على عهد الموحدين، كانت متنوعة ومتفردة، حيث إنهم ابتدعوا مناهج جديدة في التدريس، كان لها الأثر الإيجابي في الرقي بمنظومة التعليم في هذا العصـر. ويبقى المطلوب بعدما بينا خصـائص نظام التعليم في المبحث السـابق، أن نبين انعكاسـات هذا النظام التعليمي على الوضـع الحضـاري، وقد رأينا أن ندرس ذلك من خلال مدخلين رئيسـين هما: أولا: المنجزات المعرفية للحركة اللغوية التي كانت ثمرة مباشـرة من ثمرات هذه المنظومة التعليمية، ثانيا: التي من شـانها ان تبين لنا خصـائص هذه حركة التعريب والتعرب؛ لكون هذه المسألة تعتبر من أهم القضايا التي شكلت عبر تاريخ المغرب الأقصى قضية جوهرية، نظرا لخصوصية المغرب الذي كان ناطقا باللسان الأمازيغي قبل الفتح الإسـلامي، فكانت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب -بما فيها الدولة الموحدية- تتخذ عدة إجراءات لتيسير عملية التعريب والتعرب خاصة وأن التمكين للغة العربية كان يرتبط في عمقه بتعليم الدين الإسـلامي، وقد أسـالت قضـية التعريب مدادا كثيرا من لدن الباحثين نظرا

لحساسية هذه المسألة، وسنحاول أن نعرض أثناء الحديث في قضية التعريب لبعض هذه القضايا، خاصة ما نراه مناسبا ويخدم أهداف هذه الورقة.

وقد عرف المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي حركة لغوية ذائعة الصوت لم يسبق لها مثيل في الغرب الإسلامي، حيث انتشرت العربية، وازدهار نظم مسائلها وحفظ متونها[1]، وقد ساهم في هذه الحركة اللغوية علماء أفذاذ، كان لهم الفضل في خدمة علوم اللغة العربية.

1 . معالم النشاط اللغوي خلال عهد الموحدين

عني الموحدون باللغة العربية رغم اعتماد المهدي على البربرية في نشر دعوته، إذ كان يوسف من أحفظ الناس للعربية وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، ومن علمائها في هذا العصر:

محمد بن عيسى بن أصبغ المعروف بابن المناصف (ت 620هـ) بسط اللغة للطلاب في أرجوزته (المذهبة في الحلي والنبات).

أبو زيد عبد الرحمن السهيلي المالقي الذي شرح ما في سيرة ابن هشام من لفظ غريب، وأعرب غامضه ومستغلقه في كتابه: "الروض الأنف".

أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي وكان من أكثر الناس استظهارا للغة.

ويعتبر أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي أعظم نحاة العصر (ت 607) له "المقدمة الجزولية في النحو" وتعرف بالقانون والاعتماد، لها شروح عديدة أشهرها شرح ابن عصفور (ت 633هـ) وشرح الشلوبين (ت 660).

وتلميذه أبو زكريا يحي الزواودي المعروف بابن معط (628هـ)، له العقود والقوانين في النحو، والحواشي على أصول ابن السراج في النحو، وغيرهما.

أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف البكري السلوي (ت 641هـ)، له شرح المفصل، وشرح الجزولية.

[1] عباس الجراري، الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان، ص: 53.

أبو عبد الله محمد بن هشام اللخمي السبتي (ت 570هـ)، له: "الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل" و"لحن العامة"، و"شرح فصيح ثعلب"، و"شرح مقصورة ابن دريد."

ومن اعتناء المغاربة بالعروض وضع ضياء الدين الخزرجي السبتي "منظومته الخزرجية" التي لقيت شهرة في المشرق.

وقد اشتهرت علوم (اللغة، النحو، العروض) في هذا العصر بشكل كبير نظرا لما توفر للدولة الموحدية من مقومات التفاكر العقلاني والنقاش الحر في مختلف أمور المعرفة.

إن هذه العلوم كانت شائعة في هذا العهد ولا سيما اللغة والنحو، فقد بلغا غاية كبرى، وكان على رأس إعلامهما يوسف بن عبد المومن الذي كان من أحفظ الناس للغة، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو[1].

ومن اللغويين الذين كانوا موحدين بالمغرب في هذا العصر أبو القاسم على بن حمزة البصري، فقد اكتشف بمكتبة القرويين أوراق من تأليف في اللغة بخط مؤلفه المذكور كتبها برباط الفتح سنة 986، وكذا أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف 563 - 620، كان له حظ و افر من اللغة.[2]

وعلم النحو كذلك ازدهر حتى في مدن المغرب الثانوية، ومنها طنجة التي كانت أحد مراكز النحو، وفي هذا العهد رفع نحاتها ومقرئوها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من أهل اشبيلية... ولا شك أن رئيس نحاة المغرب في هذا الوقت هو أبو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي المراكشي، ت (607)، له: المقدمة المشهورة التي ألفها إملاء على الجمل للزجاجي، وتسمي بعدة أسماء: بالمقدمة الجزولية. وبالقانون والاعتماد. وهو كتاب جليل في هذا الفن، قال عنه ابن خلكان في الوفيات: ولقد أتي فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز، مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها، واعتني بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا فلا تفهم حقيقتها، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات.[3]

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص، 155.

[2] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 44.

[3] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 44 – 45.

ومن مؤلفات الجزولي الأخرى : شــرح أصــول ابن الســراج، أما بقية النحاة المغاربة، فمنهم أبو القاســم عبد الرحمان بن القاســم بن يوســف المغيلي الفاســي، من أعيان أهل هذا الشــأن، و أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلف البكري الســلوي ثم المراكشــي، له : شــرح على المفصل، وشرح على الجزولية ، و أبو عبد الله محمد بن يحيى بن داوود التادلي المراكشي، مبرز في النحو متحقق به درسه طويلا، و أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي (ت 649)، النحوي الأمام، كان يقرأ كتاب ســيبويه و أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي يعرف بالصرفي (ت)651.[1]

وعلوم البيان هي الأخرى كان لها بعض رواج على هذا العهد سيما في أواخره، ولا شك أن من أبرز شخصياتها حينئذ أبا عبد الله محمد بن العابد الأنصاري الفاسي، أخذا مما تقدم عنه لدى الحديث عن علم التفسير: أنه اختصر الكشاف للزمخشري... فإن هذا الكتاب لا يمكن أن يقرأه فضلا عن أن يختصره إلا من كانت له ملكة تامة في هذه العلوم.[2]

2 . مثارات الفرادة في الدراسات اللغوية على عهد الموحدين

بناء على المحور الســابق يتبين أن الحركة اللغوية في العهد الموحدي قد عرفت أوجها في الرقي والازدهار، ســواء على مســتوى التأليف اللغوي، الذي ســاهم فيه العلماء الذين قادوا الحركة العلمية، أو على مســتوى النشــاط اللغوي الذي عرفته هذه الحقبة التاريخية، وعموما يمكن إجمال القول في خصائص الحركة اللغوية في هذه الحقبة في النقاط الآتية:

- كثرة الوفود العربية التي قصــدت مدينة فاس ومراكش، قادمة إليها من الأندلس والقيروان.
- تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم وإعجابهم بلغته وإعجازه.
- خروج أفواج من المغاربة إلى المشرق وعودة بعضهم وقد تعلموا اللغة العربية.[3]
- يمكن الحديث عن إلمام نحوي محض نبع فيه أعلام مغاربة وصــفو بالنباهة والإمامة في العربية ومن الخصــائص اللغوية الخاصــة بالاهتمام النحوي في هذه الفترة يمكن إجمالها في نقط رئيسة منها:

[1] محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص، 45 – 46.

[2] انظر عبد الرحمان بن محمد بن محمد الحضرمي التونسي (ابن خلدون) مقدمة، المطبعة البهية بمصر، ص،507.

[3] عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، سنة مكتبة المعارف، 1979، ص: 50

- **توسع تعليم ساكنة المغرب اللغة العربية وعلومها وخاصة جانب النحو، والعمل على توطيد التعريب وفك العزلة بتوجيه مسار التعريب نحو بعض المناطق وذلك بتشييد الجوامع والمدارس الدينية وتلقين الأمازيغ من العوام و أبجديات اللغة العربية.**
- **انتشار ظاهرة تحفيظ القرآن بوتيرة جلية بين القبائل الأمازيغية، وتوجيه الفقهاء للطلبة على منوال القراءات.**
- **تشجيع الطلاب على الإقبال على حلقات الدراسات النحوية واللغوية، والخوض في حقولها المعرفية.[1]**
- **اقتناء أجود التصانيف وترويجها لدراستها مثل كتاب سيبويه، والإيضاح لأبي علي الفارسي، والمقدمة الجزولية، وغيرها من الكتب التي انكب الطلبة على دراستها لاستيعاب مسائلها.**
- **تعيين مدرسين أكفاء يتمتعون بحظ و افر في علوم اللغة العربية، وتنافس الطلبة على الأخذ عنهم بمختلف المراكز الثقافية مثل فاس ومراكش، وطنجة، وسبتة التي اشتهرت كمركز للدراسات النحوية واللغوية. قال عنها ابن الخطيب، أنها بصرة علوم اللسان وخزانة كنز العلوم.[2]**
- **ظهور اتجاه مدرسي ديني يوفق بين علوم الشريعة واللغة العربية في نحوها وصرفها ومعجمها من أجل تفعيل دور المدرسة الدينية.**
- **ظهور طبقة من الفقهاء ومحاولتهم لتفسير القرآن الكريم بالاستعانة بعلم النحو والمصنفات النحوية لتفكيك التراكيب وفهم الجمل المتضمنة والآيات القرآنية.**
- **الميل إلى الشروح النحوية، وذلك قصد تليين وتيسير النحو للطلاب في الجوامع والمدارس والرابطات[3].**
- **ظهور تعليقات وبحوث نحوية أصبحت تأخذ شكل مقدمات في النحو ومسائله والتي ستصير مع أوج عطاء النهضة اللغوية نمطا جديدا في مسار التأليف والتنظير النحوي في المغرب الأقصى.**

---

[1] رحمة تويراس، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، ط 1، الدار البيضاء 2015، مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، 2015.

[2] ابن الخطيب السليماني، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، نشؤ المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1977، ص 72.

[3] يمكن في هذا الشأن العودة لعبد الله كنون، النبوغ المغربي، وأيضا كتاب عباس الجراري المرجع السابق.

- **ظهر المنظومات اللغوية التعليمية المدرسية لتسهيل الحفظ والضبط والتلقين والاستظهار على الطلبة.**
- **تأليف نوع جديد من الكتب النحوية صارت تعرف باسم "القوانين" أو "القانون النحوية" والتي ستأخذ منحى جديدا بارزا في حركة التأليف النحوي في المغرب.**
- **ظهور نوع من المناظرات اللغوية التي أخذت طابعا تعليميا خصوصا ما وقع بين الجزولي و أبو على "الشلوبيني".[1]**
- **صياغة متون نحوية على شكل مختصرات أخذت طابعا تعليميا في المدارس والجوامع لتيسير تلقين النحو للطلاب.**
- **الالتفاف حول منظومة ابن مالك في النحو وتسهيل الفوائد وما لها من تأثير كبير في مسار التعليل النحوي والاستدلال لدى النحاة المغاربة والطلبة.**
- **الاعتناء بكتاب سيبويه وشرحه واختصاره واستنباط الأحكام النحوية منه.**
- **كثرة الحلقات العلمية التي كانت تقام بالمساجد والمدارس والمجالس... وكانت اللغة وعلم النحو والركنان الرئيسان من حيث الحيز الكبير الغالب من فترة الإلقاء بدى الفقهاء والعلماء بالمجالس.[2]**

مجمل القول إن الحياة العلمية على العهد الموحدي قد عرفت ازدهارا منقطع النظير ساهت فيه مجموعة من العوامل توفرت للدولة الموحدية، لم تتوفر لغيرها من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى، بالإضافة إلى الإرادة السياسية التي كانت قوية وتنحو نحول بناء مشروع مجتمعي قوامه العلم والمعرفة.

خاتمة

تبين من خلال فصول البحث أن النهضة الحضارية التي شهدها المجتمع الموحدي، كان شديدة الارتباط بالحركة اللغوية من جهة، ومن جهة أخرى مرتبطة بالنظام التعليمي الذي

---

[1] الشلوبيني: بفتح الشين المثلثة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون، ولد أبو علي الشلوبيني بإشبيلية عام 562هـ

[2] البحث النحوي في المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة العلوية، دراسة تأصيلية، بحث لنيل شهادة الماستر بكلية الادب بوجدة، تحست إشراف الدكتور عبد الرحمان بودلال.

انتهجته الدولة التي ساهمت في توفير سبل الازدهار العلمي والفكري والثقافي واللغوي، فقد كانت الدولة الموحدية سباقة إلى توفير المناخ المناسب للعلماء ورجال الفكر والعلم في الاضطلاع بأدوارهم التعليمية المتميزة. وقد ساهم النظام التعليمي كما تبين من خلال الورقة في ظهور حركة لغوية متميزة أظهرت الورقة أهم اسهاماتها العلمية ومثارات الفرادة والإبداع التي ميزتها، كما أساهت الدولة الموحدية -بالإضافة إلى سنها لنظام تعليمي متميز- في اتخاذ مجموعة من التدابير للتمكين للثقافة العالمة في هذا العصر، تبين ذلك من خلال الإجراءات التي اتخذتها من بناء الخزائن والاهتمام بالعلماء وكذلك الاهتمام بطلاب العلم، والإشراف على المجالس العلمية والمناظرات المعرفية، وكذا تشجيع العلماء على التأليف في شتى العلوم، كلها عوامل ساهمت في تأسيس نهضة حضارية لم تسبق لها حضارة في المغرب الأقصى.

إن هذا الواقع الحضاري في العهد الموحدي كان وليد تفاعل يومي وتاريخي، عرفه المجتمع المغربي الموحدي عبر مراحل وحلقات، وبكيفية تدريجية، تسير وفقا لقانون التطور الذي تخضع له عادة تطور المجتمعات الحضارية.

كما بدلت الدولة الموحدة مساعي كبيرة، ساهمت في اكتساب الحركة العلمية صبغة رسمية واضحة على المستوى الإداري، واستفادت الإدارة الموحدية من الأطر التي رعتها كالحفاظ والطلبة، ابتداء من انتقاء معلمين أكفاء، وكذلك إبداعهم في مناهج التدريس التي تطورت بشكل ملفت في هذا العصر، وانتهاء بتعيينهم في مناصب إدارية في مختلف الولايات والأقاليم، بالإضافة إلى أن الموحدين راهنوا على تنظيم جهاز إداري متطور تكون فيه السيادة للغتين العربية والأمازيغية، خاصة في المناسبات الرسمية، والخطابات والرسائل التي كانت تصدر عن الإدارة الموحدية، كما أن مما ميز العصر الموحدي هو قيام حركة ثقافية قوية، حركة تضم إلى جانب العلماء والفقهاء خلفاء الدولة الموحدية الذين كانوا ينتمون لطبقة المثقفين والعلماء، وهذا ما يفسر حرصهم على تهيء السبل لإنعاش الثقافة والعلم والمعرفة، وترسيخها.

عموما فقد كانت رغبتنا في هذا البحث تتجه إلى استثمار المعطيات التاريخية في بناء نص يكشف الحجب عن مظاهر المشاكلة والترابط بين ثالوث الحركة اللغوية والنظام التعليمي والنهضة الحضارية التي عرفها العصر الموحدي، وهي نقطة قلما انتبه إليها الباحثون في تاريخ المغرب من جهة، والباحثون في الحقل التعليمي من جهة أخرى، وهنا مربط الفرس الذي حاولنا أن نبينه طيلة فصول الورقة والذي مفاده أنه لا إصلاح لمنظومة التعليم في العصر الحاضر دون

التركيز على اللغتين الرسميتين التين تحملان هوية هذا البلد وشعبه، فإذا كانت تجربة الموحدين ناجحة على الصعيد التعليمي فهذا راجع بالأساس لاعتمادهم اللغتين العربية والأمازيغية في التعليم من جهة وفي توفر إرادة سياسية كانت تدفع بقاطرة التعليم للأمام.

المصادر والمراجع

- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، 300/1، ط:1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء: 1984م.
- إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم في المغرب المسلم حتى القرن 15/9، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثية، ج1.
- ابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي، الأنس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، 1973.
- ابن الخطيب السليماني، لسان الدين الدين محمد بن عبد الله بن سعي، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، نشؤ المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1977.
- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، ص:49-50، ط:3، دار الغرب الإسلامي، بيروت:1987م. و انظر: يوسف العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبعة الملك عبد العزيز، الرياض: 1995.
- ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد المالك بن محمد الباجي، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله ذائمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي في الموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1964.
- ابن عبد المالك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصلة والصلة، تحقيق محمد بنشريفة، الرباط، مطبوعات بأكاديمية المملكة المغربية 1984، 1965، السفر الثامن، القسم الأول.
- أحمد التوفيق، "من رباط شاكر إلى رباط أسفي" ضمن: أبو محمد صالح، المناقب والتاريخ، الرباط، النشر العربي الأفريقي، 1990.
- البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلان، باريس 1911.

- بن شـريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، منشـورات مركز الدراسـات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء-الرباط، سـلسـلة نوادر التراث (31)، ط1: 1438هـ/2017م.
- الحسـن السـايح دفاعا عن الثقافة المغربية، دار الكتاب، البيضـاء، 1968. ص 136، و عبد الله علي العلام، الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف، 1968.
- حسـن بن علي بن محمد بن القطان الكتامي، نظم الجمان لما سـلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
- رحمة تويراس، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصـى خلال العصـر الموحدي، ط 1، الدار البيضاء 2015، مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات.
- روجي لي ترنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشـر والثالث عشـر، ترجمة أكمين الطيبي، الدار البيضاء، 1998.
- عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، سنة مكتبة المعارف، 1979.
- عباس الجراري، الأمير الشـاعر أبو الربيع سـليمان الموحدي، المحمدية، مطبعة فضـالة، 1989.
- عبد ا...بهطاط، البحث النحوي في المغرب الأقصـى منذ الفتح الإسـلامي إلى قيام الدولة العلوية، دراسـة تأصـيلية، بحث لنيل شـهادة الماسـتر بكلية الادب بوجدة، تحت اشـراف الدكتور عبد الرحمان بودلال
- عبد الرحمان بن محمد بن محمد الحضـرمي التونسـي (ابن خلدون) مقدمة، المطبعة البهية بمصر.
- عبـد الله العروي، مجمـل تـاريخ المغرب، الـدار البيضـاء، المركز الثقـافي العربي، ط2، 2000،.
- عبـد الله علام، الـدولـة الموحـديـة بـالمغرب في عهـد عبـد المؤمن بن علي، ص:307-308، ط:1، دار المعارف، مصـر:1971، وقد توسـع صـاحبه في تفصـيل القول حول التيار العقلاني في هذا العصر.
- عبـد الله عنـان، دولـة الإسـلام في الأنـدلس: عصـر المرابطين والموحـدين في المغرب والأندلس، 647/2، ط:2، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1990م.

- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ط: 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت: 1961م.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية ط/1، سنة 1426 هـ - 2006.
- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم.
- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي.
- محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في العصر الموحدي.
- محمد المنوني، العلوم والأدب والفنون في العصر الموحدي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.ط 2، 1397هـ-1977م.
- محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. ط 1، 1989.
- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت دار صادر، 1968، ج 1.
- Camps, G, comment la berbérie est devenue le Maghreb arab

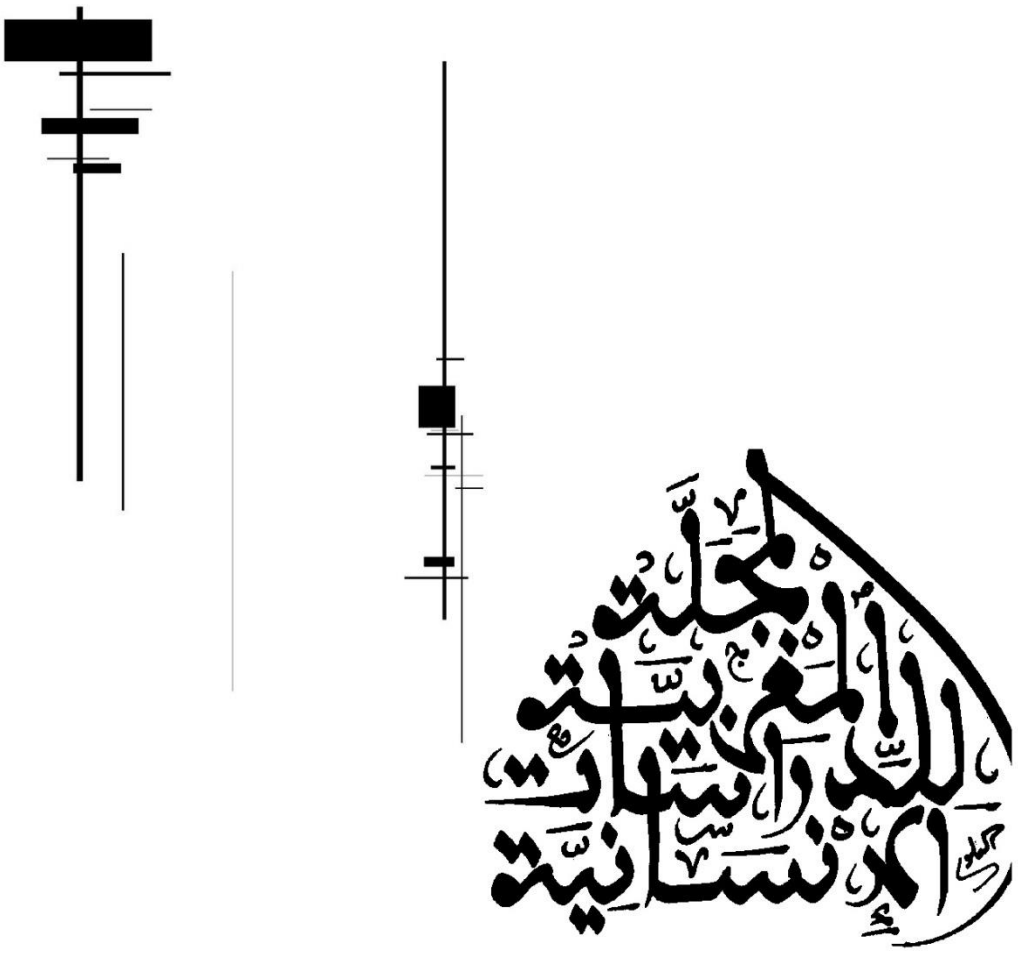
مجلة
المغربية
للدراسات
الاجتماعية

حوار العدد

حوار مع الدكتور محمد إمام داود

أستاذ الدراسات اللغوية بجامعة قناة السويس والخبير بالاتحاد الدولي للغة العربية

حاوره: الأستاذ أشرف سليم

الدكتور محمد إمام داود، أستاذ الدراسات اللغوية والإسلامية بكلية التربية، جامعة قناة السويس والخبير بمجمع اللغة العربية، وعضو المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة. من أعلام البحث اللغوي وتحقيق التراث في العالم العربي اليوم. له العديد من المؤلفات والإصدارات؛ منها: الإسلام والزمن المقبل، شرح كافية ابن الحاجب، لابن جماعة، المختار من مدائح المختار – صلى الله عليه وسلم - للشاعر الشهيد يحيى الصرصري، القرآن الكريم وتفاعل المعاني (جزءان)، الدلالة والحركة فى العربية المعاصرة، معجم ألفاظ الكلام فى العامية المعاصرة، الصوائت والمعنى فى العربية، اللغة وكرة القدم... وقد كان لنا معه هذا الحوار.

-بداية نرحب بفضيلتكم معنا في المجلة المغربية للدراسات الإنسانية الصادرة من مدينة تطوان في المغرب؛

- شكرا لكم جزيلا، وبارك الله في عملكم، و إنه لشرف عظيم لي التحدث معكم، والاستفادة من تجربتكم داعيا لكم بالتوفيق والسؤدد في مساعيكم العلمية الرصينة.

- فضيلة الدكتور لا شك أن لكم تجربة علمية كبيرة، وباعا طويلا في علوم اللغة العربية وتحقيق التراث العربي الإسلامي، نود أن تكشف لناعن مكانة علوم اللغة العربية في تراث الغرب الإسلامي.

الغرب الإسلامي بقعة مهمة من بقاع العالم الإسلامي كله، وقد ترك مجموعة من الآثار في مختلف العلوم والفنون، وما زالت أصداؤها مدوية إلى اليوم، والكتب التي حققت أو التي تنتظر تبرهن على أن علماء الغرب الإسلامي شكلوا عبقرية إسلامية تستحق الاستزادة منها والتأمل فيها.

لقد مارست في رحلتي العلمية تحقيق مجموعة من كتب علوم اللغة العربية في التراث الإسلامي، وقد كان بودي تحقيق كتب هذه العلوم في تراث الغرب الإسلامي لكن انشغالي بتحقيق كتب أخرى، وتكفل علماء وأساتذة أفاضل بتحقيق كتب الغرب الإسلامي جعلني أستفيد من ثراء فكرهم، وعمق أفقهم، وسمو معانيهم.

شاركت أيضا في مسيرتي المهنية مناقشا لكثير من الرسائل في الماجستير والدكتوراه في جامعات مصر ومؤسساتها تتحدث بين ثناياها عن كتب تراث الغرب الإسلامي.

وعموما فكتب علوم اللغة العربية وجميع العلوم والفنون في الغرب الإسلامي تستحق أن نقف حيالها وقفة احترام وتقدير وأن نتباهى بها وبإرثها الحضاري الذي خلفته.

- فضيلة الدكتور بحكم أن اللغة العربية تعاني اليوم مجموعةً من المشاكل في المشهد المعاصر، فما التحديات التي تنتظرها والآفاق التي تسعى للوصول إليها في العالم المعاصر؟

إن لغتنا العربية في معركة الحضارة المعاصرة، تعاني مشكلات وتصادفها عقبات من أبرزها:

- تدريس العلوم الطبيعية والطبية بلغة أجنبية.
- حرمان المكتبة العربية من الأعمال الموسوعية العامة والمتخصصة، وكذلك المعجمات بمستوياتها المختلفة.
- كنوز المخطوطات العربية المشتتة بين مكتبات العالم لم تحظ بتحقيقها ونشرها ودراستها وتقويمها.
- العربية في دور التعليم وغياب التكامل العلمي في تعليم العربية، فمناهج التربية والتعليم ضد ازدهار اللغة العربية بل هي سب مباشر للضعف اللغوي.
- نزعة المجتمع نحو التغريب.
- سيطرة العاميات التي تضر بالفصحى.
- الجانب الأكبر من التراث الإنساني لم يترجم إلى العربية حتى اليوم.
- لم يتم تيسير سبل تعليم العربية لغير العرب بطريقة علمية حتى اليوم.

- افتقاد رؤية لمستقبل اللغة العربية، فلا وجود لدينا لتخطيط لغوي مستقبلا.

هذه الأسباب مجتمعة تجعلني متشائما وحزينا للوضع اللغوي العربي في أمتنا قاطبة مما ينبغي له العمل وتشمير السواعد لإنقاذ لغتنا من دركاتها التي تعانيها.

- كلامك السابق فضيلة الدكتور فيه سوداوية عن حال لغتنا العربية في العالم المعاصر، هل لكم أن تحددوا لنا آفاقها في ظل وضعيتها الحالية؟

نعم، لأن احتمال اندثار اللغة العربية واضمحلالها و انصراف أهلها عنها أمر معلوم وو اقع مشهود، ففي الحضارات الإنسانية المتعاقبة بادت لغات كثيرة مثل: البابلية والآشورية والسومرية والآرامية والفرعونية، بل حتى اللاتينية التي كانت ملء السمع والبصر في بداية النهضة الأوروبية فلم تعد في هذا الوقت موضع اهتمام أهلها ورعايتهم، فاللغات دائما ما تكون في مستوى دفاع شعوبها عنها.

إن الو اقع العربي المعاصر يشهد زهد العرب في لغتهم، وتكفي نظرة واحدة إلى الإعلانات الأجنبية في الشوارع، حتى ليخيل إليك أنك في بلد أجنبي، بالإضافة إلى طغيان العامية عند حراس اللغة العربية في محاضراتهم ومناقشاتهم في الجامعة والمدرسة والمجامع اللغوية...

- كيف تعيش اللغة العربية هذا الوضع وهى لغة القرآن الكريم؟

حقًّا إن ارتباط العربية بالقرآن الكريم له أثر بالغ فى حفظها وحمايتها من الضعف، لكن بقاءها حال ضعف العرب وتنكرهم لها ـــ يبقى فى حدود اللغة الدينية المتمثلة فى أداء العبادات كالصلاة والدعاء والحج وخطب الجمعة وتفسير القرآن والحديث النبوي والفقه ... إلخ، لكنها تختفي وتنقرض الآن شيئًا فشيئًا عن الاقتصاد والاستثمار وسوق العمل ومجال العلوم (الطب والهندسة والفلك.. إلخ) والتقنية الحديثة، والو اقع يشهد زهد أهلها فيها في هذه المجالات وغيرها.

والنظرة القاصرة السلبية لأهمية العربية التي تقصر على الأهمية الدينية - لصلتها بالقرآن والدين - أمر يحرم العربية من أن تكون شريكًا فى مجالات الحياة العملية، فاللغة العربية فضلًا عن أهميتها الدينية لها أهمية اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية.

فانتشـــار العربية يمتد معه زيادة فرص العمل والتجارة وتبادل المنافع مع الشـــعوب الأخرى، والتعريف بالرصـيد الثقافي البديع للعربية تلك اللغة الخالدة المتفردة فى البقاء منذ أكثر من 17 سبعة عشر قرنًا من الزمان، يتيح الفرصة للسياحة والمهرجانات الثقافية ليطلع الناس على سر العظمة وأسباب الخلود.

ونشـــر العربية ودعمها والاهتمام بها بين الشـــعوب العربية والإســـلامية يســـاعد على خلق موقف موحد تجاه القضـــايا الكبرى في الأمم المتحدة، بما فيه صـــالح الأمة العربية والإسلامية، وهذه مكاسب سياسية لا يستهان بها يمكن أن تحققها العربية.

والعربية لها أهمية اجتماعية في التواصـل الاجتماعي، الذي يضـمن بقاء حياة اللغة بين أهلها؛ مما يعزز تماسك الأمة ووحدتها.

- أيهما في أزمة: اللغة العربية أم الإنســـان العربي؟ وكيف يمكن أن تعود اللغة العربية لأداء دورها الحضاري اليوم؟

اللغة العربية فى أزمة؛ لأن الإنســـان العربي في أزمة، فأحوال اللغة لا تنفصـــل عن الإنسان، إذا وجدنا إنسانًا أميًّا لم يتعلم؛ فاللغة العربية في أزمة، إذا وجدنا إنسانًا لا يُحْسِن تعلم لغته؛ لأن المدرسة لا تعلِّم والجامعة لا تعلِّم، فالعربية في أزمة، إذا وجدنا لغة لا يحترمها قومها: في المدرســـة، فى الجامعة، في الإعلام، في الصـــحافة، فبأي منبر تُســـتخدم فيه اللغة فالعربية في أزمة، ويكفى أن ننظر إلى صـحفنا التي أصـبحت الآن تُكتب بالعامية، وإلى برامج الإذاعة والتليفزيون والفضـــائيات بالعامية القبيحة، العامية الســـاقطة، وليس مجرد العامية التي كنا نجدها قديمًا في الأفلام المصـــرية؛ فنجد الاحترام وأدب الحوار واللغة الســـليمة وإن كانت عامية. أما الآن فالشـــتائم والتعبيرات البذيئة موجودة في الأغاني، وفى الأفلام، وفى المســـرحيات. إن المســـاحة المُعْطاة للغة الفصـــحى فى كل أجهزة الدولة مســـاحة قليلة جدًّا تتمثل في نشـــرات الأخبار أو في التلاوات القرآنية أو في بعض البرامج التراثية والعلمية والثقافية، لكن الكثرة الكاثرة تُقَدَّم بعامية هي عامية قاع المجتمع؛ لذلك تكثر فيها البذاءة، وتكثر فيها السوقية.. إذا كان الحال كذلك، فإن العربية فى أزمة؛ لأن أهلها في أزمة.

«لقد انكمش قاموس اللغة العربية من 12 مليون كلمة إلى 12 ألف كلمة بســـبب التراجع المعرفي والثقافي والإبداعي للأمة العربية».

ومن خلال ملاحظة المجتمعات المتقدّمة اليوم، يمكن تلخيص أبرز معالم السيادة اللغوية، فى العناصر التالية:

- الاستعمال الكامل للُّغة الوطنية على المستويين الشفهي والكتابي.
- احترام اللغة الوطنية والاعتزاز بها والغيرة عليها والدفاع عنها.
- معارضة استعمال لغة أجنبية بين مواطني تلك المجتمعات.
- شعور عفوي قوى لدى المواطنين بالأولوية الكبرى لاستعمال اللغة الوطنية فى مجتمعاتهم.
- وجود سياسات وطنية منهجية لدى السلطات والمؤسسات لترجمة المصطلحات والكلمات الأجنبية الجديدة إلى اللغة الوطنية.
- اقتران اللغة الوطنية بتحديد هويات الأفراد والجماعات فى تلك المجتمعات.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو: أين اللغة العربية من السيادة اللغوية؟

هل نحن نسعى بإرادتنا إلى تدمير لغتنا وثقافتنا بسلبيتنا وخمولنا واستسلامنا؟! وهل من أمل؟

إن كان هذا ما يصنعه العدو بلغتنا تحقيقًا لمصالحه، فأين نحن؟ أين دورنا في المقاومة والمحافظة على أهم عناصر الهوية وأخطرها وهي اللغة؟

لماذا نحرم أنفسنا عمدًا من عضوية نادي المعلومات العالمي، في حين تعمل الأمم الأخرى جاهدة للوصول إلى موقع متميز على الساحة العالمية؟!

وقد رأينا كيف تهتم كل أمة بدعم لغتها والتمكين لها فى حلبة الصراع.

وحسبنا أن نتدبر موقف اليابان التي تسعى سعيًا حثيثًا لمواجهة الهيمنة الأمريكية على الإنترنت، وكانت البداية في مشروع الجيل الخامس الذي أطلقته اليابان في بداية الثمانينات، كردّ فعل تكنولوجي يهدف إلى كسر سيادة الإنجليزية، وقوبلت في سعيها هذا بعقبات سياسية و اقتصادية من جانب أمريكا لعرقلة هذا المشروع، إلا أن اليابان لم تستسلم لهذه الضغوط، وركزت على تكنولوجيا الترجمة الآلية مستغلة تفوقها، ولا شك أن

نجاح مشـروع الترجمة الآلية والجيل الخامس سـيكسـر حاجز القطب اللغوي الأوحد، حتى يصـبح بإمكانك - و أنتعربى أو فرنسـى - أن تفتح جهاز الكمبيوتر فيقوم الجهاز بتحويل كل الكلام المكتوب بالإنجليزية إلى لغتك التي تتحدث بها.

وعلينا أن نسـتفيد من هذه الجهود ونحذو حذوها، بغية تحقيق الأمن اللغوي، حفاظًا على لغتنا الخالدة وحماية لها من طوفان التغريب الذى لن يقتصـر على اللغة وحدها، بل سيمتد إلى الثقافة و أنماط التفكير والجذور والمنابع التيتنتمي إليها رؤيتنا للعالم.

إن قوة اللغة العربية تحتاج إلى بنْيات داعمة:

- بنية تحتية اقتصادية تمكِّن للتخطيط اللغوي والسياسات اللغوية حتى ترى النور.
- بنية فوقية سياسية تملك سلطة القرار الذى يُمكِّن للغة ويحميها من الإقصاء أو التهميش.
- بنية داعمة فكريًّا لربطها بالفكر وقضـاياه، وتوحيد مصـطلحات العربية فى مجال الفكر والثقافة، وتحديد رؤية واضحة ورسـالة محددة، وتحرير المصـطلحات الفكرية بما يعبر عن الهوية الثقافية العربية والإسـلامية؛ حتى يكون لفكر العربية كيان مميز فكريًّا، متماسك الهوية يقوى على المواجهة، وقادر على التأثير في الآخر.

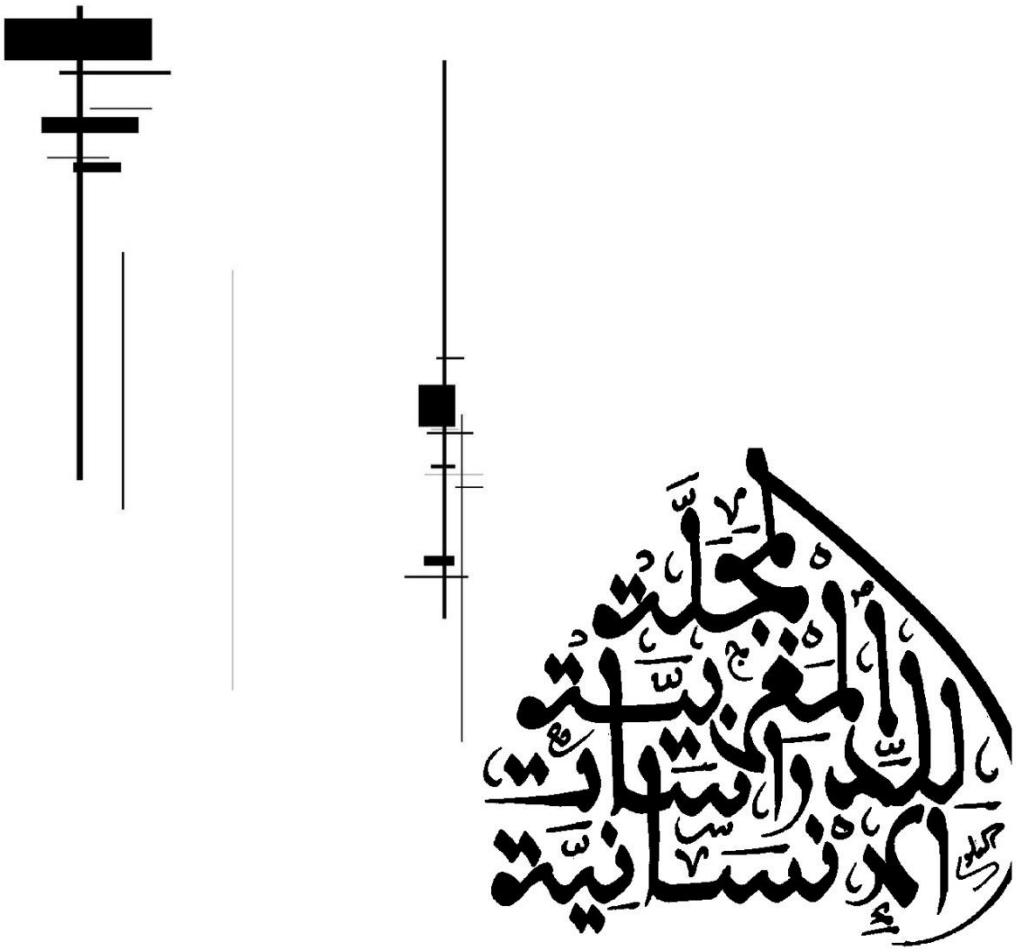

كتاب العدد

استعارة طوفانية !

"أتكلم جميع اللغات..لكن بالعربية"عبد الفتاح كيليطو

عبد الكبير الميناوي[1]

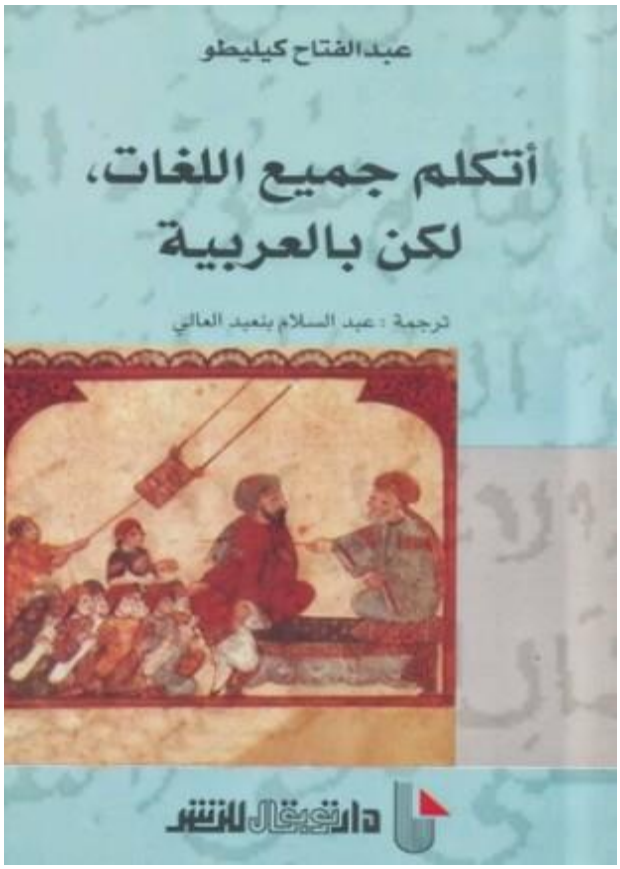

مفتتح

[1] أستاذ باحث في الأدب الحديث / جامعة القاضي عياض / الكلية متعددة التخصصات _ أسفي.

في كتابه "أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية"، يستعيد عبد الفتاح كيليطو مساهمته في مناقشة رسالة في الشعر المغربي الحديث درس فيها صاحبها الإنتاج الشعري العربي، مستثنيا الشعراء الذين يكتبون باللغة الفرنسية[1].

يذكر كيليطو أنه استجمع قواه وسأل صاحب الرسالة بنبرة لا تخلو من احتشام، لماذا لم يعمل على إغناء تأملاته بفحص، ولو موجز، لإبداعات الشعراء الذين يكتبون باللغة الفرنسية، مشيرا إلى أن صاحب الرسالة نظر إليه بعين ملؤها الدهشة وقليل من المؤاخذة، قبل أن يجيب بأن موضوع رسالته كان من السعة بحيث لم يكن في إمكانه إلا أن يقتصر على الشعراء الذين يكتبون باللغة العربية[2]. وهو الرد الذي سيصفه كيليطو بالـ"غامض" والـ"مراوغ"[3]، قبل أن يعلق على هذه الواقعة، بالقول: "عندما أثرت مسألة مؤلمة لم يكن أحد يود طرحها، خيل إلي أنني خرقت محرماً، أو أنني، على الأقل، خالفت عهداً وخرجت عن إجماع ضمني يمكن أن نصوغه على النحو: لكم أدبكم، ولي أدبي"[4]. ثم استدرك: "ربما يتمثل المشكل الأساس للازدواجية اللغوية في المغرب في هذا الاتفاق المكتوم، في هذا التقبل للفصل بين عالمين، وفي هذا التواطؤ السلبي الذي يحول دون الاعتراف المتبادل. وهكذا فإن الانطباع السائد هو أننا لا نعيش وضعية الازدواج اللغوي، بقدر ما نعيش وضعية يتساكن فيها شكلان للأحادية اللغوية"[5].

فضاء عام

ينقلنا كيليطو من مدرجات الجامعة وما يرافق مناقشة الرسائل الجامعية، إلى الفضاء العام، مقارناً بين إسبانيا، حيث أمضى بعض الأيام، وحيث لم يكن للكِتاب باللغة الفرنسية وجود[6]، قبل أن يتبين، بعد أن استغرق قليلاً من الوقت، أن "الإسبان لم يكونوا يقرؤون إلا كتباً بالإسبانية"[7]، وهو الأمر الذي، يقول عنه، إنه "لم يكن يخلو من خيبة"[8]، بالنسبة له هو "الوافد

[1] عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ص. 17.

[2] نفسه، ص. ن.

[3] نفسه، ص. ن.

[4] نفسه، ص. ن.

[5] نفسه، ص. ص. 17. 18

[6] نفسه، ص. 14

[7] نفسه، ص. ن

[8] نفسه، ص. ن

من بلد يضـــاهي فيه عدد المكتبات الفرنســـية عدد المكتبات العربية"[1]. أكثر من ذلك، كان يقرأ، عند تجواله في دروب قرطبة ومدريد، إعلانات وأعمدة إشـــهار، وأســـماء بعض المتاجر، وعناوين بعض الصـــحف، فكان يعجب من فهمه لدلالة بعض الكلمات، وهي كلمات من أصـــل عربي، لتغدو الإسبانية مألوفة لديه "ألفة غريبة"[2]، بعد أن "غدت طرساً شفافاً يكشف عن بقايا لغة قديمة و آثار كتابة ممحية"[3].

في تركيبه للمشهد ورصده للمفارقات عند وضع المقارنات، سيشدد كيليطو على أنه "لا حاجة إلى التأكيد أن الإسباني أو الفرنسي بإمكانهما كذلك أن يتعرفا بسهولة على بعض كلمات لغتهما في الدارجة المغربية"[4].

أجدادنا العرب

لكن، ماذا لو فتحنا قوســـاً،فتناولنا إســـهام العربية في إثراء قاموس لغات أخرى، خصوصاً الإسبانية والفرنسية، لاعتبارات مرتبطة، في حالتنا، بالمشترك على مستوى التاريخ والجغرافيا؟

يذهب جون بريفوســـت، وهو أحد اللغويين الفرنســـيين، في كتابه "أجدادنا العرب"[5]، إلى أن العربية تحتل المرتبة الثالثة بين اللغات التي أســـهمت في إثراء قاموس الفرنســـية، بعد الإنجليزية والإيطالية، قبل أن يتوســـع في اســـتعراض أمثلة كثيرة لكلمات ذات أصـــول عربية يستخدمها الفرنسيون في حياتهم اليومية، من دون أن يعرفوا أصولها.

حين يتعلق الأمر بإسهام العربية في إثراء الإسبانية، سنكون، دون شك، مع عدد أكبر من الكلمات ذات الأصـــول العربية التي يســـتخدمها الإســـبان في حياتهم اليومية، من دون أن يعرفوا أصولها.

ذات حوار، خاطب الكاتب الإســـباني خوان غويتيســـولو محاوره، في معرض جوابه عن سؤال "كيف ترى العناصر العربية في الثقافة الإسبانية المعاصرة في ظل تجاهل وسائل الإعلام

[1] نفسه، ص. ن

[2] نفسه، ص. ن

[3] نفسه، ص. ن

[4] نفسه، ص. 15

[5] Jean Pruvost, Nos ancêtres les Arabes .. ce que notre langue leur doit, JC Lattès, Paris, 2017

لهذه العناصر وعدم التركيز عليها؟"، بالقول: "يمكنك أن تذهب إلى غرناطة وأن تسأل الغرناطيين ما معنى كلمة "الحمراء". أنا متأكد أن أقل من واحد بالمائة يعرفون أصل الكلمة، برغم أننا في لغتنا الإسبانية نستخدم أكثر من ثلاثة آلاف كلمة ذات أصل عربي، إضافة إلى تعبيرات مترجمة من اللغة العربية مثل "أوييه" و"إن شاء الله" و"إذا أراد الله" وغيرها من التعبيرات الدارجة، دون أن نعرف من أين جاءت ولا ما معناها في ثقافتنا. وفي حياتنا اليومية هناك كم ضخم من العناصر العربية أكثر الناس يمارسونها دون التنبه إليها"[1].

تبدو دعوة كاتب "حدود زجاجية"[2] كما لو أنها كانت موجهة للكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي، الذي نقرأ له في "شاعر يمر": "أثناء تجوالي للمرة الأولى في شوارع غرناطة. كنت قد توقفت أمام مشغل حِرفي، متحيراً من شيء كان يُجري عليه اللمسات الأخيرة، وهو كتابة عربية قرأتها على الفور: لا غالب إلا الله، النقش الذي نجده مكررا إلى ما لا نهاية فوق الجدران في جميع قاعات الحمراء. وقبل أن أشتري هذه القطعة التي أتكلم عنها (باب صغير من الجص الملوّن)، طلبت من ذاك الصانع الشاب أن يقرأ لي ما رسمه للتو، فاعترف لي بأنه لا يستطيع لأنه يكتفي بإعادة إنتاج ما انتقل إليه أبا عن جد. بعد قليل وصلتُ، حاملا ما اشتريته تحت إبطي، إلى ممر Alcaiceria (عجبا، عجبا !) الرئيسي، وهناك عثرت على اسم زُقاق مألوف أكثر: Zacatin ! انعكس مسار الزمن فجأة، و انخطفت الأرض تحت قدمي لتحل فاس محل غرناطة. كان صنوي، الطفل المسمى، في رواية سابقة، "ناموس"، قد غادر القيسارية للتو. كان يجتاز ضريح مولاي إدريس، ولي المدينة الصالح، لكي يذهب إلى السقاطين، سوق صانعي السروج"[3].

نترك اللعبي حائرا بين فاس وغرناطة، تائها بين Alcaiceria والقيسارية، Zacatin والسقاطين، ونعود مع كيليطو إلى الرباط أو الدار البيضاء، حيث لا يشعر الفرنسي الذي يحل بإحداهما، أنه بعيد عن موطنه. إذ "لابد أن يعثر على من يتكلم لغته. وسرعان ما يكشف له كِشْكُ الجرائد عن الازدواجية اللغوية التي تميز البلد (ففيه يجد اليوميات والأسبوعيات والمجلات المكتوبة بالفرنسية بقدر ما يجد منها ما هو مكتوب بالعربية). تتجلى

[1] خوان غويتيصولو، دفتر سراييفو، ترجمة وتقديم طلعت شاهين، ص. ص. 10. 11.

[2] خوان غويتيصولو، حدود زجاجية، ترجمة نبيل الدريوش والعربي الحارثي، 2007.

[3] عبد اللطيف اللعبي، شاعر يمر، ترجمة روز مخلوف، 2010، . ص. 80. 81.

الازدواجية أيضـــا في المذياع، والتلفاز، وقلما تظهر في التعليم والإدارة. أســـماء الأزقة مكتوبة باللغتين، مرسومة بحرفين"[1].

قبل أن نواصـــل حديث الازدواجية اللغوية، علينا أن نشـــير إلى أن كتاب "أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية" لكيليطو قد صـــدر أولا بالفرنســـية قبل أن يترجم إلى العربية. وما يهمنا، هنا، أكثر، هو أن الترجمة العربية للكتاب لم تنس أن تشير إلى أن النص كتب سنة 1988، وترجم في 2013.

هي إشـارة مهمة، من جهة أن الأحوال تغيرت منذ صـدور الطبعة الفرنسـية، بحيث "صـار للدارجة المغربية المنافحون عنها، كما أصـــبحت الأمازيغية لغة رســـمية"[2]، كما نقرأ في هوامش الترجمة العربية للكتاب.

لسان العرب

سيكون علينا، هنا، أن نفتح قوساً ثانيا، بعد أن صارت المسألة اللغوية في المغرب أشبه بالمتاهة، خصـــوصـــاً بعد أن صـــرنا إلى مســـتجدات همت، أســـاســـاً، مناداة البعض بالتدريس بالدارجة[3]، بل ووضع قاموس لها.

---

[1] عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، م. س، ص. 15.

[2] نفسه، ص. 17.

[3] بالنسبة لعدد كبير من المبدعين، يبقى "من المستحسن" التعامل مع ثنائية "دارجة _ فصحى" بعيدا عن "الخلفيات الإيديولوجية والحسابات الموجهة". وفي هذا يقول عبد الكريم جويطي، "المسألة اللغوية في المغرب من القضايا الشائكة جداً، إن لم نحسن التعامل معها فسنزيد انقساماً آخر على الانقسامات الكبيرة التي نعاني منها. هناك تساكن وتلاقح بين العربية الفصحى والدارجة منذ قرون. كان لكل واحدة منهما مجالها، ولكل فرد نصيب منهما. وكان الانتقال بينهما يتم بيسر وسلاسة ما جعل المغاربة يبدعون. والإبداع، كما تعرف، هو أرق ممارسة داخل لغة معينة، بالفصحى والدارجة، بل ابتدع المغاربة لغة ثالثة هي مزيج بين الفصحى والعامية نجد أبلغ نماذجها في "الملحون"، مثلاً. لم يحس المغاربة، في الماضي، بأن هناك معضلة لغوية ينبغي حلها. (عبد الكريم جويطي، الرواية صارت "حمار الإبداع" (مقتطف من حوار كنت أجريته معه)، جريدة **الشرق الأوسط**، لندن، العدد 14561، 10 أكتوبر 2018، ص. 22). أما مراد القادري، الشاعر والباحث ورئيس "بيت الشعر في المغرب"، فقال، "لا علاقة لموضوع الكتابة الإبداعية بالعامية بالدعوة التي ارتفعت مؤخراً من طرف البعض لاعتمادها في التدريس. الأمران منفصلان عن بعضهما بعضاً، وكل واحد منهما محكوم بشروط وسياقات ووعي مختلف. فالتعبير الشعري بالدارجة جزءٌ من الممارسة الثقافية والإبداعية، التي فتحنا أعيننا ووعْينا عليها انطلاقاً من شعر الملحون والمدونات الشعرية الأخرى التي تخترق الغناء الشعبي والصوفي وغيرهما من السجلات الأدبية التي تعتبر جزءاً من ذاكرتنا الشعرية الشفوية. بناءً عليه، يكونُ التوسّل بالدارجة اختياراً ثقافياً وفنياً يعزّز مبدأ التنوع الخلاق الذي يسِمُ ثقافتنا المغربية ويجعلها تتغذّى من أكثر من رافدٍ لغوي: عربي، أمازيغي، دارج، حساني،... أمّا التدريس بالدارجة، فشخصيّاً، أنا ضدّ هذه الدعوة، وأرى أنّ التعليم يجب أنْ يؤهّل صاحبه للاندماج في سوق الشغل، وهو ما يستلزم معه أن يتمّ التعليم باللغات التي تسهل هذا الاندماج. إذن، الموضوع

ما أشبه اليوم بالأمس، إذ أن ما تواجهه العربية، اليوم، ليس شيئا جديدا.نستحضر، هنا، شهادة ابن منظور(1232م _ 1311م)، التي قدم بها، قبل سبعة قرون، لـ"لسان العرب"، حيث نقرأ: "فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيزوالسنة النبوية؛ ولأن العالم بغوامضها يعلم ما تو افق فيه النية اللسان، ويخالف فيه اللسان النية، وذلك لما رأيته قد غلب، في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحناً مردوداً، وصارالنطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغات الأعجمية، وتفاصحوا في غيراللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن بغيرلغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوحٌ الفُلك وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب، وأرجو من كرم الله تعالى أن يرفع قدرهذا الكتاب وينفع بعلومه الزاخرة، ويصل النفع به بتناقل العلماء له في الدنيا وينطق أهل الجنة به في الآخرة؛ وأن يكون من الثلاث التي ينقطع عمل ابن آدم إذا مات إلا منها؛ وأن أنال به الدرجات بعد الوفاة بانتفاع كل من عمل بعلومه أو نقل عنها؛ وأن يجعل تأليفه خالصا لوجه الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

اللغة العربية، بالنسبة لابن منظور، تهددها "اللغات الأعجمية"، هو الذي لاحظ أن "الناس حوله يفضلون التواصل بتلك اللغات. يعتبرون التكلم بالعربية عيبا ! ويتابع أن مما يضاعف من شناعة هذا الوضع أن العربية لغة القرآن وكلام أهل الجنة. يذكرفي الأخيرذنباً مُعمماً ويُحيل على نوح والطوفان"[2].

في مقدمته، يذكرابن منظور"أزمة اللغة العربية"[3]، أما ""الأعجمية" التي تشكل تهديدا، فربما هي التركية (ابن منظور عاش في مصر المماليك)، لكن باحتمال أكبر، قد تكون الفارسية !"[4].

الأول محكوم ببعدٍ إبداعي، في حين الموضوع الثاني محكومٌ بشرط مهني وظيفي. ولا يجب أن نخلط بين الموضوعين". (مراد القادري، تحوّل بعض الشعراء إلى الرواية يسهم في "شعْرنة النثر" (من حوار كنت أجرته معه)، جريدة **الشرق الأوسط**، لندن، العدد 14771، 8 ماي 2019، ص. 22).

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص. ص. 8. 9.

[2] عبد الفتاح كيليطو، من شرفة ابن رشد، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، 2009، ص. 71.

[3] نفسه، ص. 72

[4] نفسه، ص. 72

يرى كيليطو أنه قد كان للعربية "منافس جاد في الماضي"[1]، وهو ما يعني أن هذا المنافسة لم تنشأ في القرن التاسع عشر قبل أن تتضخم في القرن العشرين.

يوضح كيليطو وجهة نظره بالإشارة إلى أن القصة تعود إلى القرن الثالث عشر للميلاد، على الأقل. قبل أن يستدرك بأن التهديد كان ملموسا قبل ذلك بكثير، إلى درجة القول بأن هذا التهديد كان منذ البداية."لكن ما معنى بداية لغة؟"[2]، يتساءل كيليطو، قبل أن يواصل: "مهما يكن، فاللغويون القدامى واحدا تلو الآخر، يكررون أن اللغة العربية كانت تصير، على مر الزمن، غريبة عن ذاتها. غير أنه مع ابن منظور، وللمرة الأولى، يُستحضر موتها. ألا يقدم نفسه في نبرة قيامية، بوصفه الأخير الذي يعبر بها؟ غير أنه لن يظل مكتوف الأيدي، فسيعمل على إحيائها. لكن يضيف، في إحباط، هو يصيح في واد. لم يستعمل هذه الاستعارة، بل أخرى، مائية: يشبه نفسه بنوح حين يقول إنه ألف معجمه (سفينته) وأهله منه يسخرون"[3].

اختيار اللغة

نغلق القوس الثاني قبل الأول، لنعود إلى "جدل" العربية والفرنسية، حيث يقارن كيليطو بين وضعيتين، بالنسبة للكاتب الذي يكتب بالعربية أو بالفرنسية، مع إشارته إلى أن "الكاتب حر في اختيار لغة كتابته"[4]، غير أن الإشكال يبقى في "كيف يتم النظر إلى اختياره"[5]، من منطلق أن الاختيار ليس بالأمر البريء ولا الهيّن، إذ"يفترض مزاجا وإحالات، يفترض تكافلا ما، هيئة معينة ووضعا خاصا"[6].

يتناول كيليطو سؤال "لماذا تَكتب باللغة الفرنسية؟"، فيرى أنه "يُطرح عادة على الكاتب الذي ينشر كتبه بهذه اللغة، وهو سؤال من شأنه أن يثير قلقه وشعوره بالذنب. وعند رده، يُظهر لباقة ورهافة، يَذكر فعل التاريخ، كما يذكر التكوين الذي تلقاه، وقد يقول أيضا إنه يحس أنه يتمتع بنوع من الحرية في الفرنسية، و أنه يلمس بدرجة أقل تابو الجنس والسياسة. كما سيقول بأنه عاجز عن الكتابة بلغة أخرى. وقد يتحدث أحيانا بطريقة غامضة عن اللذة التي توفرها له

[1] نفسه، ص. 72

[2] نفسه، ص. 72

[3] نفسه، ص. 72

[4] عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، م. س، ص. 42.

[5] نفسه، ص. 42.

[6] نفسه، ص. 42.

الفرنسية. لن يعترف دوما أن الكتابة بالفرنسية تحقق لكاتبها بعض الحظوة وتمنحه اعتبارا، وتمكنه من جمهور مضاعف (...)، و انتشار واسع. يمكن تصور افتراض آخر: الكتابة تجاوز للذات، حتى إن اقتضى الأمر أخذ مسافة مع اللغة الأم. فباستطاعة الكاتب أن يختار، لو توفرت له الإمكانات، اللغة الغريبة البعيدة، الغريبة الأجنبية، كي يقترب من ذاته"[1].

بين "سؤال اختيار الكتابة بالفرنسية" ومعطى "الشعور بالذنب"، يمكن أن نستحضر، هنا، مثلا، تجربة كاتبين مغربيين، هما فؤاد العروي[2] وعبد اللطيف اللعبي[3].

---

[1] عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، م. س، ص. 16.

[2] ذات حوار، طرحتُ على فؤاد العرويسؤالاحول علاقته باللغة الفرنسية: "هل تجد ذاتك في اللغة الفرنسية، حتى تكتب بها أو، بالأحرى، حتى تبدو مرتاحًا وأنت تكتب بها؟"،وكان الجواب: "هناك كثير من الكتاب المغاربيين، يقولون إنهم اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية لهذا السبب أو ذاك. أنا لم أختر الفرنسية لغة للكتابة، من جهة أنه لم يكن بوسعي إلا الكتابة باللغة الفرنسية بحكم تكويني الفرنسي ودراستي في المدرسة الفرنسية. صحيح، أن لدينا مشكلا لغويا في المغرب، وقد كتبت، في ذلك، كتابًا تحت عنوان "الدراما اللغوية المغربية". فيما يخصني، كلما جلست لكتابة قصة أو رواية تأتيني اللغة الفرنسية بشكل طبيعي وتلقائي. وأنا أرى أن الكاتب يجب أن يكون له أسلوبه الخاص والتلقائي الذي لا يتم التفكير فيه أو التخطيط له. قد أكتب موضوعًا علميًا باللغة الإنجليزية أو الهولندية، ولكن أن أحكي رواية أو قصة تبقى اللغة التلقائية للكتابة، التي أرتاح فيها، هي الفرنسية. لا شك أن هذا المعطى يعبر عن وضعية غريبة بصدد المغرب الذي حصل على استقلاله منذ 1956. كما أن دستوره الجديد يتحدث عن العربية والأمازيغية كلغتين رسميتين، فيما الفرنسية ليست كذلك. ورغم ذلك، هناك كتاب كثيرون يكتبون مثلي باللغة الفرنسية، وأنا لست مسؤولا عن مثل هذا الوضع. بالنسبة للإبداع، كلٌّ يبحث عن أسلوبه وطريقة رؤيته للعالم، وكيف يحكي العالم. راحة المبدع تتجسد في اختيار الكتابة في هذه اللغة وفي ذلك الجنس الأدبي. أنا درست في المدرسة الفرنسية، ولذلك أجدني مرتاحًا في اللغة الفرنسية، من دون أن أكون مخيرًا في ذلك. وعلى العموم، هناك لغة واحدة قد يجد فيها المبدع أسلوبه الشخصي وراحته؛ وبالتالي من الممكن أن يجدها، مثلا، إما في العربية أو في الفرنسية" _ فؤاد العروي: من الصعب جدًا أن تكون كاتبًا في المغرب (مقتطف من حوار أجريته معه)، جريدة **الشرق الأوسط**، لندن، عدد 13727، 28 يونيو 2016، ص. 23.

[3] نقرأ لعبد اللطيف اللعبي: "لوقت ما، انتشرت تلك الهجمات اللاذعة لأولئك الذين حاولوا إنكار شرعية نتاجنا الأدبي لأنه ببساطة غير مكتوب بالعربية، ثم تلاشت. فيما وراء رهانات هذه المعركة وشراستها، استخلصت منها شيئا واحدا على الأقل، ليكون قاعدة لي. المسألة الجوهرية ليست في أن أكتب بالعربية أو بالفرنسية. والأشياء الملحة التي كان يجب أن أقولها، لم يكن بوسعها أن تنتظر عودتي إلى لغتي الأصلية. كان يجب التعبير عنها بالوسائل المتوافرة، دون شعور كابح بالذنب ولا تهيج غامر. نعم، كنت، بصفتي كاتبا، نتاج تاريخ لا يكترث كثيرا بالأخلاق، ولكنني لم أكن مسؤولا عنه. ورغم هذا لم أعد أستطيع احتمال عملية السلب التي كنت ضحيتها، ومن الآن وصاعدا، أصبح سد النقص الذي أعاني منه، والفوز مجددا بما اعتصب مني، مسألة تعود لي. وهو ما انكببت عليه **خلال سنين وما جاءت** صدمة بيروت لتتوجه عندما وضعتْ بين يدي ورقة طريق جديدة. بعد وقت وجيز جاءت مرحلة السجن التي أعطتني على الأقل "فرصة جيدة": أعطتني القدر الذي أريده من الوقت لكي أتعلم إلى أقصى حد أريده. عند خروجي منه، كنت قد أصبحت ناطقا بلغتين، على أكمل وجه ممكن. كنت قد رويت جانبا مهما من ظمأي إلى الثقافة العربية. كان هذا الإنجاز قد هدأ نفسي. رحت أستعمل ساقيّ الاثنتين لكي أسير. انتهت عواقب الجرح الاستعماري والضغائن التي رافقته" _ عبد اللطيف اللعبي، شاعر يمر، ص. 159.

باستحضاره لسؤال "لماذا تكتب باللغة الفرنسية؟"، يرى كيليطو أن "الفرنكفوني" لن يذهب إلى الرد على السؤال الذي يطرح عليه بإثارة سؤال آخر، وحكاية أخرى: "لماذا أكتب بالعربية؟". وهو سؤال يتمخض عنه، برأي كيليطو، سؤالان: "أليست العربية هي اللغة القومية؟ ألم تعد العامل الأساس للوحدة التي طالما حُلم بها والتي تمتد من المحيط إلى الخليج؟"[1]. يلاحظ كيليطو أن من يكتب باللغة العربية لا يتعرض عمليا أبدا لهذا "السؤال الماكر"[2]، إذ "لا أحد يستفسره لماذا يكتب بها"[3]، حيث أن "الأمر لا يحتاج إلى دليل، الأمر طبيعي. ليس له أن يبرره، وأن يبحث عن مشروعية لقراره اللغوي، فقد أحسن الاختيار. لكن، هل اختار بالفعل؟ وبصفة عامة، هل يختار المرء اللغة التي يكتب بها؟"[4].

سيتحدث كيليطو، في هذا السياق، عن "لسان مفلوق، وأدب مفلوق"[5]، قبل أن يستدرك: "ليس هذا ما كان يُتوقع عند الاستقلال. كان يُعتقد وقتها أن أهل الأدب سيعملون دفعة واحدة، ومن غير أن ينقطعوا عن التفتح على أوروبا، على إنعاش ثقافة وطنية قوامها اللغة العربية. والحال أن ليس هذا ما نلحظه اليوم. فكل سنة، نتبين أن الكتب المنشورة باللغة الفرنسية تكاد تعادل في عددها نظيرتها بالعربية. هناك جمهوران مستهدفان، غالبا ما يتجاهل أحدهما الآخر، وينتميان لعالمين متباينين. الأبحاث الجامعية تنصب إما على الأدب المكتوب باللغة العربية، أو على "الأدب المغاربي المعبر عنه بالفرنسية" (لا يقال أبدا "الأدب المغاربي المعبر عنه بالعربية")"[6].

والخلاصة أن "الانطباع السائد هو أننا لا نعيش وضعية الازدواج اللغوي، بقدر ما نعيش وضعية يتساكن فيها شكلان للأحادية اللغوية"[7].

اللغة والكسكس

[1] عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، م. س، ص. 16.

[2] نفسه، ص. 16.

[3] نفسه، ص. ن.

[4] نفسه، ص. ص. 16. 17.

[5] نفسه، ص. 17.

[6] نفسه، ص. ن.

[7] نفسه، ص. 18.

"ليس على أديب غربة"، يقول أبو منصور الثعالبي في "زاد سفر الملوك"[1]؛ مع أن "ما يفتقده المرء كثيرا في غربته، من بين أشياء أخرى، هو اللغة"[2]، كما يقول كيليطو، الذي يذكر، في هذا الصدد، أنه، قبل ما يقرب من عشرين سنة، كان لمدة قصيرة في كامبريدج بالولايات المتحدة، حيث جامعة هارفارد. وذات صباح، كان متجها إلى مكتبة الجامعة، وإذا به يبصر عن بعد مغربيا قادما جهته. ي

قول: "لم أكن أعرفه، ولم أره قبل ذلك، لكنني علمت أنه من المغرب، ويمكن أن أضيف أنني نادرا ما أخطئ في تخميني. كيف أتعرف على مغربي، قبل أن ينبس ببنت شفة (لابد من توضيح ذلك، لأنه إن تحدث لا مجال حينئذ للتردد)؟ أهي قسمات الوجه، كآبة مستسلمة، طريقة مشي ببطء، نعم ببطء، كأنه يتجول؟".

كان يقترب مني رويدا. ما العمل في هذه الحالة؟ متابعة طريقي. في تلك الأثناء قلت لنفسي إنه لاشك يحن إلى طبخ بلاده، إلى طعام أهله البعيدين، وتذكرت ما قاله الحسن اليوسي عن الطريقة المُثلى لعلاج المغربي عندما يمرض (ربما يقصد عندما ينهار عصبيا): "أطعموه الكسكس". وبينما كنت أدير هذه الوصية في ذهني، اقترب مواطني بحيث صرنا جنبا إلى جنب. ركزت نظري على نقطة في الفضاء أمامي وتابعت السير، وإذا بي أسمع: سي عبد الفتاح !لاشك أنه كان يعرفني، ربما درس في الكلية التي كنت أشتغل فيها. قد أكون تضايقت حينئذ وبدت علي علامات الاضطراب، وعلى الأرجح لاحظ ذلك لأنه قال لي على الفور: "اسمح لي سي عبد الفتاح، بغيت غير ندوي معاك شويا بلعرْبية (أريد فقط أن أتحدث معك شيئا ما بالعربية)"[3].

سيختم كيليطو، معلقا على هذا الحدث، بالقول: "الحنين إلى الوطن حنين إلى اللسان. كان بحاجة إلى التحدث بلغة الأم، ضرورة قصوى، شكل من التداوي والعلاج. تبادلنا بضع كلمات، نزلت بردا وسلاما عليه، وعلي كذلك. تغير وجهه، صار له وجه آخر، وجه يشع بهجة وسرورا"[4].

---

[1] أبو منصور الثعالبي، زاد سفر الملوك، ص. 121.

[2] عبد الفتاح كيليطو، بحبر خفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 1918، ص. 99.

[3] نفسه، ص. ص. 92. 93

[4] نفسه، ص. 92.

المصادروالمراجع

العربية:

أ_ الكتب:

- عبد الفتاح كيليطو، من شـــرفة ابن رشـــد، ترجمة عبد الكبيرالشـــرقاوي، دارتوبقال للنشر، الدارالبيضاء، ط. 1، 2009.
- عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات .. لكن بالعربية، ترجمة عبد الســـلام بنعبد العالي، دارتوبقال للنشر، الدارالبيضاء، ط. 1، 2013.
- عبد الفتاح كيليطو، بحبرخفي، دارتوبقال للنشر، الدارالبيضاء، ط. 1، 2018،
- خوان غويتيســـولو، دفترســـاييفو، ترجمة وتقديم طلعت شـــاهين، نشـــرالفنك، الدار البيضاء، ط. 1، 1994.
- خوان غويتيصـــولو، حدود زجاجية، ترجمة نبيل الدريوش والعربي الحارثي، ســـلســـلة الفكرالإسباني المعاصر2، منشورات مرسم، الرباط، ط. 1، 2007.
- عبد اللطيف اللعبي، شـــاعريمر، ترجمة روزمخلوف، ورد للطباعة والنشـــروالتوزيع، دمشق، ط.1، 2010.
- ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت.

ب_ مجلات وجرائد:

- جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 13727، 28 يونيو2016،
- جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 14561، 10 أكتوبر2018
- جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 14609، 27 نوفمبر2018،
- جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 14771، 8 ماي 2019

الفرنسية:

أ_ الكتب:

- ✓ Jean Pruvost, Nos ancêtres les Arabes .. ce que notre langue leur doit, JC Lattès, Paris, 2017

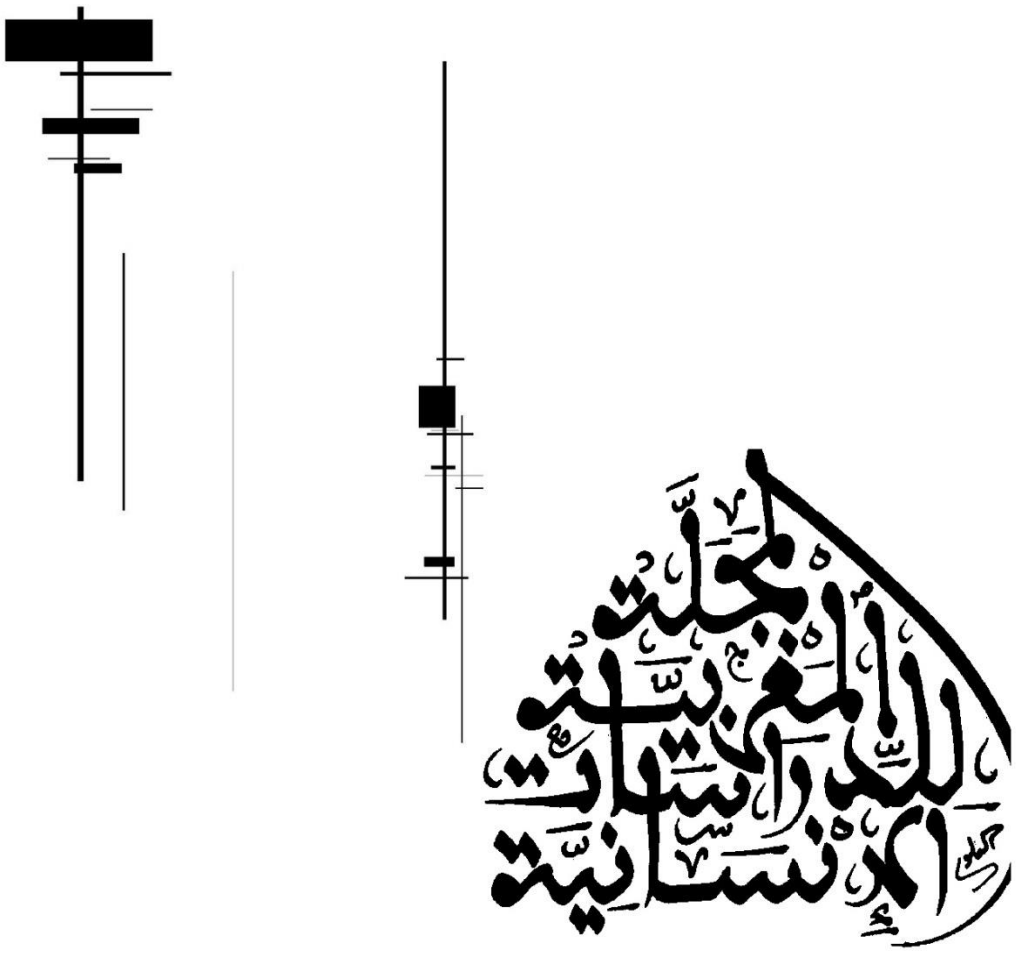
مجلة
المغربية
للدراسات
النسائية

إصدارات

فقه الترجمة: إعجاز النظم وإلغاز الفهم و إنجاز العلم"، محمد الديداوي

أصـــدر المترجم والأكـاديمي المغربي، وخبير الترجمـة في الأمم المتحـدة، الـدكتور محمـد الـديـداوي كتـابـه "فقـه الترجمـة: إعجـاز النظم وإلغـاز الفهم و إنجـاز العلم" عن المركز الاثقـافي للكتـاب، الـدار البيضـــاء، 2020. وذلك من أجل إعـادة طرح النقـاش حول مســـألة"الترجمـة القرآنية"، والتأمل في تحدياتها ورهاناتها، وإمكانيتها واســتحالتها، وضــبط مفاهيمها وتصــويب بعض الآراء حولها. مســتفيدا من تطورات "علم الترجمة" و آفاقه المســتحدثة، ومن القواعد المطبقة في المنظومة الدولية، ولاسيما "الترجمة الأممية".

يســتعرض الكاتب مجموعة من مفاتيح الترجمة في بعدها الحرفي المباشــر، أو في بعدها التصــرفي غير المباشــر، مما تنهض به مجموعة من الآليات العلمية: التعريب، الاســتعارة، الحرفية، التبديل، الإدخال، التقريب، المعادلة... موجها إلى جملة أموريجب على المترجم العربي التزود بها ليتفقه في اللغة ويتمكن من أساليبها ليحقق أعلى درجات الانسيابية في الكتابة مترجما أو معرّبا أو منشــئا. موردا أثناء ذلك أمثلة من ترجمات القرآن الكريم والكتاب المقدس للتدليل

على أن "الترجمة الحرفية"، وكذا "الترجمة التصرفية" يحيطان القرآن الكريم بمخاطر التحريف، ويصطدمان بمعضلة التفسيروفك ألغاز النظم القرآني.

حيث يلح الكاتب في هذا الكتاب على أن الترجمة قراءة وتفسيرفي اللغة الواحدة ومن لغة إلى لغة أخرى، وأنها كتابة و إنشاء، تحكمهما الغاية منهما. وفي بحثه العميق عن سبل تبليغ القرآن المُعجز الملغز إلى غير الناطقين بالعربية من المنظور الترجمي التفسيري يقترح لبلوغ هذا المقصد الترجمة المستوحاة من "فقه الترجمة"، وهي "ثلاثية الأبعاد، فهي مطابَقَة وقراءة ونقل وتفسير وتأليف غرضها إنشاء نص جامع للمكونات اللازمة انطلاقا من نص مواز، تقوم على فك النظم واستيضاح الفهم وتوظيف العلم"، فهي عملية متكاملة متساندة، وترجمة بمفهوم أوسع وأجمع؛ من أجل التقريب بين الشعوب والثقافات والعقليات في عصر العلم والعولمة والمعلوميات.

ويقترح الكاتب الترجمة التفسيرية، أي تفسير التفسير، باعتبارها من أفضل وسائل المثاقفة والحوار والتبادل التي تسمح بالنفاذ إلى النص القرآني؛ فهي ترجمة مستقيمة البناء تقترب إلى أقصى حد من معاني الأصل. بينما تنفع "الترجمة التطابقية" في البداية فقط، ويتم الإلحاح فيما بعد على الأبعاد الصوتية والدلالية والتفاعلات الداخلية والخارجية.

ففِقه الترجمة هو استعمال الترجمة التفسيرية لإبداء الأبعاد البيانية والإعجازية والدلالية، ذلك لأن مستقبل الترجمة عموما هو في التفسير والازدواج اللغوي. ورغم ما يمكن أن يقدمه الحاسوب في اتجاه الترجمة التطابقية العادية في المجالات المعرفية المتخصصة المحددة المفاهيم، فإن البيان القرآني الأعلى يظل الأعوص والأعقد والأخص.

اللسان الأسير، جراح اللغة وخدوشها، صلاح بوسريف

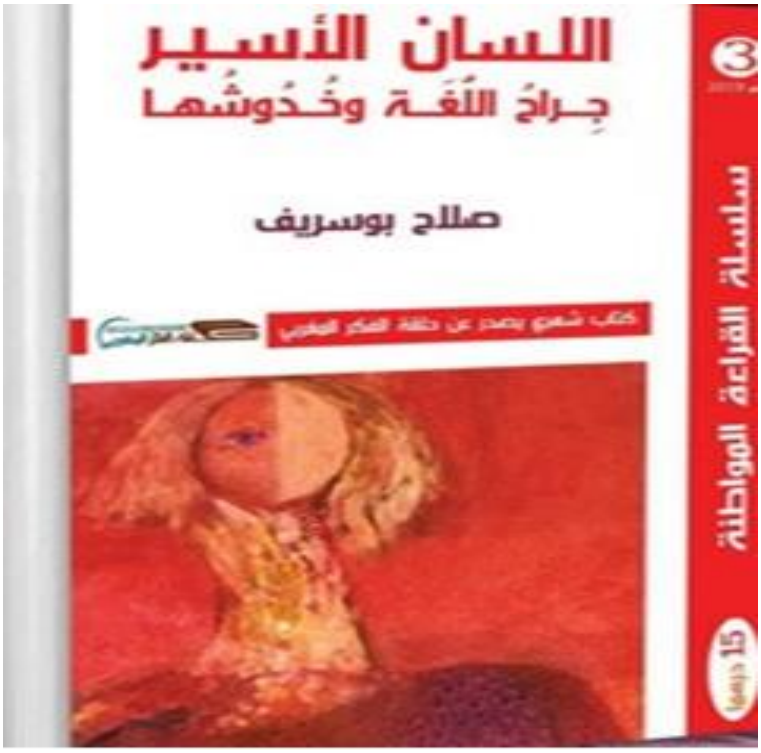

يقتفيالمؤلف في هذا الكتاب جراح اللغة وخدوشها، من أجل إعادة النظرفي تصور الباحثين؛ لتحريرها من سلطة الماضي، حتى تتجدد بفعل الكتابة وإعادة الكتابة.

صدرالكتاب في دجنبر2019 ، ضمن سلسلة القراءة المواطنة.وهو يدافع عن العربية باعتبارها لغة خلق و إبداع، ولغة متجددة، وقابلة للتطوروالابتكار، مما يبرزفي سياقاتها الجمالية الموجودة في الشعروالرو اية والقصة والمسرح والمقالة، وفي الكتابات الفلسفية والفكرية، وفي الأبعاد النقدية.

وينتقدالكاتب منكري قيمة العربية، ممن يجهلون تاريخها الجمالي، ومن لم يقرؤوها في ما جرى فيها من تحولات جعلها لغة حية لا تموت. ومن ثم يربط اللغة العربية بالدنيوية ، لكونها تجري في خيال وفكروجدان من يكتب أو يقرأ بها.

"العربية.. لغة عالمية"،

مجموعة من الكتّاب

صـدر الكتاب في مارس 2018 كتاب "العربية.. لغة عالمية"، باللغتين الفرنسـية والعربية عن دار "هرماتان" للنشـر تحت إشـراف ندى يافي الدبلوماسـية والأكاديمية الفرنسـية، ويقع في 221 صـفحة. وشـهد الكتاب إقبالا كبيرا من القارئ العربي والغربي ، نظرا لتثوره الجديدة حول اللغة العربية التي تدعو إلى تجاوز الصور النمطية والتطلع للمستقبل.

ويشـمل الكتاب عددا من المسـاهمات التي نوقشـت في ندوة بحثية في مجال العلوم الإنسـانية نظمت في ديسـمبر 2016 في باريس، تناولت الأبعاد الثقافية والتاريخية للغة العربية ومكانتها الحالية في الدوائر المهنية، وحيوية تعليمها ووجودها وتأثيرها الحالي والمسـتقبلي في القنوات الفضائية ومختلف وسائل الإعلام التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي.

ويتضمن الكتاب آراء وتوصيات لخبراء وباحثين في التعليم والثقافة والإعلام يُجيبون عن التساؤلات، عن الفائدة من تعلّم العربية كلغة تواصل حيّة ومُنتشرة في القارات الخمس، في ظلّ الواقع غير المُناسب للغة العربية اليوم في فرنسا.

ويرى الكتاب أنّ اللغة العربية ما زالت تُعَد غير مرغوبة في فرنســا، حيث لا يتجاوز عدد الذين يتعلمونها في المدارس الإعدادية والثانوية 14 ألف مُتعلم، مُتسائلا عن أسباب هذا الإقبال المتواضع على تعلم خامس أكثر لغة تحدثا في العالم، وإحدى اللغات الرسمية الست المُعتمدة في الأمم المتحدة، والمنتشرة بشكل واسع عبر المئات من القنوات الفضائية، وبالتالي يُقدّم الكتاب من خلال باحثيه المُشاركين آلية مُقترحة لعلاج هذا الوضع الذي لا تستحقه اللغة العربية.

العربية.. كنز فرنسا..

كتاب جديد لـ جاك لانغ

صدر في غشت 2020 عن دار "cherche midi" لجاك لانغ رئيس معهد العالم العربي في باريس، كتاب "اللغة العربية، كنز فرنســا" الذي يرصــد مكانة العربية باعتبارها لغة حضــارة عظيمة .ويؤكد المؤلف أن كتابه الذي قام بتأليفه بالتعاون مع فيكتور ســلامة، يســعى إلى اســتعادة اللغة العربية التي كانت إحدى لغات فرنســا لأكثر من 5 قرون، لكرامتها ومكانتها الهامة في التعليم العام وما بعده، والاعتراف بأهيتها من قبل جميع الشــرائح الاجتماعية والثقافية

والسياسية. إنه بيان عام يطالب بتدريس اللغة العربية في المدارس والجامعات، ومر افعة جادة تقف ضد العنصرية التي تواجهها هذه اللغة الجميلة.

ويهدف لانغ في مقدمته "كفاحي من أجل اللغة العربية" بهدف ترسيخ الحقائق ومحاربة التلاعب الأيديولوجي والديماغوجي والشعبي الذي يطال هذه اللغة، مبيناً أن عنوان كتابه قد يثير الجدل للبعض .

ويستحضر المؤلف اللغة العربية في المساحة الكلية للكتاب من منطلق علمي وأكاديمي، موضحاً أنها استطاعت التعبير عن التحديات الثقافية والاقتصادية والجيوسياسية. كما يستحضر مكانتها في الماضي، فهي لغة مقدّسة أنزل بها القرآن، استمدت قوتهاالروحية والشاعرية من التاريخ. هي لغة المسيحيين العرب، اليهود والمسلمين. ولغة الإمبراطوريات المتعاقبة والحضارات الإنسانية المتعددة..

ويشدّد لانغ في الكتاب على وجود أربعة ملايين شخص يتحدثون اللغة العربية في فرنسا، ويعتبر عدم تعليمها في المدارس الحكومية يخلق مأزقاكبيرا ، فمنعها رسمياً يعزّز من فاعلية المؤسسات الدينية التي توفّر تدريسها لطالبيها، وبالتالي يصبح التعليم الديني المرجع الوحيد لتعليم اللغة العربية واحتر افها.

النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرانكفوني ،سلمان بونعمان

يناقش الكتاب إشـكالية اللغة في بعدها الوظيفي وحضـنها الثقافي والفكري، ويسـجل المؤلف موقفا ناقدا تجاه المنحى الفرانكفوني للتحديث اللغوي، معتبرا أن الخطاب الممارس حاليا حول اللغة هو انعكاس لنزوعات تتبع مسـار ثقافي متطلع لتغيير" الناطق بالعربية " عبر البوابة الثقافية.

والكتاب عمل تركيبي نقدي يسـتثمر حقولا معرفية متعددة، من خلال تفعيل حقل اللسانيات الحديثة وعلم الاجتماع اللغوي، بالإضافة إلى علم الاجتماع الثقافي وعلم السياسة في التفكير حول الإشـكال اللغوي منظورا إليه من زاوية النهضـة والتحرر. وهكذا ينتصـر الكتاب للاسـتعمال العقلاني للغة العربية، الدال على الفكر والابتعاد عن التلهيج المقترن بأطروحات استعمارية لها أهداف بعيدة المدى ثقافيا وفكريا واجتماعيا.

يتضـمن هذا الكتاب، الصـادر عن منشـورات مركز نماء للبحوث والدراسـات بالرياض، مقاربات للمجال اللغوي تتطرق للدراسات العامية المغربية، وطبيعة الصراع اللغوي المعاصر، ومسـار وتحولات الوضـع اللغوي بالمغرب، وإشـكالية البحث ومقارباته المنهجية. كما يتطرق إلى قضـايا أخرى، تتمثل في اسـتنطاق مرتكزات الخطاب التلهيجي ونقد هذه المرتكزات وتفكيك مقولاتها. ورصد تحديات سياسة التلهيج الفرانكفونية.

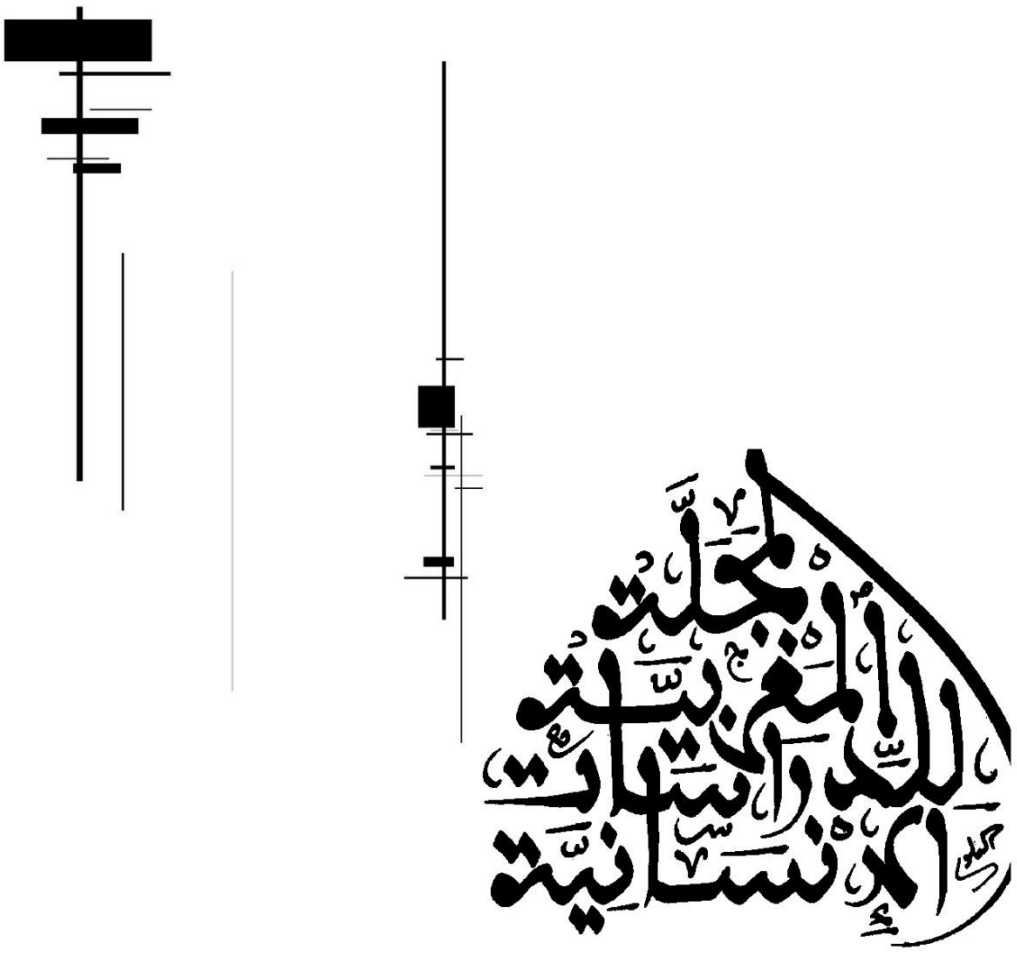
مجلة المغربية للدراسات النسانية

المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية
عن الموقع

✓ **تأسيس المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية**

أسس المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية في عام 1428 هـ| 2007 م. ثلة من محبي اللغة العربية من العاملين في الساحة، من مختلف التخصصات والآفاق، التقوا على جملة من الأهداف تستجيب لحاجات ثقافية وتعليمية حقيقية في أوروبا،يتعلق بتعليم العربية للناطقين بغيرها.

ويميّز مؤسسة المرصد عن غيرها، أنها تتوجه بالأساس إلى تأهيل المعلمين الذين يعتبرون حجر الزاوية في نجاح التعليم، دون استنقاص لأهمية المناهج. لأبعاد ثقافية تعليمية، تنطلق من اللغة العربية كوعاء ثقافي ومعرفي لكي تخدم في مجملها فكرة حوار الحضارات، والعيش المشترك والمتنوع، وتحسين صورة حاملي الثقافة العربية الإسلامية والإثراء الثقافي، وحسن الاندماج في المواطنة الأوروبية دون الذوبان الثقافي في الآخر أو الانغلاق على الذات.

ويعد المرصد مشروعا ثقافيا علميا على المستوى الأوروبي، يهدف إلى خدمة اللغة العربية وتطوير تعليمها والسّعي إلى تفعيل استعمالها ضمن مختلف اللغات الأوروبية. ويمكننتلخيص أهدافه في:

- تأسيس "المركزالأوروبي للغة العربية" بباريس كمنارة إشعاع تؤهل معلمي العربية في كل أرجاء أوروبا، وتمدّهم بالدراسات والمناهج وشتى أنواع الدعم.
- الإسهام في التطويرالعلمي والتربوي والمنهجي لعلوم تعليم العربية.
- خدمة اللغة العربية وثقافتها من خلال دعم فكرة العربية ضمن اللغات الأوروبية.
- تتميم رسالة المدارس والمؤسسات التي ستنشأ مستقبلاً،من خلال للتعاون وربط شبكة العلاقات العلمية والتبادلية، ونقل الخبرات والتكاتف على نشر العربية وتدريسها للناطقين بغيرها.

وجب التذكيرأن المرصد فكرة ثقافية تأسّست على قاعدة تقديم الخدمة التعليمية دون الالتفات إلى البحث عن الربح التجاري، لأن الربح مجاله التجارة وليس الثقافة. لذلك فهو يخدم اللغة العربية وثقافتها من الزاوية الثقافية الصرفة ، ومن ثم ركزعلى ما يلي :

- تأسيس "المركزالأوروبي للغة العربية" ومكتبة توثيقية متخصصة في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها.
- تشكيل مجموعة بحوث ودراسات تعنى برصد و اقع ومستقبل اللغة العربية، وتصدر مجلة بحثية ثقافية متخصصة.
- بعث شبكة علاقات واسعة لتبادل المعلومات ونقل الخبرات ومواجهة التحديات عبر تفعيل فكرة الذكاء الجماعي.

✓ مؤسّسو المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية

يسعى المركزإلى ربط شبكة العلاقات العلمية والتبادلية، ونقل الخبرات والتكاتف على نشر العربية و تدريسها للناطقين بغيرها. فعلى حدّ ما علمنا، لا توجد مؤسسة تقترح ربط مثل هذه الشبكة من العلاقات، وجعل تأهيل المعلمين المتخصصين نصب أعينها، وإن وجدت ولم يبلغنا

ذلك فسنكون جد سعداء بالتعاون جميعاً من أجل خدمة اللغة العربية وثقافتها.و المرصد فكرة ثقافية تأسّست على قاعدة تقديم الخدمة التعليمية دون الالتفات إلى البحث عن الربح التجاري.

✓ خطة المرصد لتأهيل المعلمين

تعود خدمات التأهيل المستمر بالنفع المباشر على المتعلمين منأبناء المسلمين، وغير المسلمين من المهتمين بتعلّم وتعليم اللغة العربية والثقافة عامة، عن طريق تطوير الأداء والرفع من مستوى الاحتراف، وفق المواصفات الأوروبية.فهي مساعدة تربوية بيداغوجية، تر افق المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية والمساجد، التي تسدي خدمات تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية للناطقين وغير الناطقين بالعربية، ويؤمن المساعدة فريق ذو خبرة كبيرة في هذا الحقل.

ويسعى المرصد لتحقيق النتائج التالية:

- زيادة خبرات المعلمين وقدراتهم على الأداء التعليمي الفعال والمتميّز،
- الرفع من مستوى التلاميذ الذين يرتادون مؤسستكم،
- نقل وتبادل الخبرات التطبيقية المتواجدة في المؤسسات الأخرى إلى مؤسستكم،
- المشاركة في تحصين الشباب عبر التثقيف والتعليم بما يعود بالنفع على سائر المجتمع.
- برامج المرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية

من البرامج الرئيسية تأسيس "المركز الأوروبي للغة العربية" ومكتبة توثيقية متخصصة في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها. مع تشكيل مجموعة بحوث ودراسات تعنى برصد و اقع ومستقبل اللغة العربية، وتصدر مجلة وبحثية ثقافية متخصصة. ثم بعث شبكة علاقات واسعة لتبادل المعلومات ونقل الخبرات ومواجهة التحديات عبر تفعيل فكرة الذكاء الجماعي.

✓ طرق تمويل البرامج.

تمول مشاريع المرصد بطريقتين متوازيتين:

- اشـــتراكات المؤســـسـين والمســـاندين التي تســـمح بإدارة المشـــاريع البحثية والتأليفية والتأهيلية.
- دعم المؤســـســـات الكبرى، من مثل المنظمات الثقافية العالمية والقطرية الحكومية منها وغير الحكومية، عن طريق علاقات شـــراكة وتعاون. ويتجه هذا التمويل للمشـــاريع الكبرى مثل تأسيس المعهد الأوربي للغة العربية.
- وتسعى مؤسسة المرصد الأوربي لتعليم اللغة العربية، في إطار الخطة المرحلية للمرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية،بهدف توفير موارد التمويل لتأســيس مركز اللغة العربية بباريس. فما هو هذا المشروع.

✓ دواعي اختيار المركز الأوربي للغة العربية

- وجود كثافة ســكانية عالية تبلغ 12 مليونا منهم ما يفوق المليون من الناطقين باللهجات العربية، مما جعل هذه اللهجات العربية في مرتبة ثانية من حيث الاســتعمال بعد اللغة الفرنسية الرسمية.
- توفر نخبة متميّزة من الكفاءات والمتخصّصين والمعنيين بشؤون اللغة العربية وتعليمها بشكل عام في منطقة باريس الكبرى.
- التزايد اللافت في عدد الأطفال والشباب من أصول عربية وإسلامية من الذين تحدوهم الرغبة في تعلم اللغة العربية والثقافة الإســلامية، في ظل نقص المدارس أو اكتظاظها أو بعدها.
- الإشـــعاع الثقافي العلمي لمدينة باريس وما تتيحه من إمكانية لتقريب الثقافة العربية الإسلامية من المجتمع الأوروبي.
- الإقبال المتزايد من طرف الأفراد والمؤسسات الفرنسية على تعلم اللغة العربية، تيسيرا للتعامل الاقتصادي والتجاري مع العالم العربية.

✓ أهداف المركز الأوربي للغة العربية الذي يعمل المرصـــد على افتتاحه قريبا، وللمركز الأوروبي له بعد حضاري تربويّ وثقافيّ، يهدف إلى :

- تكويـن معلّمين و أسـاتذة متخصّصيـن في تعليم اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها، في إطار النهوض بتعليم اللّغة العربيّة في البلدان الأوروبّية.

- تقريب مناهج ونُظُم وبرامج دراسيّة نموذجية على أسس مواصفات الجودة، للتّطبيق والتّعميم على سائر المؤسسات المعنيّة بتعليم اللّغة العربيّة في أوروبّا،
- تعميم المواصفات الأوروبية لتعليم اللغة العربية، وهي معاييريقوم المرصد حاليا بوضع شروطها العلمية التطبيقية.

ويتعامل المركزمع مختلف المناهج والطرق التعليمية المعتمدة حاليا في المدارس المنتشرة في أوروبا، من خلال نقل الخبرات وتراكمات المعرفة التفصيلية في تعليم العربية للناطقين بغيرها وتعميم الفائدة على الجميع. وفتح آفاق الدّراسة والبحث أمام الطّلبة والباحثين في مجالات اللّغة والثّقافة والحضارة العربيّة الإسلاميّة في أوروبّا. و دراسة وتمحيص مختلف المناهج، لمساعدة كل من يرغب من المؤسسات في اعتماد المنهاج الأقرب لتحقيق الغرض التعليمي، وتحبيب العربية للمتعلمين، دون أن النظر إلى اختلاف المناهج كعائق، بل قد يكون من أسباب التطوير،لما يخلقه التنوع من فرصة لإعمال الذكاء الجماعي.

✓ التحديات التي تواجه تعليم العربية

وتتمثل التحديات التي تواجه تعليم العربية لغير الناطقين بها في أوروبا، في التالي :

- قلة الوعي بخطورة تضييع اللغة العربية عبر العزوف عن تعلمها واستخدامها للولوج إلى كنوز الحضارة العربية الإسلامية
- قلة التعاون بين المؤسسات التعليمية المعنية بتعليم العربية في أوربا. وضعف المناهج وتخلف الأساليب
- قلة استعمال الوسائط المتعددة، ومختبرات تعلم اللغة ونقص استخدام أنفع ما وصلت إليه العلوم المتخصصة في هذا الميدان.

وحدات مركز اللغة العربية

- معهد التأهيل والتدريب للمعلمين :تقدّر طاقة استيعابه بـ 250 شخصا في الوقت نفسه. ويضم المقر قاعة اجتماعات عامة بسعة 200 شخص ، إضافة إلى قاعات للتدريب مزودة بالأجهزة السمعية البصرية ومختبر لغات.
- مدرسة لتعليم العربية :بطاقة استيعاب لا تقل عن 500 شخص، وتشمل قاعات تدريس ومكاتب إدارية مجهزة.

- قسم التوثيق والبحوث : يحتوي على مكتبة متخصصة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومكاتب قسم البحوث والنشر التابعة للمرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية وقاعة للصلاة.
- جناح إداري يتولى تسيير شؤون المركز بشكل عام.

✓ مهام المركز مركز اللغة العربية

- التكوين والتأهيل المستمر لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها باستعمال أحدث الوسائل والمناهج.
- تأسيس قسم للبحوث والدّراسات والنشر ومركز للتوثيق.
- إنجاز دراسات وبحوث ميدانية متعلقة بمجال تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أوروبا،
- تبادل الخبرات بين المراكز والمدارس، تشجيع حركة الترجمة من وإلى اللغة العربية، التوثيق للمقررات والدراسات والمراجع التي تعنى بمجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

والثابت أن اللغة العربية تواجه في أوروبا تحديات كثيرة، من بينها ضعف المناهج التعليمية عامة، وقلة المدارس المتخصصة، وندرة الموارد المالية ، بالإضافة إلى قلة التعاون بين المؤسسات المعنية، وما يرافقه من عزوف الكثير من المهاجرين عن استعمال العربية السليمة في كلامهم، مما يؤدي على تهميش تهميش اللغة العربية على كثير من المستويات...

ولهذا قام المرصد مساهمة منه في رفع التحديات الثقافية الكبيرة، وحفاظاً على الثروة الثقافية للغة العربية، خاصة للأجيال القادمة، باقتراح برنامج كامل يشارك في تنفيذه ثلة من الغيورين على اللغة العربية، تضمن القيام بالدراسات والبحوث، والندوات المتخصصة، وتدريب المعلمين، والإعداد لتأسيس مركز أوروبي متخصص، يقع مقره باريس. ويأمل القائمون على المركز أن يسهم في خدمة تعليم اللغة العربية في أوروبا، وتشجيع حركة الترجمة ونشر ثقافة المعرفة. وقد حصل المرصد على كل التراخيص من طرف السلطات الفرنسية، للعمل وفق القوانين الفرنسية والأوروبية.

✓ تدريس الثّقافة الإسلاميّة في مركز اللّغة العربيّة

يقوم مركز اللغة العربية تدريس الثّقافة الإسـلاميّة، ضـمن برامج تعليم اللّغة العربيّة، نظرا للعلاقة التّفاعليّة بين اللّغة والثّقافة والحضارة والدّين. وهذا لا يقتصر على اللّغة العربيّة بل تشترك فيه سائر اللغات. و لا يقتصر الأمر على ذلك بل سيدْرُس المجلس العلميّ إثراء التّكوين بتعليم ما لا يجوز جهله من أسس الثّقافات الأوروبّيّة المتنوّعة، الدّينيّة منها وغير الدّينيّة. إذ لا بدّ للطالب من إلمام كلّيّ بما يزخر به المشهد الثّقافيّ الأوروبّيّ والغربيّ عموما.

فهرس المحتويات

هيئة التحرير 5

التعريف بالمجلة 6

معايير النشر في المجلة 8

الهيئة العلمية 9

كلمة العدد 10

هكذا نرد الاعتبار للغة العربية 10

إشكالية اللغة في قراءة النصّ القرآني عند محمد أركون 14

الدّرس المعجمي في تفاسير الغرب الإسلاميمقدّمة: في تفسير معاني اللّغات من تفسير الإمام ابن جزي الكلبي(ت741 ه)-نموذجا- 38

المناظرات اللغوية في تراث الغرب الإسلامي 58

هل ثمَّة مدرسَةٌ نحويَّة في الغَرب الإسلاَميّ؟"أبو إسْحَاق الشاطبيّ أنمُوذجًا" 80

ابن عبد الملك المَرَّاكشي: فذْلَكاتٌ تاريخية وآراء نقدية من كتابه "الذيل والتكملة" 98

الفكر النقدي الحديث عند عبد الله كنون ، المفاهيم النقدية القضايا الأدبية 138

اللغة العربية والتاريخ في الغرب الإسلامي 156

مكانة مؤلفات ابن مالك النحوية واللغوية في المغرب الإسلامي: المحاظرالشنقيطية نموذجا. 177

علوم اللغة العربية جسر التواصل العلمي بمنطقة الغرب الاسلامي: 192

الأندلس وفاس نموذجا..... 192

التحديات التي تواجه دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب القرآني في كلية اللغة العربية 211

اللغة العربية ومنظومة التعليم بالمغرب الأقصى خلال العهد الموحدي..... 252

حوار العدد 276

أستاذ الدراسات اللغوية بجامعة قناة السويس والخبير بالاتحاد الدولي للغة العربية..... 276

كتاب العدد..... 283

إصدارات 295

روبرطاج العدد 303

فهرس المحتويات 310

المجلة المغربية للدراسات الإنسانية